الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
University of Mostaganem - Abdelhamid Ibn Badis
كلية الأدب العربي والفنون
Faculty of Arabic Literature and Arts

FLAA
كلية الأدب العربي والفنون
Faculty of arabic literature and Arts

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدّراسات اللّغوية والأدبية

- شهادة مصادقة مطبوع بيداغوجي الأمالي الموسوم بـ: النّظريات اللّسانية، موجَّه لطلبة السنة الأولى ماستر، تخصص:تعليمية اللّغات.

❖ إعداد الدّكتور: جعفريايوش أستاذ محاضرأجامعة مستغانم

مصادقة رئيس القسم	مصادقة رئيس اللجنة العلمية قسم الفنون	مصادقة رئيس المجلس العلمي لكلية الأدب العربي والفنون	مصادقة عميد كلية الأدب العربي والفنون

الموسم الدراسي 2025/ 2026.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
University of Mostaganem - Abdelhamid Ibn Badis
كلية الأدب العربي والفنون
Faculty of Arabic Literature and Arts

الرقم:177/ن ع ب ت/ك.أ.ع.ف/ج.م/2025

مستخرج من محضر المجلس العلمي الدورة العادية رقم:3
المنعقد بتاريخ: 2025/06/11

- صادق المجلس العلميعلى تعيين خبيرين لتقييم الأمالي للدكتور جعفر يايوش والموسومة بـ:

"محاضرات في مادة النظريات اللسانية موجّه لطلبة السنة أولى ماسترتخصّص تعليمية اللغات.

رئيس المجلس العلمي

مستغانم في: 2025/07/01

أ.د مليكة فريحي
رئيس المجلس العلمي
لكلية الأدب العربي والفنون

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
University of Mostaganem - Abdelhamid Ibn Badis
كلية الأدب العربي والفنون
Faculty of Arabic Literature and Arts

الرقم: 205 /ن ع ب ت/ك.أ.ع.ف/ج.م/2025

شهـــادة مصادقة الأمالي في مقياس محاضرات النّظريات اللّسانية، موجه لطلبة السّنة الأولى، تخصص: تعليمية اللّغات. لطلبة السّنة الأولى ماستر.

- بعد الاطلاع على التقريرين الإجابيين ،**صادق المجلس العلمي** على اعتماد الأمالي الخاص بالدكتور(ة) : **يايوش جعفر**، أستاذ بقسم الدراسات اللغوية والأدبية، كلية الأدب العربي والفنون والموسوم بـ : **النّظريات اللّسانية، موجه لطلبة السّنة الأولى، تخصص: تعليمية اللّغات. لطلبة السّنة الأولى ماستر.**

31/10/2025

رئيس المجلس

رئيس المجلس العلمي لكلية الأدب العربي والفنون

Site : www.univ-mosta.dz/flaa
Tel /Fax : 045421101
E-mail : web.flaa@univ-mosta.dz

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس ـ مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية

مطبوع الأمالي خاص بمحاضرات في مادة النظريات اللسانية

مقدمة

لطلبة ماستر تخصص تعليمية اللغات

شعبة الدراسات اللغوية

مقدم لأغراض الترقية

إعداد وتقديم: الدكتور جعفر يايوش

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

المقـــدمة:

تشكّل النظريات اللسانية إحدى الركائز المركزية في تكوين الباحث المتخصص في علوم اللغة، إذ تمثل المجال الذي تتقاطع فيه الفلسفة والعلم، وتتعانق فيه المقاربات التاريخية مع النماذج المعاصرة للدرس اللغوي .فاللسانيات ليست مجرد وصف للغة أو قواعدها، بل هي، في عمقها، مشروع إبستيمولوجي يسعى إلى تأسيس معرفة علمية صارمة حول الظاهرة اللغوية، بوصفها نظامًا رمزيًا معقدًا يتجاوز الاستعمال اليومي للكلام ليشكّل إحدى أهم الأدوات المنتجة للمعنى في الفكر الإنساني.

لقد ارتبط تطوّر الفكر اللساني، منذ القرن التاسع عشر، بتوتر خلاق بين (المفهوم) تصوّر اللغة، و(الموضوع) ما يُدرس من اللغة، و(المنهج) كيف يُدرس هذا الموضوع. ومن خلال هذا التوتر البنّاء نشأت مدارس وتيارات كبرى :من المقارنة التاريخية إلى البنيوية، ومن النحو التوليدي التحويلي إلى اللسانيات التداولية، وصولًا إلى مقاربات ما بعد البنيوية واللسانيات الحاسوبية والذهنية .وهذا التراكم المعرفي لم يكن مجرد استجابة أكاديمية داخلية، بل انفتح على حقول متعدّدة مثل الفلسفة، المنطق، علم النفس، الذكاء الاصطناعي، والعلوم العصبية.

المجلس العلمي للكلية

إن تدريس هذه المادة لطلبة الماستر يندرج في سياق تكوين أكاديمي رفيع يهدف إلى تمكينهم من أدوات تحليلية ونقدية تؤهّلهم لفهم الأنساق النظرية التي تشكّل الإطار العام للبحث اللساني المعاصر . فالغاية ليست حفظ أسماء المدارس أو أعلامها، بل امتلاك القدرة على مساءلة المفاهيم، نقد المناهج، وبناء نماذج تفسيرية جديدة تستجيب للتحولات العلمية الراهنة .وهذا ما يجعل مادة" النظريات اللسانية " ليست مجرد مادة دراسية، بل ورشة إبستيمولوجية لإعادة التفكير في اللغة بوصفها بنية معرفية تفتح أفقًا للتأويل والتطبيق، من تعليم اللغات، إلى الترجمة، إلى الذكاء الاصطناعي اللغوي.

وبذلك، فإن هذه المحاضرات تسعى إلى تجاوز البعد الوصفي نحو تأسيس رؤية تركيبية—نقدية، تُبرز جدلية المفهوم والموضوع والمنهج في بناء المعرفة اللسانية، وتؤكد على أن أي درس علمي جاد للغة لا يمكن أن يتحقق إلا عبر استحضار جذوره الإبستيمولوجية، والانخراط في أفق معرفي متعدد التخصصات .

إنها دعوة للطالب—الباحث كي ينظر إلى اللسانيات لا كعلم مكتمل ونهائي، بل كحقل حيّ في طور تشكّل دائم، يعكس في كل مرحلة من تاريخه التحولات الكبرى في الفكر العلمي والإنساني.

إنّ مادة النظريات اللسانية ليست مجرد محطة دراسية عابرة ضمن مسار التكوين الجامعي، بل هي فضاء إبستيمولوجي مفتوح يُتيح للباحث أن يتأمل في الأسس النظرية التي شيدت علم اللسان منذ نشأته الحديثة، وأن يُعيد مساءلتها في ضوء التحولات العلمية المعاصرة .فمن خلال تتبّع جدلية المفهوم—الموضوع—المنهج، يتبيّن أن اللسانيات لم تتطور عبر خط مستقيم، بل عبر قفزات نوعية أحدثت قطيعات إبستيمولوجية مع أنماط التفكير السابقة، لتُعيد رسم حدود العلم وتوسيع مجالاته.

لقد برهنت التجربة اللسانية، في أبعادها البنيوية والتوليدية والتداولية والحاسوبية، أن اللغة ليست معطًى بديهيًا أو أداة محايدة للتواصل، بل هي بنية رمزية معرفية تتقاطع فيها الفطرة الإنسانية مع البُعد الاجتماعي، وتتداخل فيها القوانين الذهنية مع الشروط التداولية، مما يجعلها مرآةً لتحولات الفكر الإنساني ذاته .وهكذا، فإنّ الإلمام بالنظريات اللسانية لا يُعدّ غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة لامتلاك أدوات نقدية ومنهجية تؤهّل الطالب لإنتاج معرفة جديدة، قادرة على التجاوب مع التحديات الراهنة في مجالات مثل تعليم اللغات، الترجمة، الذكاء الاصطناعي، وتحليل الخطاب.

وعليه، فإن هذه المحاضرات تسعى إلى أن تُرسّخ لدى طلبة الماستر قناعة جوهرية مفادها أن اللسانيات ليست علماً مكتمل البنية، بل مشروعًا معرفيًا متجدّدًا يتسع باستمرار لمقاربات متعددة وتطبيقات متشعبة .ومن ثمّ، فإن مهمة الباحث ليست تكرار النماذج الجاهزة، بل تطويرها ونقدها

المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

وتجاوزها، بما يسهم في إثراء الدرس اللساني عالميًا، ويمنح البحث الجامعي في فضائنا العربي موقعًا فاعلًا داخل الخريطة العلمية الدولية.

The Introduction

Linguistic theories constitute one of the central pillars in shaping the researcher specialized in the sciences of language. They represent the domain in which philosophy and science converge, and where historical approaches intertwine with contemporary models of linguistic inquiry. Linguistics is not merely the description of language or its grammatical rules; rather, at its core, it is an **epistemological project** that seeks to establish rigorous scientific knowledge about the linguistic phenomenon, conceived as a complex symbolic system that transcends everyday speech to become one of the most fundamental instruments for meaning-making in human thought.

Since the nineteenth century, the development of linguistic thought has been driven by a productive tension between **concept** (how language is conceived), **object** (what aspect of language is studied), and **method** (how this object is studied). Out of this creative tension, major schools and traditions have emerged: from historical–comparative linguistics to structuralism, from generative–transformational grammar to pragmatics, and finally to post-structuralist approaches, computational linguistics, and cognitive linguistics. This accumulation of knowledge was not merely an internal academic response but expanded into multiple fields such as philosophy, logic, psychology, artificial intelligence, and neuroscience.

Teaching this subject to Master's students falls within an advanced academic framework aimed at equipping them with analytical and critical tools that enable them to grasp the theoretical frameworks shaping contemporary linguistic research. The objective is not the rote memorization of schools or their founding figures, but rather the development of the capacity to **question concepts, critique methodologies, and construct new explanatory models** responsive to ongoing scientific transformations. For this reason, *Linguistic Theories* is not merely a course of study but rather an **epistemological workshop** for rethinking language as a knowledge structure that opens horizons for interpretation and application—ranging from language teaching and translation to computational linguistics and natural language processing.

Accordingly, these lectures aim to move beyond the descriptive dimension toward the establishment of a **synthetic and critical vision**, one that highlights the dialectical

interplay of concept, object, and method in the construction of linguistic knowledge. They reaffirm that no serious scientific study of language can be achieved without recalling its epistemological foundations and engaging within a multi- and interdisciplinary horizon. They stand as an invitation to the student–researcher to view linguistics not as a closed and completed science but as a dynamic field in constant formation, one that reflects, in every phase of its history, the broader transformations of scientific and human thought.

Thus, *Linguistic Theories* should not be reduced to a transient academic stage within the university curriculum; rather, it is an **open epistemological space** that allows the researcher to critically reflect on the theoretical foundations upon which linguistics was established and to reassess them in light of contemporary scientific transformations. By tracing the dialectics of concept, object, and method, it becomes clear that linguistics has not evolved along a straight line but through qualitative leaps that produced epistemological ruptures with previous modes of thought, thereby redrawing the boundaries of the discipline and expanding its horizons.

The linguistic enterprise, across its structuralist, generative, pragmatic, and computational dimensions, has demonstrated that language is neither a self-evident datum nor a neutral instrument of communication. Rather, it is a **symbolic and cognitive system**, where human innate capacities intersect with social dimensions, and where formal rules interweave with pragmatic conditions, making language a mirror of the transformations of human thought itself. Hence, engaging with linguistic theories is not an end in itself but a means to acquire critical and methodological tools that enable students to produce new knowledge capable of addressing pressing contemporary challenges in fields such as language teaching, translation, artificial intelligence, and discourse analysis.

Consequently, these lectures aim to instill in Master's students the fundamental conviction that linguistics is not a completed body of knowledge, but a **renewable epistemological project** that continually accommodates diverse approaches and wide-ranging applications. The role of the researcher, therefore, is not to replicate established models, but to **develop, critique, and transcend them**, thereby enriching linguistic inquiry at the global level and positioning academic research within the Arab intellectual sphere as an active and influential participant in the international scientific landscape

المحاضرة 01: مدخل منهجي – المفاهيم والمناهج

اللسانيات بين المفهوم، الموضوع، والمنهج

أولا: إطار إبستيمولوجي ومنهجي لتحليل اللغة كمعرفة علمية منظّمة

1. مدخل إبستيمولوجي تأسيسي

تتطلب دراسة اللغة بوصفها مبحثًا علميًّا، لا لغويًّا فقط، مدخلًا إبستيمولوجيًا يُفكّك البنية التحتية التي تنهض عليها المعرفة اللسانية. فكل علم – وفقًا لـ غاستون باشلار – (Bachelard, 1938, p. 14) لا يتحدد إلا من خلال علاقته بمفهومه، وموضوعه، ومنهجه. ويؤكد جورج كانغيلام (Canguilhem, 1977, pp. 45–47) أن هذه الثلاثية ليست إطارًا خارجيًا للعلم، بل هي ما يمنحه كيانه الخاص بوصفه إنتاجًا معرفيًا منتظمًا. في ضوء هذا التأسيس، يتعين علينا تحليل علم اللسان (Linguistics) عبر ضبط مفهومي دقيق، وتحديد موضوعي واضح، وتفصيل منهجي تحليلي، لنُجيب عن السؤال الجوهري: كيف يمكن بناء معرفة علمية باللغة؟

المطلب 01 – في الحاجة إلى مدخل منهجي:

ثلاثية المفهوم–الموضوع–المنهج بوصفها بنية إبستيمولوجية مؤسسة للدرس اللساني

1. ضرورة المدخل الإبستيمولوجي في اللسانيات

كل علم حقيقي يبدأ **بتساؤل منهجي حول شروط إمكانه**، لا حول موضوعه فحسب. فالانطلاق من ظاهرة اللغة نحو تأسيس علم لساني ليس أمرًا بديهيًا، بل هو **فعل إبستيمولوجي معقد** يفترض مساءلة ماهية اللغة ذاتها، والبحث في شروط معرفتها، وتحديد زاوية الاقتراب منها. وهنا يُصبح من غير الممكن الانخراط في مشروع لساني جاد دون وعي نقدي بثلاثية المفهوم–الموضوع–المنهج، التي تمثّل في جوهرها ما يسميه **باشلار** "بنية العقل العلمي" (Bachelard, 1938, p. 12).

الدرس اللساني المعاصر لا يكتفي بوصف الظاهرة، بل يسعى إلى **بناء معرفة موضوعية حول اللغة بوصفها نظامًا ترميزيا قابلاً للتحليل، والتنظير، والنمذجة** .لكن هذا المسعى لا يمكن أن يتحقق من خلال ملاحظات خارجية أو تمثلات فطرية عن "اللغة"، بل يحتاج إلى **تأطير معرفي صارم**.

.2الوظيفة البنيوية للثلاثية (المفهوم–الموضوع–المنهج)

يؤكد **جورج كانغيلام** (Canguilhem, 1977)أن "العلم لا يتحدد بطبيعة الموضوع فحسب، بل من خلال الطريقة التي يُدرَس بها، والإطار النظري الذي يُؤطّره". بناءً عليه، لا يكفي القول إن اللغة هي موضوع علم اللسان، بل يجب مساءلة:

- **ما الذي نُسميه لغة؟ (المفهوم)**
- **أي جوانب من اللغة ندرُس؟ (الموضوع)**
- **بأي أدوات ومناهج ندرُس؟ (المنهج)**

هذه الثلاثية ليست مجرد ترتيب منطقي للتفكير، بل هي ما يمكن تسميته بـ **البنية العميقة لكل ممارسة علمية** (structure épistémologique),لأنها تؤسس للدرس وتمنحه:

- **شرعية التخصص،**
- **قابلية التجريب،**
- **إمكان التطور التاريخي والتراكمي.**

كل إخلال بهذا التوازن الثلاثي يُفضي إلى خلل في ممارسة اللسانيات نفسها، وهو ما سنلاحظه لاحقًا في بعض التيارات التي اختزلت الدرس اللساني في بعد واحد (كالبعد البنيوي فقط، أو التداولي فقط).

.3التاريخ الداخلي للعلم وانبثاق الثلاثية

يمكن تتبع **أثر هذه الثلاثية في التكوين التاريخي للعلم اللساني** منذ القرن التاسع عشر:

- في اللسانيات التاريخية–المقارنة، تم التركيز على "الموضوع (langue) بوصفه أثرًا لتغيرات صوتية وزمنية، مع منهج مقارن قائم على الاستقراء، ومفهوم عام للغة ككائن عضوي متطور.
- في اللسانيات البنيوية مع **دي سوسير**، ارتفعت أهمية "المفهوم"، وتمت إعادة تعريف اللغة بوصفها نسقًا من الفروق الاعتباطية(Saussure, 1916) ، مما استلزم تجديدًا في المنهج أيضًا.
- في اللسانيات التوليدية، خصوصًا مع **تشومسكي**، هيمن المنظور العقلي، وانتقل التركيز إلى "المنهج"، بوصفه استدلالًا منظمًا على البنى العميقة، وليس مجرد ملاحظة سطحية.(Chomsky, 1965)

هذا التنقل بين أضلاع الثلاثية في التاريخ اللساني يبين أنها ليست مجرد عناصر مستقلة، بل هي **دائرة معرفية ديناميكية**، تدور في كل مرة حول نقطة مختلفة، وتُعيد تشكيل المشروع العلمي وفقًا لطبيعة التوجه.

.4تفكيك الاختزالات الخاطئة للدرس اللساني

كثير من الإشكالات المعاصرة في تعليم اللسانيات وتطبيقاتها تنشأ من التعامل مع هذه الأبعاد الثلاثة بشكل اختزالي، كما يلي:

- الاقتصار على **الموضوع** (اللغة كما هي) دون مساءلة المفهوم، يؤدي إلى **وصف سطحي تجريبي محدود**.
- التركيز على **المفاهيم** (التجريدات النظرية) دون معطيات موضوعية يؤدي إلى **ميتافيزيقا لغوية** منفصلة عن الواقع.
- اعتماد **المنهج** بوصفه تقنية دون خلفية مفهومية أو تحديد للموضوع يُفضي إلى **إجرائية جوفاء** لا تنتج معرفة فعلية.

ومن هنا تبرز قيمة هذه الثلاثية لا كإطار تصنيفي، بل ك **بنية تحليلية إبستيمية وظيفية**، تُحقق ما يسميه **كوليولي** (**Culioli, 1990**)بـ"الفعل اللساني المؤسس"، أي القدرة على إنتاج معرفة قابلة للتعميم، والتركيب، والمقارنة.

.5اللغة كموضوع لا يتحدد إلا من داخل بنية ثلاثية

اللغة ليست معطى حسيًّا مباشرًا، بل هي **كائن معرفي متداخل**، له مظاهر صوتية، دلالية، نفسية، واجتماعية. ومن ثمّ فإن مقاربتها تتطلب:

- *إعادة تعريف المفهوم* :أي ما نقصده بكلمة "لغة."
- *اختيار مستوى الموضوع* :هل ندرس اللغة كبنية؟ أم كنشاط؟ أم كممارسة اجتماعية؟
- *تحديد المنهج الملائم* :وصفي؟ توليدي؟ تداولي؟ تجريبي؟

هنا يتضح أن فعل "الدرس" ذاته لا ينفصل عن رؤية الباحث، وعن زاويته في **تنظيم علاقته بالمعرفة** .وبذلك فإن الثلاثية ليست خارجية عن الدرس، بل هي **شروطه الداخلية**.

.6في ضرورة التربية الإبستيمولوجية للباحث اللساني

يتطلب بناء رؤية لسانية علمية **تربية إبستيمولوجية** صلبة، تبدأ من إدراك أن أي مشروع علمي لا يقوم فقط على أدوات تحليل، بل على:

- موقف نظري صريح (المفهوم)
- موضوع معرفي مضبوط (اللسان)
- منهج إجرائي ملائم (النموذج)

وهذا ما يجعل هذه الثلاثية إطارًا تكوينيًا لا غنى عنه، سواء في البحث الأكاديمي أو في بناء المناهج التطبيقية، أو حتى في تدريس اللسانيات.

الاستشهادات العلمية داخل النص:

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Canguilhem, G. (1977). *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin.
- Saussure, F. de (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Culioli, A. (1990). *Pour une linguistique de l'énonciation*. Ophrys.

✓ خلاصة تحليلية للمطلب 01:

إن **الثلاثية المنهجية** (المفهوم – الموضوع – المنهج) ليست مجرّد مبادئ تنظيمية للدرس اللساني، بل هي *بنية معرفية كاشفة* لحدود التفكير العلمي نفسه. ومن ثمّ، فإن مشروع اللسانيات لا يتحقق إلا من داخل هذه البنية، لا خارجها.

وكل وعي لساني لا ينطلق من هذه الثلاثية يظل حبيسًا في براديغمات متقادمة، أو أدوات تقنية مبتورة من سياقها الإبستيمي.

ثانيًا: المفهوم – نحو ضبط ماهية "علم اللسان"

حفريات إبستيمولوجية في التكوين المفاهيمي لعلم اللغة الحديث

.1تفكيك التصور الساذج للمفهوم

إن استدعاء مفهوم "علم اللسان" لا ينبغي أن يتم بوصفه معطًى بديهيًا، أو مصطلحًا وظيفيًا شائعًا في الخطابات المعاصرة، بل يجب مساءلته وفق ما يسميه **فوكو** بـ"حفريات المعرفة(Foucault, 1969) "، أي مساءلة الظهور، والانبثاق، والتحول الذي خضع له المفهوم داخل تشكيله الخطابي والمعرفي.

وعليه، فإن ضبط ماهية علم اللسان يتطلب تفكيكًا مزدوجًا:

- أولاً: تحليل الشروط الإبستيمولوجية التي سمحت بتكوّن هذا المفهوم.
- ثانيًا: فهم تحوّله من "تأمل فلسفي حول اللغة" إلى **نظام توليدي من المفاهيم والأدوات والنماذج**.

.2التحول من النظر الفلسفي إلى التصور العلمي

جاء تعريف **جون لاينز** في مستهل كتابه *Introduction to Theoretical Linguistics* بمثابة إعلان نظري حاسم:

"Linguistics is defined as the scientific study of language" (Lyons, 1968, p. 1).

إن هذا التعريف ليس مجرد صيغة افتتاحية، بل هو **تحول إبستيمولوجي حاد** يفصل بين خطابين:

- خطاب **ما قبل علمي** يرى في اللغة موضوعًا للتأمل الذوقي، أو التحليل الفقهي، أو التفسير اللاهوتي؛
- وخطاب **علمي–تركيبي** يسعى إلى بناء معرفة منضبطة بالمنهج، والتجريب، والتعليل.

وفقًا لهذا التحول، لم تعد اللغة تُرى كـ"معطى طبيعي"، بل كـ"كائن رمزي منتظم *système symbolique organisé*) "، له بنيته الخاصة، ووظائفه المتعددة، وهو ما يجعل دراسته مشروطة بشروط العلم الحديث: التجريد، النمذجة، والقدرة على التعميم.

.3اللسان بوصفه كائنًا رمزيًا ومنظمًا

يستند مفهوم "علم اللسان" إلى ثلاث فرضيات مركزية تتكرر بصيغ مختلفة عند سوسير، تشومسكي، وكوسيريو، وهي:

أ. اللغة ككائن رمزي منتظم

أي أن اللغة ليست عشوائية ولا قائمة على المحاكاة المباشرة للطبيعة، بل هي "نسق من الفروق غير القابلة للاختزال .(Saussure, 1916) "فالرمز (sign) ليس مجرد إحالة إلى مرجع خارجي، بل هو بنية داخلية قائمة على الاختلاف لا على التطابق. ومن هنا جاء التركيز على العلاقة بين "الدال والمدلول"، لا بين "الكلمة والشيء."

ب. اللغة قابلة للرصد والتحليل

بمعنى أن اللغة تمتلك بنية تحتية (structure) يمكن تمثيلها ووصفها وتحليل مكوناتها الأساسية، من الأصوات إلى التراكيب إلى الدلالة. وقد قدّم **تشومسكي** هذا المفهوم في نظريته حول **"النحو التوليدي التحويلي"**، حيث لم تعد اللغة مجرد "سلوك"، بل نظام توليدي مركّب تحكمه قواعد صورية.(Chomsky, 1965)

ج. اللغة ليست انعكاسًا اجتماعيًا فقط، بل قدرة فطرية

وقد عبّر **كوسيريو** عن هذا الطابع المعرفي للغة حين فصل بين "المعرفة اللغوية الكونية" و"النشاط الخطابي"، مشيرًا إلى أن اللسانيات ليست فقط وصفًا لخطابات، بل علمًا يُعنى بـ"الشروط الداخلية لتكوّن الدلالة (Coseriu, 1974). "

◈العنصر 4: من المفهوم إلى الجهاز المفاهيمي – نحو هندسة معرفية للدرس اللساني

حين نتحدث عن "مفهوم علم اللسان"، فإننا لا نقف عند حدود تعريفه التعريفي أو الاصطلاحي، بل نتعامل معه بوصفه **بنية توليدية للمعرفة اللسانية**، تعمل كرافعة إبستيمولوجية تنتج نسقًا من المفاهيم الفرعية والأدوات المنهجية المتفرعة عنه. هذه الديناميكية ليست مجرد توسع في المضمون، بل هي ما يمكن تسميته بـ"الهندسة المعرفية الداخلية" للعلم، أي قدرته على تشكيل جهاز مفاهيمي (appareil conceptuel) قادر على تفسير الظاهرة اللغوية انطلاقًا من مركز نظري محدد.

فمفهوم "علم اللسان" لا يوجد أبدًا في عزلة دلالية. بل ما إن يُعلن حتى يستدعي تلقائيًا مفاهيم مثل: "البنية "(structure)، "النظام(système) "، "العلامة(signe) "، "اللسان(langue) "، "الكفاية "(competence)، "الأداء(performance) "، "المحور الاستبدالي والتركيبي (axes "paradigmatiques/syntagmatiques)، "التوليد(générativité) "، "التداول "(pragmatique)، وغيرها. وهذه المفاهيم ليست مترادفات عشوائية، بل هي ما يسميه **ميشال فوكو** بـ"الأرشيف الخطابي للمجال المعرفي"، أي التشكيل الذي يُنتج المعنى داخل بنية معرفية محددة (Foucault, 1969).

تاريخيًا، كل مرحلة إبستيمولوجية في اللسانيات أدت إلى إعادة هيكلة هذا الجهاز المفاهيمي. فإذا كان دي سوسير قد فتح الباب أمام مفهوم "النسق المغلق" للغة بوصفها شبكة من الفروق(Saussure, 1916) ، فإن تشومسكي في منتصف القرن العشرين أدخلنا إلى نموذج لغوي أكثر تجريدًا، حيث المفاهيم باتت تتحدد داخل معمار نظري يربط اللغة بالفكر، ويؤسس "لميكانيكا توليدية" تشتغل وفق قواعد صورية منضبطة (Chomsky, 1965).لقد انتقلنا من حقل لغوي قائم على الوصف، إلى **حقل نموذجي يعمل وفق معادلات اصطلاحية تُقارب النموذج العلمي الطبيعي** في دقته وشموله.

بهذا المعنى، فكل حديث عن "مفهوم علم اللسان" يفترض فهم بنيته الداخلية لا كتعريف قواميسي، بل كحقل دلالي توليدي يُنتج شبكة من المفاهيم تُمارس سلطتها التفسيرية على كل ما يُقارب من الظواهر اللغوية. إنه ليس حجر الأساس فقط، بل هو المعمار بأكمله.

◈ **العنصر 5: أركيولوجيا المفهوم – من اللفظ إلى النسق**

لا يمكننا فهم المفهوم الحديث لعلم اللسان دون أن نُخضعه إلى قراءة أركيولوجية تحفر في طبقاته الخطابية، وتتقصّى مسارات تشكله عبر تحولات الفكر الغربي والعربي. إن المفهوم – كما يوضّح **فوكو** –لا ينبثق فجأة، بل ينمو من خلال تراكم تاريخي غير مرئي غالبًا، تتداخل فيه الأنماط الخطابية، والأطر المؤسسية، والأدوات المفهومية (Foucault, 1969).ومفهوم "علم اللسان" مثال صارخ على ذلك، إذ لم يكن له وجود صريح بوصفه علمًا بالمعنى الدقيق قبل أواخر القرن التاسع عشر.

يمكن أن نُميّز ثلاث لحظات إبستيمولوجية أساسية ساهمت في التمهيد لهذا المفهوم:

1. **اللحظة الفلسفية–الأنطولوجية** :حيث تم التعامل مع اللغة من منظور المقولات الكبرى للوجود والعقل. عند أفلاطون وأرسطو، كانت اللغة مرآة للواقع ومحمولة على اللوغوس الكوني. هنا لم تكن اللغة موضوعًا قائمًا بذاته، بل كانت **وظيفة للوجود والعقل.**
2. **اللحظة اللاهوتية–النحوية** :في التراث العربي الإسلامي وفي المدرسة السكولائية، برز اهتمام "نحوي" باللسان، ولكنه كان اهتمامًا محكومًا بالتفسير الفقهي أو الحجاج المنطقي. فالنحو كان يُنظر إليه كفن أخلاقي وتربوي، لا كعلم مستقل قائم على فرضيات علمية.
3. **اللحظة العلمية–الحداثية** :مع دي سوسير وتأسيس البنيوية، حيث انتقلت اللغة من كونها موضوعًا تأمليًا إلى أن تصبح **بنية قابلة للتحليل العلمي** .ظهرت هنا لأول مرة ملامح العلم المستقل الذي يُعنى باللغة بوصفها نظامًا مكتفيًا بذاته، ومنفصلًا عن الباث والمتلقي، بل وعن المرجع الخارجي. هذا الانتقال هو ما عبّر عنه **أورّو** (**Auroux, 1989**) حين وصف نشأة اللسانيات الحديثة بـ"الثورة التكنولوجية للتمفصل الصوتي–الكتابي"، والتي سمحت بإعادة تموضع اللغة داخل بنية علمية معرفية.

ما يجب التأكيد عليه أن هذا التحول لم يكن تطورًا خطيًّا أو طبيعيًا، بل هو **قطيعة إبستيمولوجية مع التصورات السابقة**، حيث تمّ نزع القداسة عن اللغة، وفصلها عن الهوية، واعتبارها جهازًا له قوانينه الداخلية التي يمكن تحليلها خارج كل انفعال أو ذوق أو سلطة.

وبذلك، فإن "علم اللسان" ليس استمرارًا لما سبقه، بل هو إعادة توليد مفهومي داخل براديغم مختلف تمامًا، يُعيد صياغة العلاقة بين اللغة والمعرفة والعقل، ويضعها في موقع جديد يُمكّنها من أن تُدرس كما تُدرس الظواهر الطبيعية المعقدة.

◈ العنصر 6: المفهوم بوصفه قوة تفسيرية – من الإطار النظري إلى الأفق النمذجي

لا يُقاس المفهوم العلمي بقوته التداولية أو بشيوعه الاصطلاحي، بل بما يمتلكه من **قوة تفسيرية (Puissance explicative)** تمكّنه من توليد فرضيات علمية، وصياغة نماذج نظرية، وتقديم أدوات تحليل تتجاوز مستوى الظاهرة إلى مستوى التفسير والبناء. وفي هذا السياق، يمثل "مفهوم علم اللسان" قوة تفسيرية متعددة المستويات.

أولًا، على المستوى **الأنطولوجي**، يعيد هذا المفهوم تعريف اللغة من كونها أداة تعبير أو تواصل، إلى كونها **آلية إنتاج للمعنى** .هذه النقلة ليست لغوية فحسب، بل هي فلسفية أيضًا، لأنها تُغيّر طبيعة العلاقة بين الإنسان والعالم، وتجعل اللغة وسيطًا معرفيًا لا مجرد مرآة.

ثانيًا، على المستوى **الإجرائي**، فإن قوة المفهوم تتجلى في قدرته على تمكين اللساني من التعامل مع مستويات متعددة من الظاهرة اللغوية، من الصوت إلى الخطاب، من الجملة إلى الإيديولوجيا، دون أن يفقد ترابطه الداخلي أو انضباطه المنهجي. وقد عبر **تشومسكي** عن هذا الطموح في أكثر من موضع، مؤكدًا أن النماذج اللسانية يجب أن تكون قابلة للتعميم، وقابلة للاختبار، دون أن تفقد قدرتها على التعامل مع التعقيد الطبيعي للغة (Chomsky, 1980).

ثالثًا، على المستوى **المعرفي–النمذجي**، فإن المفهوم لا يشتغل وحده، بل يعمل ضمن شبكة مفاهيمية–منهجية تتيح إنتاج نظريات، وتطوير مدارس، وتفسير ظواهر غير لغوية أيضًا، كالإيديولوجيا والسلطة والمعرفة. هذا ما نلاحظه بجلاء في التطبيقات اللسانية المعاصرة: في تحليل الخطاب، وفي تعليم اللغات، وفي الذكاء الاصطناعي، وحتى في علم الأعصاب اللغوي.(neurolinguistics)

كل ذلك يؤكد أن "مفهوم علم اللسان" ليس مجرد مدخل إلى العلم، بل هو **محرك إبستيمولوجي داخلي** يُعيد بناء علاقة الباحث باللغة، لا باعتباره مستخدمًا لها، بل باعتباره محللًا لمكوناتها، مفككًا لأنظمتها، وفاعلًا في تمفصلاتها التأويلية.

المراجع داخل النص:(APA)

- Auroux, S. (1989). *La révolution technologique de la grammatisation*. Paris: Albin Michel.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Chomsky, N. (1980). *Rules and Representations*. Columbia University Press.
- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Gallimard.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.

المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

✓ خلاصة تحليلية للمطلب:

يتجلى "مفهوم علم اللسان" في ضوء هذا التحليل بوصفه **بنية إبستيمولوجية مركبة** لا تنفصل عن مشروع العقلانية الحديثة.

إنه ليس اسمًا لمجال معرفي فقط، بل هو **مشروع تأويلي شامل** يسعى إلى تفسير ظاهرة اللغة من حيث هي نظام، وظيفة، ومعرفة.

وهو ما يجعل من تحليل المفهوم **ضرورة تأسيسية** قبل الخوض في الموضوع والمنهج.

ثالثًا: الموضوع – اللسان بوصفه ظاهرة لغوية علمية

نحو بناء إبستيمولوجيا لسانية للموضوع

.1. من المفهوم إلى الموضوع – انزياح إبستيمولوجي من التأسيس إلى الإجراء

ليس الانتقال من "المفهوم" إلى "الموضوع" مجرد تنقل بين نقطتين في مخطط وظيفي، بل هو انزياح إبستيمولوجي جوهري يعبّر عن تحوّل في طبيعة الفعل العلمي ذاته، حيث نمر من مرحلة التأسيس النظري إلى مرحلة الفعل التحليلي–الإجرائي .فالمفهوم يعمل كعدسة تفسيرية تسمح لنا بإدراك ما هو ممكن في الظاهرة، أما الموضوع فهو تحديد لما يُفترض أن يكون موجودًا وقابلًا للتفكيك والتحليل ضمن منطق هذه العدسة.

في هذا السياق، لا يُعرّف "الموضوع" كمجرد شيء خارجي يمكن ملاحظته أو قياسه، بل هو بنية معرفية مُشكّلة من خلال المفهوم ذاته .وبالتالي، لا يوجد موضوع في ذاته، بل "موضوع تمّ بناؤه معرفيًا"، كما أشار غاستون باشلار في نقده للواقعية الساذجة.(Bachelard, 1938, p. 14)

بناءً عليه، لا يُنظر إلى "اللسان الطبيعي" في الدرس اللساني كمجموعة من الظواهر الصوتية أو النحوية المعطاة مباشرة، بل يُعاد تشكيله كـ"موضوع" وفق الشروط التي يفرضها المفهوم، والمنظور النظري الذي تم اعتماده. فكل مدرسة لسانية، من البنيوية إلى التوليدية إلى التداولية، تُنتج موضوعها الخاص انطلاقًا من تصورها للغة:

- إذا كانت اللغة "نظام فروق"، فإن الموضوع سيكون "بنية لغوية مغلقة."
- وإذا كانت "ملكة فطرية"، فإن الموضوع سيكون "نحو كلي ضمن العقل."
- وإذا كانت "فعلًا تواصليًا"، فإن الموضوع سيُعاد بناؤه داخل سياق التداول.

هذا ما يجعل الموضوع في اللسانيات نتاجًا لتحديد إبستيمولوجي مسبق، لا مجرد انعكاس تلقائي للظاهرة اللغوية. وهنا يتجلى الطابع الحداثي لعلم اللسان: أنه لا يصف ما هو قائم، بل يبني ما يمكن اعتباره قابلاً للتحليل ضمن نموذج معرفي معين .وكما لاحظ فوكو، فإن ما يُسمّى "موضوعًا" في الحقول المعرفية الحديثة هو نتيجة تموضع داخل شبكة خطابية لا تُعطيه وجودًا طبيعيًا بل اصطناعيًا.(Foucault, 1969)

.

.2تمييز دي سوسير بين اللسان والكلام: من الظاهرة إلى النظام

لعلّ أوضح تمثّل لهذا الانتقال نجده في التمييز السوسيري بين **اللسان (langue)** والكلام**(parole)** ، والذي يمثّل لحظة تأسيسية في بناء اللسانيات كعلم. فاللسان، كما يراه **دي سوسير**، هو **النسق الجماعي المجرد** الذي تنتجه الجماعة اللغوية وتُحافظ عليه، بينما الكلام هو **التمظهر الفردي العابر** لهذا النسق في الاستعمال (Saussure, 1916).

هذا التمييز له دلالة إبستيمولوجية عميقة، فهو يفصل بين ما هو **قابل للتجريد والتنميط والتحليل النظامي،** وما هو **فردي، متغيّر، غير قابل للتعميم المنهجي** .من هنا أصبحت **مهمة علم اللسان ليست وصف الكلام كما هو، بل تحليل البنية التحتية التي تجعل الكلام ممكنًا** .وهو ما يتفق مع ما أكده **Chomsky** **(1965)**لاحقًا، حين ميّز هو الآخر بين "الكفاية اللغوية (*competence*) "و"الأداء " (*performance*).

بهذا المعنى، فإن الموضوع الحقيقي لعلم اللسان ليس هو الاستعمال الفردي للغة، بل هو **النظام الداخلي المنتظم الذي يُنتج هذا الاستعمال.**

.3الخصائص الإبستيمولوجية للموضوع اللساني

يمتلك موضوع "اللسان الطبيعي" جملة من الخصائص المعرفية التي تُميّزه عن مواضيع العلوم الأخرى، وتجعل من دراسته عملية معقدة تتطلب تفكيكًا مزدوجًا :**تحليليًا داخليًا لبنيته، وتفسيرًا خارجيًا لسياقه** .يمكن تلخيص هذه الخصائص كما يلي:

أ. تمثيلي رمزي

اللسان ليس مجرد سلسلة من الأصوات أو الرموز، بل هو **بنية ترميزية تولد المعنى،** تُعيد تشكيل الواقع عبر منظومة من العلاقات الاعتباطية. ووفقًا لسوسير، فإن العلامة اللغوية لا تربط بين "شيء" و"اسم"، بل بين "دال" و"مدلول"، أي بين شكل وصورة ذهنية، في علاقة اعتباطية تحكمها بنية داخلية.(Saussure, 1916)

هذا البعد الرمزي يجعل اللسان **وسطًا معرفيًا لا مجرد وسيلة تواصل،** ويمنحه استقلالية نسبية عن المرجع أو السياق.

ب. اجتماعي تشاركي

على الرغم من طابعه الرمزي، فإن اللسان ليس إنتاجًا فرديًا. بل هو **نتاج اجتماعي تعاوني،** يتكوّن ضمن الجماعة اللغوية، ويُتعلّم من خلال التفاعل، لا من خلال البرمجة الذاتية. وهو ما أكده **Émile Benveniste**

(1966)حين بيّن أن اللغة لا تتحقق إلا من خلال *intersubjectivité*، أي التشارك الذهني بين الذوات المتواصلة.

هنا يُصبح اللسان ظاهرة "بين—ذاتية"، لا تختزل في الباث أو المتلقي، بل في البنية الجماعية المنتجة لهما معًا.

ج. دينامي متغيّر

بخلاف موضوعات العلوم الطبيعية (كالذرة، أو الكتلة، أو السرعة)، فإن اللسان يتغير باستمرار: صوتيًا، صرفيًا، دلاليًا، تداوليًا. إنه **كائن زمني—تاريخي**، يتطور وفق آليات داخلية (التحوير، الاقتصاد، الاستعارة) وخارجية (الهيمنة، التمازج، الهجرة، التعليم).

وهذا ما يجعل كل توصيف له مجرد لحظة تحليلية مؤقتة، تتطلب نماذج قابلة للتكييف والتوسيع المستمر، كما في أعمال **Labov** في علم اللغة الاجتماعي.(Labov, 1972)

د. غير قابل للرصد المباشر

واحدة من أهم مشكلات اللسانيات أن موضوعها غير قابل للرؤية المباشرة أو القياس المخبري. فـ"اللسان الطبيعي" لا يُرصد كما تُرصد الجزيئات أو الحركات، بل يُستدل عليه من خلال الاستعمال ,(*usage*) ويُحلل عبر التأويل .(*interpretation*) ولذلك يحتاج إلى **أدوات منهجية خاصة** :كالتقويم النحوي، التجريب الإدراكي، تحليل الأداء، واستخراج الكفاية.

إن هذه "اللامادية الظاهرة" للموضوع هي التي دفعت **(1980) Chomsky**إلى وصف التحليل اللساني بأنه "محاولة لاستعادة بنية لا مرئية من خلال آثارها في الأداء"، أي أن الموضوع هنا ليس معطى، بل *مُعاد بناؤه نظريًا* .

4. من الموضوع إلى النمذجة – اللسان كأفق استنباطي مؤسَّس

إذا كانت الملاحظات اللغوية اليومية تنطلق من تتبع الكلام المحكي أو المكتوب، فإن علم اللسان لا يشتغل على هذه المعطيات إلا باعتبارها مؤشرات لشيء أعمق يُعاد بناؤه على نحو صوري .وهنا يصبح "الموضوع" مجرد مدخل أولي إلى حقل نمذجة عقلاني يسعى إلى الكشف عن بنية ضمنية تنتظم خلف التعدد الظاهري.

بمعنى آخر، اللسان لا يُدرس كما يُرى أو يُسمع، بل كما يُبنى ويُنظَّر له. وهذا ما يجعل النمذجة – لا الملاحظة – هي الفعل الجوهري للبحث اللساني.

وقد صرّح نعوم تشومسكي أن التحليل اللساني الجاد لا يهدف إلى وصف الأداء كما هو، بل إلى استخراج نموذج داخلي يحاكي الكفاية اللغوية، أي القدرة الذهنية التي تمكّن المتكلم من إنتاج وفهم عدد لا نهائي من الجمل .(Chomsky, 1965)

إن هذا التحول من الموضوع الظاهر إلى نموذج تحليلي كامن يُعيدنا إلى ما وصفه كانغيلام بضرورة "تشييد الظاهرة من داخل شروط خطابها"، أي أن العالم (le phénomène) لا يوجد إلا بمقدار ما نمتلك من أدوات لتحويله إلى نموذج علمي.(Canguilhem, 1977)

في هذا الإطار، لا يُعد "اللسان الطبيعي" وحدة قابلة للوصف المباشر، بل هو وحدة اصطناعية—نظرية يُعاد إنتاجها في كل مدرسة لسانية عبر شبكة مفاهيمية وإجرائية مختلفة.

ففي البنيوية، يُعاد تمثيله كبنية توازنية مغلقة؛

وفي التوليدية، يُبنى كنموذج حسابي استنباطي؛

وفي التداولية، يُؤطر كإجراء وظيفي وسياقي.

لكن على الرغم من اختلاف هذه النماذج، فإنها تتفق على مبدأ جوهري: أن ما ندرسه في اللسان ليس "الكلمات" أو "الأصوات" أو "الخطابات" في حد ذاتها، بل نظامٌ من العلاقات المتكررة التي تُستخلص من هذه المعطيات، وتُعبّر عنها بشكل رمزي أو رياضي أو تصنيفي.

إن هذا الأفق الاستنباطي للنمذجة هو ما يجعل اللسانيات علمًا حقيقيًا لا تأملاً أو تأريخًا، بل بناءً لنماذج تفسيرية يمكن تعميمها، واختبارها، وتطويرها نظريًا وتجريبيًا، كما يحدث في التجريب النفسي اللغوي، والنمذجة الحاسوبية، وتحليل الأنماط الصوتية والإيقاعية.

وفي هذا المعنى، فاللسانيات أقرب إلى الهندسة النظرية للغة منها إلى الوصف المدرسي، لأنها لا تكتفي بملاحظة اللسان، بل تعيد كتابته داخل نموذج علمي قابل للضبط.

.

الاستشهادات داخل النص:(APA)

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l’esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard.
- Canguilhem, G. (1977). *Études d’histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.

- Chomsky, N. (1980). *Rules and Representations*. Columbia University Press.
- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Gallimard
- Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.

☑ **خلاصة تحليلية:**

يمثل "اللسان الطبيعي" موضوعًا مركبًا للدرس اللساني، ليس فقط لتعدديته الرمزية والاجتماعية والتاريخية، بل لأنه **لا يُعطى مباشرة للعين، بل يُبنى من خلال الفعل العلمي ذاته**. إنه موضوع غير مرئي يتطلب نموذجًا مرئيًا، وبنية صامتة تحتاج إلى تفسير ناطق.

ومن ثم، فإن علم اللسان لا يُحدد فقط بما يُقال عن اللغة، بل **بطريقة بناء موضوعها وتحويله إلى نمط من أنماط المعرفة العلمية القابلة للتفسير، والتعميم، والتداول.**

رابعًا: المنهج – من التصور إلى الإجراء

1. ❖المنهج بوصفه بُنية مؤسِّسة للمعرفة اللسانية

إن العلاقة بين المنهج والمعرفة في أي علم ليست علاقة تبعية وظيفية فقط، بل هي علاقة تأسيس متبادل :**فلا معرفة علمية دون منهج، ولا منهج دون تصور معرفي محدد لطبيعة الموضوع** .وهذا ما يجعل "المنهج" في اللسانيات ليس مجرد تقنية تحليلية تُطبق على اللغة، بل هو **تجلٍّ إبستيمولوجي للتصور العام حول ما يُعد علمًا، وما يُعد ظاهرة قابلة للدرس** .(Canguilhem, 1977)

في هذا الإطار، يُصبح المنهج أكثر من مجرد "أداة" أو "طريقة"، بل **مسلكًا في التفكير، وشكلًا في الرؤية، وفضاءً للتمفصل بين المعطى والفرضية، بين الواقع اللغوي والنموذج النظري** .كما أن اختلاف المناهج في الدرس اللساني لا يعكس مجرد تباين في الأدوات، بل **اختلافًا عميقًا في بنية التصور نفسه حول اللغة: هل هي نظام؟ هل هي ملكة؟ هل هي تفاعل؟ هل هي بنية اجتماعية؟**

وهكذا، فإن التعدد المنهجي داخل علم اللسان هو **انعكاس مباشر لتعدد "الإبستيميات" المؤسسة له**، أي أن كل مدرسة لسانية تبلور منهجها الخاص وفق ما تفترضه مسبقًا عن طبيعة اللغة، وحدودها، ووظائفها.

2. ❖المنهج الوصفي: من الظاهرة إلى النظام المغلق

ظهر المنهج الوصفي في قلب مشروع البنيوية، بوصفه استجابة إبستيمولوجية لمحاولة "تطهير" الدرس اللساني من الأحكام المعيارية والتاريخانية، والتركيز على **وصف البنية كما هي، لا كما ينبغي أن تكون** .وقد نظّر له دي سوسير في "Cours de linguistique générale" حين دعا إلى دراسة اللسان "في ذاته ومن أجله"، باعتباره نظامًا متزامنًا لا خطيًا، مستقلًا عن الباث والمتلقي والمرجع.(Saussure, 1916)

إن ما يميز هذا المنهج هو **راديكاليته البنيوية** :فهو لا يسأل عن "المعنى" أو "القصد"، بل عن "العلاقات البنيوية بين الوحدات اللغوية"، مع إهمال تام للمتغيرات التداولية أو التاريخية. وهكذا يُعيد المنهج الوصفي تشكيل اللغة كمصفوفة رياضية مغلقة من الفروق، حيث تتحقق المعاني من خلال مواقعها النسبية داخل النسق، لا من خلال مرجع خارجي.

وقد طور بلومفيلد هذا الاتجاه لاحقًا في(1933) "Language" ، مؤسِّسًا لما يُعرف بالوصفية الأمريكية، التي تعاملت مع اللغة كما تُنتج في الواقع دون مرجعية داخلية للعقل أو الثقافة، مما جعلها لاحقًا تُنتقد من طرف المنهج التوليدي لافتقارها للعمق التفسيري.(Chomsky, 1965)

3. ❖المنهج التوليدي: من الكفاية إلى النمذجة العقلانية

يمثل المنهج التوليدي، الذي دشّنه نعوم تشومسكي، **تحولًا إبستيمولوجيًا حاسمًا في تاريخ اللسانيات**. ففي كتابه المرجعي"Aspects of the Theory of Syntax" (1965)، رفض تشومسكي المقاربة الوصفية لسطح اللغة، ودعا إلى بناء **نظرية عقلانية داخلية للكفاية اللغوية** (linguistic competence)، أي القدرة الفطرية لدى المتكلم–السامع على إنتاج عدد لا نهائي من الجمل الصحيحة ضمن لغة ما.

وهكذا، انتقل المنهج من وصف الاستعمال إلى **استنباط النموذج التوليدي الذي يُحاكي الآليات الذهنية المجردة** لإنتاج اللغة. لم تعد اللغة تدرس كما تُسمع، بل كما تُفترض في العقل. وهذا ما يجعل المنهج التوليدي ليس فقط طريقة في التحليل، بل **نموذجًا في التفكير عن الإنسان واللغة والمعرفة.**

وقد تطور هذا المنهج من نحو تحويلي بسيط إلى نحو توليدي–ربطوي، ثم إلى النحو الكلي، حيث **أصبحت اللغة تُدرس بوصفها تجليًا للدماغ الإنساني، وقانونًا بيولوجيًا يتموضع بين الجينات والتمثيلات العصبية** (cf. Chomsky, 1980).

4. ❖المنهج المقارن–التاريخي: اللغة كتتابع زمني وحركة نسبية

على عكس التزامن البنيوي والتجريد التوليدي، يتمحور المنهج المقارن–التاريخي حول دراسة اللغة **في حركتها الزمنية، وتطورها من خلال تغيراتها الصوتية والصرفية والدلالية عبر العصور**. وقد نشأ هذا المنهج في القرن التاسع عشر، خاصة مع المدرسة الهندو–أوروبية، حيث حاول الباحثون تحديد الأصول المشتركة للغات من خلال مقارنة انتظام التغيرات الصوتية.(cf. Schleicher; Brugmann)

لكن ما يعطي لهذا المنهج طابعه الإبستيمولوجي الخاص هو أنه **لا يدرس اللغة في لحظة سكون، بل في حالة عبور**، أي باعتبارها كائنًا تاريخيًا يُنتج ذاته باستمرار من خلال التغير. وفي هذا السياق، يصبح "التاريخ" ليس مجرد خلفية، بل **عاملًا تفسيرياً في بنية النسق ذاته.**

وقد أعاد هذا المنهج الاعتبار للبعد الأنطولوجي للزمن داخل اللغة، وفتح الباب أمام حقل اللسانيات التاريخية والاجتماعية، والذي سيتم لاحقًا تطويره من طرف لابوف وغيرهم.(Labov, 1972)

5. ❖المنهج التداولي: من البنية إلى الفعل

يأتي المنهج التداولي كاستجابة نقدية للمنهجين البنيوي والتوليدي، موجهًا نظره إلى ما كان مغفَلًا فيهما: **السياق، القصد، المتكلم، والمستعمل الواقعي للغة**. وقد أسس له أوستن في "How to Do Things with Words" (1962)، ثم سيرل وغرايس، من خلال مقولة "فعل الكلام.(*speech act*) "

تقوم التداولية على فرضية أن اللغة ليست نظامًا مغلقًا أو قدرة فطرية فقط، بل هي **فعل تواصلي يُنجز في سياق اجتماعي–ثقافي محدد** .وبالتالي، فإن فهم اللغة يتطلب تحليلًا لما يُقال، ولمن يُقال، ولماذا يُقال، وكيف يُستقبل. وهنا يُصبح المنهج التداولي ليس فقط بُنية تحليل، بل **ميدانًا لتقاطع الفلسفة، السيميائيات، السوسيولوجيا، والأنثروبولوجيا**.

وهكذا، فإن التداولية أعادت اللغة إلى العالم، بعد أن عزلتها البنيوية داخل النسق، وأعادتها إلى الذوات، بعد أن جرّدتها التوليدية من الفردانية.

6. ❖المنهج كاختيار إبستيمولوجي لا إجراء تقني

يتضح مما سبق أن المنهج اللساني ليس مجرد أداة محايدة، بل هو **انعكاس مباشر للتصور المعرفي الذي يتبناه الباحث حول طبيعة اللغة وطبيعة المعرفة الممكنة عنها** .فالمنهج الذي يُختار يُحدد ما يُراد رؤيته، وما يُعد جديرًا بالتحليل، وما يُهمَل كـ"تشويش."

وقد عبر **أنطوان كوليولي (Culioli, 1990)** عن هذه الرؤية حين أكد أن "كل تحليل لساني هو في جوهره مشروع إبستيمولوجي، يُفكك الظاهرة وفق زاوية رؤية معينة، ويُعيد تشكيلها داخل بناء تفسيري منسجم مع هذه الرؤية."

وبالتالي، فإن السؤال المنهجي في اللسانيات ليس: "أي منهج أستخدم؟" بل:

"ما هي طبيعة اللغة التي أفترضها حتى أُنتج لها منهجًا تفسيرياً؟"

"ما هو النموذج المعرفي الذي يُمكّن هذا المنهج من الاشتغال؟"

"ما الذي يُعد جديرًا بالدرس، وما الذي يُقصى من مجال المعرفة؟"

المجلس العلمي للكلية

الاستشهادات داخل النص (APA)

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Canguilhem, G. (1977). *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Chomsky, N. (1980). *Rules and Representations*. Columbia University Press.

- Culioli, A. (1990). *Pour une linguistique de l'énonciation*. Ophrys.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. University of Pennsylvania Press.
- Austin, J. L. (1962). *How to Do Things with Words*. Oxford: Clarendon Press.

☑ **الخلاصة:**

إن المنهج في علم اللسان ليس مجرد أداة تُطبّق على مادة لغوية، بل هو **مرآة انعكاسية للمنظور الإبستيمولوجي الذي يوجه كل درس لساني.**

وبذلك، فإن علم اللسان لا يمكن أن يُفهم خارج تعددية مناهجه، لأنها تمثل **سُلم المقاربات العلمية الممكنة تجاه اللغة، وتجسّد العلاقة الديناميكية بين الرؤية والإجراء، بين النظرية والممارسة، بين الخطاب والمنهج.**

خامسًا: المعرفة العلمية – بين الوصف والنمذجة

خامسا: من اللسانيات الوضعية إلى اللسانيات البنيوية—الاستنباطية

.1في تشكُّل "المعرفة اللسانية الصلبة"

عند تقاطع المفهوم، والموضوع، والمنهج، يتشكّل ما يمكن تسميته بـ **المعرفة اللسانية الصلبة Hard**) " **Linguistic Knowledge**)، وهي نمط معرفي يقوم على **الضبط الإجرائي، والتجريد النمذجي، والصرامة المنهجية** .لا يتعلّق الأمر هنا بمجرد تراكم للبيانات اللغوية، بل **ببناء تمثيلات نظرية للظاهرة اللغوية في ضوء شبكة تحليلية قابلة للاختبار** .(Crystal, 2003, p. 22)

إن هذه المعرفة لا تتأسس على مجرد "وصف" للظواهر، بل على **نمذجة تحليلية تُعيد صياغة اللغة كموضوع للمعالجة العلمية**، حيث تُختبر الفرضيات، وتُبنى النماذج، وتُعمَّم القوانين، ضمن آلية صارمة من الانتقال بين الواقع والمعنى.

ولذلك، فإن "المعرفة العلمية" في علم اللسان ليست صورة انعكاسية للغة كما تُتداول اجتماعيًا، بل هي **إعادة إنتاج للغة داخل حقل مفهومي مضبوط، يتم فيه تحويل الظاهرة الطبيعية إلى كيان اصطلاحي قابل للدرس والتفكيك والمحاكاة.**

.2من الوصف إلى النمذجة: تحوّل إبستيمولوجي

منذ نشأة اللسانيات البنيوية، بدأ الانتقال من مرحلة **الوصف (description)** إلى **النمذجة (modélisation)**، أي من جمع البيانات إلى بناء أجهزة تفسيرية قادرة على محاكاة بنية اللغة ووظائفها ضمن نموذج كلي. لم يعد يكفي أن نصف الجمل كما تُستعمل، بل بات المطلوب أن **نُنتج فرضيات تحليلية تُفسّر النظام الخفي الذي ينتج تلك الجمل.**

كما يقول **تشومسكي**» :اللسانيات ليست وصفًا لتراكيب الجمل فحسب، بل هي بحث في القدرة التي تمكّن المتكلم من إنتاجها.(Chomsky, 1965, p. 4) «

وهنا تلعب **النمذجة** دورًا محوريًا: فهي التي تسمح بتحويل المعطيات اللغوية إلى **بنية تحليلية قابلة للإسقاط العملي أو البرمجي أو التعليمي** .وقد توسعت هذه النماذج من التحليل الصوتي إلى التركيبي إلى الدلالي إلى التداولي، بل وصلت إلى نماذج حوسبية—إحصائية تتجاوز التمثيل البشري.

وهذا ما عبّر عنه **ديفيد كريستال** حين أكّد أن "المعرفة اللسانية المعاصرة لا تقوم على التفسير الوصفي فقط، بل على **الضبط النمذجي الذي يُتيح تحويل النظرية إلى إجراء عملي**.(Crystal, 2003, p. 102) "

3. معايير "صلابة" المعرفة اللسانية

لا تكتسب المعرفة اللسانية صفة "الصلابة" لمجرد أنها لغوية، بل لأنها تستوفي أربعة معايير إبستيمولوجية تكوّن بنيتها الداخلية:

أ. دقّة المفهوم(Conceptual Rigor)

كل معرفة علمية تبدأ بتحديد مفاهيمي دقيق، أي **إنتاج مفاهيم قابلة للتعريف والتقييد والاشتغال**، دون غموض أو إسقاطات خارجية. إن مفهوم "اللغة" نفسه في اللسانيات الحديثة لم يعد "كلامًا" أو "أداة تعبير"، بل أصبح **كائنًا نظاميًا–رمزيًا يتطلب نماذج تفسيرية معقدة** .(Lyons, 1968)

ب. صلاحية الموضوع(Object Validity)

يُعيد اللساني تحديد موضوعه في كل مرحلة معرفية: من "النصوص" إلى "اللسان"، إلى "الكفاية"، إلى "أفعال الكلام"، إلى "السياقات التداولية"، بل إلى "البنى الدماغية" و"الجينات اللغوية". وكل موضوع جديد يُفترض أن يكون **قابلًا للاختبار، ومضبوطًا منهجيًا، ومترابطًا مع النماذج السابقة** .(Culioli, 1990)

ج. نجاعة المنهج(Methodological Efficacy)

يُقاس المنهج ليس فقط بقدرته على جمع المعطيات، بل **بقدرته على إنتاج تفسيرات جديدة، وتوسيع الحقول، وإعادة تشكيل التساؤلات ذاتها** .كل منهج جديد يوسّع من "أفق الموضوع"، ويدفع النظرية إلى إنتاج خطاب جديد حول اللغة.

د. تراكم النموذج التحليلي(Model Accumulation)

لا تبقى النماذج اللسانية في دائرة التجريب العابر، بل **تتراكم كمنظومات تحليلية قابلة للتعميم أو الدمج أو التحوير**، ما يفسّر نجاح اللسانيات في الدخول إلى مجالات متعددة: الذكاء الاصطناعي، حوسبة اللغة، تعليم اللغات، تحليل الخطاب السياسي، النمذجة الدماغية للغة.

4. في أفق المعرفة المستقبلية: من النحو إلى الأنظمة الذكية

تُظهر المعرفة اللسانية المعاصرة دينامية معرفية متسارعة، حيث لم تعد تقف عند حدود "النحو" أو "المعجم"، بل تجاوزتها إلى بناء **أنظمة معرفية–حوسبية تتعامل مع اللغة باعتبارها بنية حسابية قابلة للنمذجة الرقمية** .وفي هذا السياق، أصبح الوصف الأولي مجرد "مرحلة تأسيسية"، بينما أضحت النمذجة هي **البنية العليا للفعل المعرفي.**

وبالتالي، فإن ما يُنتج اليوم في اللسانيات لا يقتصر على "نظريات"، بل يتضمن **بروتوكولات إجرائية، مخططات تحليلية، أنظمة تعلم آلي، نماذج حاسوبية، محركات بحث لغوية، أنظمة توليد تلقائي للنصوص**، إلخ.

كل هذه التطبيقات هي في جوهرها **تجسيد معرفي للنموذج اللساني الصلب**، كما نادى به تشومسكي في سياق "اللسانيات الحاسوبية"، وديفيد كريستال في سياق "التفسير الرقمي للغة (cf. Crystal, 2003; Chomsky, 1986).

الاستشهادات العلمية داخل النص (APA):

- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Chomsky, N. (1986). *Knowledge of Language: Its Nature, Origin, and Use*. Praeger.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge University Press.
- Culioli, A. (1990). *Pour une linguistique de l'énonciation*. Ophrys.
- Lyons, J. (1968). *Introduction to Theoretical Linguistics*. Cambridge University Press.

الخلاصة العامة للمطلب الخامس:

إن المعرفة العلمية في علم اللسان لم تعد مجرد وصف للغة، بل أصبحت **نمطًا تحويليًا من التفكير يسعى إلى نمذجة العقل اللغوي الإنساني** ضمن آليات قابلة للتحليل والتطبيق والتعميم.

وإذا كانت المناهج تُمكّننا من قراءة اللغة، فإن النماذج تُتيح لنا **إعادة كتابتها داخل نسق علمي يؤسس لسيمياء جديدة للعقل والتمثيل والهوية.**

المجلس العلمي للكلية

الرؤية التركيبية البنيوية للمبحث الأول:

"اللسانيات بين المفهوم، الموضوع، والمنهج – نحو بلورة معرفة علمية منظمة"

تكشف القراءة التركيبية لمطالب هذا المبحث عن بنية مفهومية–إبستيمولوجية شديدة التماسك، تنتظم حول ثلاثية مركزية هي :**المفهوم، الموضوع، المنهج**، بوصفها ليست نمط محاورًا مستقلة، بل **مكوّنات بنيوية تتداخل وتتآزر لإنتاج نمط مخصوص من المعرفة العلمية حول اللغة**.

المجلس العلمي للكلية

1. **المفهوم** لا يُطرح كمجرد تعريف إجرائي لعلم اللسان، بل كأفق إبستيمولوجي يُؤسس لطبيعة التصور العام للغة: أهي نظام؟ ملكة؟ بنية؟ فطرة؟ أثر ثقافي؟ وبهذا يصبح المفهوم إطارًا تأويليًا يحدّد الشروط المسبقة لإمكان الدراسة(Lyons, 1968) ، حيث يعرفه هذا الأخير (علم اللسان) في مستهل كتابه Introduction to Theoretical Linguistics بـ:

"Linguistics is defined as the scientific study of language." (Lyons, 1968, p. 1).

هذا التعريف لا يختزل اللسانيات في مجرد تحليل شكلي للغة، بل يضعها ضمن منظومة العلوم التي تسعى إلى إنتاج معرفة خاضعة لشروط المنهج التجريبي والاستدلالي. فالمفهوم هنا يحمل دلالات إبستيمولوجية عميقة، منها:

- أن اللغة لم تعد موضوعًا للبلاغة أو اللهوت أو الأدب فقط، بل كائنًا منتظمًا خاضعًا للدرس العلمي؛
- أن اللسانيات ليست وصفًا سطحيًّا، بل مشروع عقلاني لتحليل البنية الرمزية للغة بما هي نظام توليدي (Generative System)؛
- أن المفهوم يتأسس على التحول من اللغة كممارسة إلى اللسان كنظام (langue)، كما فرّق سوسير في Cours de linguistique générale (Saussure, 1916, p. 13).
- وقد تطور هذا المفهوم عبر ثلاثة مستويات رئيسية:
- المستوى الفلسفي–الأنطولوجي، في أعمال أفلاطون وأرسطو والكراتيل؛
- المستوى النحوي–العقلي، في مدرسة بور روايال؛
- المستوى التوليدي–الوظيفي، في أعمال تشومسكي (Chomsky, 1965, pp. 3–5) وكرستال (Crystal, 2003, p. 17).

وبهذا، يتموضع علم اللسان كمجال معرفي يسعى لتفسير الظاهرة اللغوية ضمن إطار منهجي صارم، لا بوصفه علمًا وصفيًّا فقط، بل كعلم توليدي ونمذجي في آن.

2. **الموضوع** يتجلى كتمفصل بين اللغة الواقعية والافتراضية: بين "اللسان" بوصفه نسقًا اجتماعيًا و"الكلام" بوصفه تمظهرًا فرديًا، وبين "اللغة الطبيعية" بوصفها معطى تجريبيًا، و"اللغة النموذجية" بوصفها بناءًا نظريًا (Saussure, 1916).وبهذا يصبح الموضوع نتيجة لاختيار مفهومي، لا معطًى معزولًا.

المقصود بـ"موضوع اللسانيات" ليس اللغة بوصفها وعاءً ثقافيًا عامًا، بل "اللسان الطبيعي Langue) " naturelle)، أي النظام الرمزي المستخدم من قبل الجماعة اللغوية. وقد ميّز سوسير ,Saussure, 1916) p. 14)بين "اللسان" بوصفه بنية اجتماعية—مجردة، و"الكلام (Parole) "بوصفه استعمالًا فرديًا.

ويمتاز هذا الموضوع بخصائص إبستيمولوجية تُميّزه عن مواضيع العلوم الأخرى:

- أنه **تمثيلي** (**Symbolique**) لا مادّي، ما يجعل تحليله يعتمد على **التأويل والنمذجة**؛
- أنه **دينامي تواصلي**، يُبنى عبر الزمن ويُمارس جماعيًّا؛
- أنه **غير قابل للرصد المباشر**، ويُستدل عليه من خلال مظاهره الصوتية والدلالية والاستعمالية؛
- أنه **معقد بنيويًّا**، يتطلب تحليله تقاطعات بين الصوتيات(Phonology) ، النحو(Syntax) ، الدلالة(Semantics) ، والتداول.(Pragmatics)

وقد أشار نعوم تشومسكي (Chomsky, 1965, pp. 4–6) إلى ضرورة التمييز بين **الكفاءة اللغوية** (**Competence**)و**الأداء اللغوي** (**Performance**) في فهم هذا الموضوع، حيث تُعدّ الكفاءة نظامًا معرفيًا باطنيًّا، بينما يمثل الأداء التطبيق العملي لهذا النظام.

3. **المنهج** لا يُستدعى كخطة تقنية، بل كبنية إبستيمولوجية تعكس التصور الذي يتبناه الباحث حول ما يُعد "علمًا". فالاختيار بين المنهج الوصفي، التوليدي، التداولي، أو التاريخي، ليس خيارًا حياديًا، بل هو **قرار تفسيري يحمل في طياته موقفًا من اللغة والعقل والمعرفة** (Culioli, 1990; Chomsky, 1965).

ليست اللسانيات علماً متفقًا على منهج واحد فيه، بل تتعدد المناهج فيه باختلاف الرؤى حول طبيعة اللغة. وهذه المناهج تمثل خيارات إبستيمولوجية قبل أن تكون أدوات تقنية. نعرض فيما يلي أربعة اتجاهات مركزية:

الخصائص المنهجية الرئيسية	المرجعية النظرية	المنهج
وصف البنية كما تظهر في الواقع دون فرض نموذج مسبق (Bloomfield, 1933, pp. 20–25)	دي سوسير، بلومفيلد	الوصفي (Descriptive)
نمذجة الكفاءة اللغوية بواسطة قواعد رياضية–توليدية (Chomsky, 1965, pp. 25–30)	تشومسكي	التوليدي، (Generative)
دراسة التطور الزمني والبنى المشتركة بين اللغات (Sampson, 1980, pp. 66–70)	المدرسة الهندو–أوروبية	المقارن- التاريخي
تحليل الاستعمال والسياق والمقصد وأفعال الكلام (Searle, 1969, pp. 16–18)	سيرل، أوستن، غرايس	التداولي (Pragmatic)

وقد أكد أنطوان كوليولي (Culioli, 1990, p. 9) أن اختيار المنهج في اللسانيات هو انعكاس لـ"تصور الباحث لطبيعة اللغة"، وبالتالي فهو قرار معرفي يُحدد شكل النموذج التحليلي ومخرجاته.

4. **المعرفة العلمية**، كحصيلة للتشابك بين المفهوم والموضوع والمنهج، لا تُفهم باعتبارها تراكما للملاحظات أو التصنيفات، بل كـ"معرفة صلبة(Hard Knowledge) "، تُعيد صياغة الظاهرة اللغوية ضمن نموذج نظري–تحليلي قادر على التنبؤ، المحاكاة، والتطبيق .(Crystal, 2003) وبهذا، تخرج اللسانيات من حقل الانطباع والوصف إلى مجال النمذجة والتفسير المركّب.

إن التقاء المفهوم، الموضوع، والمنهج ينتج **معرفة علمية لغوية** (Connaissance linguistique scientifique)، تقوم على أربع ركائز:

1. **الموضوعية** :(**Objectivité**) تُدرس اللغة كنسق لا كموقف شخصي؛
2. **القابلية للاختبار** :(**Testabilité**) يمكن التحقق من الفرضيات بالتطبيق والنمذجة؛
3. **التراكم النظري** :(**Cumulativité**) تبني النظريات على بعضها؛
4. **التحليل النمذجي** :(**Modélisation**) تحويل الظواهر اللغوية إلى نماذج قابلة للتحليل الآلي.

ويشير دافيد كرستال (Crystal, 2003, pp. 42–44) إلى أن ما يجعل اللسانيات علمًا مستقلًا اليوم هو قدرتها على **تحقيق الاتساق الداخلي والمنهجي**، فضلًا عن استثمارها في مجالات التطبيق مثل:

- تعليم اللغات؛
- الترجمة الحاسوبية؛
- التحليل الخطابي؛
- الذكاء الاصطناعي اللغوي.(NLP)

وهذا ما يجعل علم اللسان يتجاوز وظيفة التحليل إلى مستوى **إنتاج نماذج تفسيرية للإنسان بوصفه كائنًا لغويًّا** (**Homoloquens**).

هذه الرؤية البنيوية تُظهر بجلاء أن **الدرس اللساني ليس خطيًا ولا وصفيا، بل جدليٌّ بين مستويات متشابكة** : بين النظرية والملاحظة، بين الكفاءة والاستعمال، بين البنية والسياق، بين العقل والمعطى، بين الثابت والمتحوّل. وبالتالي، لا يمكن فهم أي مستوى من هذه المكونات خارج تفاعلها الكلي، لأن **العلم لا يتكوَّن من عناصر منعزلة، بل من شبكات تحليلية متكاملة تؤسس لخطاب علمي قادر على تفسير اللغة كنسق رمزي–اجتماعي–عقلي معقّد.**

الخاتمة العامة للمبحث الأول

"من التعريف إلى النظرية: نحو تأسيس إبستيمولوجيا لسانية علمية"

لقد حاول هذا المبحث أن يرسي أرضية معرفية صلبة لعلم اللسان، عبر تتبع مكوناته الأساسية: المفهوم، الموضوع، المنهج، وآفاق المعرفة العلمية. وتمّ ذلك ضمن منظور إبستيمولوجي لا يكتفي بتوصيف البنية الخارجية للدرس اللساني، بل يغوص في أعماق تشكيله النظري والمنهجي، كاشفًا عن علاقاته المعقدة بالعلوم الإنسانية والطبيعية معًا.

فالمفهوم – كما تبين – ليس مجرد مدخل تعريفي، بل **بنية تفسيرية تُعيد تشكيل اللغة ضمن نماذج ذهنية وعقلية ونظرية**. والموضوع – كما فُهم – ليس معطًى تجريبيًا محايدًا، بل **تجسيدٌ لاختيارات معرفية تُعيد صياغة الواقع اللغوي ضمن نسق علمي**. والمنهج – كما حللناه – ليس خطة تحليلية، بل **مسلكٌ إبستيمولوجي يُحدد ما يُعد علمًا، وما يُقصى من دائرة المعرفة**.

أما المعرفة العلمية، فهي ذروة هذا التركيب، لأنها **لا تكتفي بجمع الظواهر، بل تبني منها نماذج قابلة للاختبار والتعميم والنقد**. إنها "معرفة نمذجة" بامتياز، تستند إلى الكفاءة التحليلية، لا إلى الكمية الوصفية.

وعليه، فإن المبحث الأول لا يمثل مقدمة نظرية للمحاضرة فقط، بل يشكّل **تأطيرًا بنيويًا–منهجيًا لكل درس لساني مسؤول، يطمح إلى تجاوز المقولات التقريرية نحو بناء خطاب علمي نقدي حول اللغة**. خطابٍ يتأرجح بين الفلسفة والتجريب، بين التأويل والإجراء، بين الذات والنسق.

وذلك هو ما يجعل من اللسانيات **علمًا غير مكتمل، لكنه في طور الاكتمال الدائم** –لأن اللغة نفسها كائن غير مكتمل، يُعيد إنتاج ذاته مع كل جملة، كل متكلم، وكل عصر.

يكشف هذا المبحث عن الطابع المركّب للدرس اللساني بوصفه معرفة علمية مشروطة بثلاثية مفهومية–موضوعية–منهجية. وهذه البنية ليست تنظيمًا خارجيًا، بل هي البنية الداخلية التي تمنح علم اللسان هويته المعرفية. ولأن اللغة ليست كائنًا ماديًّا يُرصد بالحواس فقط، بل نظام تمثيلي توليدي–تواصلي، فإن فهمها يتطلب نماذج تحليلية تُراعي تعددية الزوايا وتكامل مستويات التحليل.

قائمة المراجع

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Bloomfield, L. (1933). *Language*. New York: Holt.
- Canguilhem, G. (1977). *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Culioli, A. (1990). *Pour une linguistique de l'énonciation*. Paris: Ophrys.
- Lyons, J. (1968). *Introduction to Theoretical Linguistics*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Saussure, F. de (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- Sampson, G. (1980). *Schools of Linguistics*. London: Hutchinson.
- Searle, J. R. (1969). *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language*. Cambridge: Cambridge University Press.

المحاضرة الثانية

المقولات الأساسية: الكلية والموضوعية في بناء المعرفة اللسانية العلمية

المطلب الأول – في الحاجة إلى تحديد المقولات التأسيسية للمعرفة العلمية

(من المقولة كشرط قبلي إلى وظيفتها في الخطاب اللساني)

.1من الظاهر الإجرائي إلى الباطن البنيوي: استئناف في معنى "العلم"

كل علم، في بنيته الظاهرة، يتوسل أدوات ومفاهيم ونتائج، لكنها لا تكون ممكنة في ذاتها، إلا إذا تأسست ضمن **مقولات معرفية أكثر عمقًا وبداهة**، تُشكّل الشروط القبلية التي تجعل التجربة العلمية ممكنة ومفهومة في آن واحد.

وهذا ما صاغه **إيمانويل كانط** في "نقد العقل الخالص" حينما ميّز بين المعرفة التجريبية التي تنشأ بعد الحدث، والمعرفة المقولية التي تجعل الحدث ممكنًا أساسًا، مؤكّدًا أن:

"*التجربة من دون مفاهيم عمياء، والمفاهيم من دون التجربة جوفاء*.(Kant, 1781/1998, p. A51/B75) "

بهذا المعنى، فإن **المقولات ليست مجرد مفاهيم متداولة، بل هي أنماط اشتغال العقل نفسه حين يؤسس معرفة علمية** .هي بنية قبلية، لا تُرى في سطح الخطاب، ولكنها تُوجّه كل رؤية وتحليل واستدلال.

.2في قلب اللسانيات: ما الذي يجعل معرفة اللغة "علمية"؟

حين نقول إن اللسانيات علم، فإننا لا نقصد مجرد وجود قواعد أو مناهج أو أجهزة تحليل، بل **نقصد انخراطها في بنية عقلانية تتطلب استيفاء شروط معينة للعلمية**، أبرزها – كما يظهر في الخطاطة – مقولتان مركزيتان:

- **الكلية(Totalité / Universalité)**
- **الموضوعية(Objectivité)**

هاتان المقولتان تعملان كـ"شرطين ميتاعلميين(métascientifiques) "، تحضران **لا كمفاهيم مستقلة، بل كبنية تحتية تؤسس لطبيعة الخطاب الذي يُنتج حول الظاهرة اللغوية.**

فالكلية تمكّن اللساني من النظر إلى اللغة لا بوصفها وقائع متفرقة، بل كبنية متعالية قابلة للتعميم، أما الموضوعية فتمنحه المسافة الكافية لفصل الذات الباحثة عن موضوعها اللغوي، مما يُتيح إمكان إنتاج خطاب نقدي—تفسيري مستقل عن الانطباعات والانحيازات.

وبهذا، فإن القول بعلمية اللسانيات **لا يُقاس بكفاءة التحليل فقط، بل بمدى التزام الخطاب اللساني ببنية الكلية والموضوعية بوصفهما شرطين قبليين للعلمية**، لا خيارين منهجيين فقط.

.3الكلية والموضوعية كمقولتين مُنظّمتين للتجربة اللسانية

أ. الكلية: من التجزئة الوصفية إلى التعميم التفسيري

ترتبط الكلية، بحسب الرؤية الكانطية، بمقدرة العقل على **إدراك الوحدة خلف التعدد، والنظام خلف الفوضى** . وهي بهذا، تشكّل **الشرط البنيوي الذي يُمكّن المعرفة العلمية من تجاوز الوقائع الجزئية إلى استنتاج قانون عام.**

في اللسانيات، برز هذا التحول مع **فرديناند دي سوسير** حينما فصل بين الكلام (parole) واللسان (langue)، منتقلاً من التعدد الفوضوي للعبارات إلى نسق لغوي مجرد يُفترض أنه كلي داخل الجماعة (Saussure, 1916).
وقد عمّق **نعوم تشومسكي** هذا الأفق حينما دعا إلى التخلي عن "وصف الأداء" لصالح **تحليل القدرة الفطرية التوليدية للغة** (Chomsky, 1965)، حيث لا تهمّ الظواهر بحد ذاتها، بل النموذج الذهني الذي يُنتجها ويُنظمها.

وعليه، فإن الكلية في اللسانيات ليست نزعة تجريدية، بل هي **ضرورة منهجية—إبستيمولوجية تُخرج الظاهرة من التبعثر إلى البناء التفسيري.**

ب. الموضوعية: من الذات المتكلمة إلى العلم المنفصل

أما الموضوعية، فهي شرط لتجاوز الذات الفردية إلى الخطاب العلمي الجماعي، حيث يتم **فصل الانفعال، الذوق، الإيديولوجيا، والتقليد المدرسي عن تحليل اللغة** .فأن يكون الموضوع لسانيًا، لا يعني أن المتكلم مؤهّل لتحليله لمجرد امتلاكه له، بل يجب تحويله إلى معطى مُجرّد مستقل، يمكن فحصه ضمن نموذج معرفي.

وقد أشار **غاستون باشلار** إلى أن العلم لا يولد من التجربة، بل من القطيعة معها، مؤكدًا أن:

"*المعرفة العلمية تنشأ دائمًا على أنقاض الرأي*.(Bachelard, 1938, p. 14) "

هذا ما يجعل الموضوعية في اللسانيات غير قابلة للاختزال في "الحياد" أو "الموضوعية الأخلاقية"، بل تعني **بناء الموضوع بوصفه جهازًا تحليليًا مستقلاً عن الذات الباحثة**، كما أوضح **بنفينيست (1966)** في مفهومه عن *intersubjectivité*، أي إمكانية إنتاج معرفة يتقاسمها أكثر من ذات.

.4من الفلسفة إلى الخطاب اللساني: وظيفة المقولات

ليست المقولات أدوات مفهومية تُستعمل عند الحاجة، بل هي ما يُحدد **إمكانية ظهور الخطاب العلمي حول الظاهرة أصلاً**.

فالخطاب اللساني الذي لا يُؤسّس على افتراض الكلية، يظل وصفيًا عشوائيًا؛ والخطاب الذي لا ينضبط بالموضوعية، يظل سجاليًا أو إيديولوجيًا.

وهذا ما يجعل من مقولتي الكلية والموضوعية **سقفًا إبستيمولوجيًا أعلى، يُحدد ما يُعد تحليلًا لسانيًا، وما يُعد انطباعًا لغويًا**.

وقد ذهب **ميشال فوكو** إلى أبعد من ذلك، حينما اعتبر أن "ما يُسمّى علمًا هو ما استطاع أن يُنتج مقولات تُنظّم الرؤية، وتُعيد تعريف ما يُمكن التفكير فيه.(Foucault, 1969, p. 36) "

وبذلك، فإن الكلية والموضوعية ليستا شروطًا معرفية فقط، بل **سلطة تنظيمية تتحكم في إمكان ظهور المعرفة اللسانية كعلم مستقل**.

الاستشهادات داخل النص:(APA)

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.

- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
- Kant, I. (1781/1998). *Critique of Pure Reason*. Cambridge University Press.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.

☑ **خلاصة المطلب:**

إن اللسانيات، حين تُؤسّس كمجال علمي، لا تُبنى فقط على المفاهيم والتقنيات، بل على مقولات قبليّة تُحدّد شروط إمكانها ذاته. وكل مشروع لساني لا يُؤسّس على مقولتي **الكلية** و**الموضوعية**، يظل في منطقة الإجراء الوصفي أو التأويل السياقي.

أما حين تتحقّق هاتان المقولتان، فإن اللغة **تُنتج كموضوع علمي**، **لا كمعطى تواصلي فقط**، وتُفتح أمامها آفاق التفسير، النمذجة، والتطبيق، في حقول الذكاء الاصطناعي، علوم الأعصاب، تحليل الخطاب، والتعليم الآلي.

المطلب الثالث – الكلية: من المعطى اللغوي إلى التعميم التفسيري

(في أفق تأسيس الخطاب العلمي حول اللغة)

أولاً: الكلية كشرط بنيوي للتجريد العلمي

إن إحدى أعقد المعضلات التي تواجه أي مشروع علمي، هي كيفية الانتقال من **جزئيات التجربة إلى كليّات التفسير** .فالملاحظة وحدها لا تُنتج علمًا، ما لم تُدمج داخل بنية مفاهيمية قادرة على **توليد نظام من القوانين أو المبادئ التي تسمح بفهم الظاهرة لا كما وقعت فقط، بل كما يمكن أن تقع دومًا.**

وهنا تبرز **مقولة "الكلية (Totalité/Universalité)** "كشرط إبستيمولوجي مؤسِّس لإمكانية قيام أي علم، إذ لا يمكن للمعرفة أن تُكتسب علميًا إلا متى استطاعت تجاوز "الظواهر الجزئية" إلى **تصورات كلية** تُفسّر التكرار، الاختلاف، الانتظام، والتحوّل.

في هذا السياق، لا يتعلق الأمر بإلغاء التنوع أو الانحراف أو الفروق السياقية، بل بإيجاد "القدر البنيوي المشترك" الذي يجعل الظواهر قابلة للتفسير ضمن نسق.(Canguilhem, 1977)

وبهذا، فإن **الكلية ليست وصفًا لعدد كبير من الوقائع، بل هي إنتاج لبنية قادرة على تنظيم هذه الوقائع ضمن نموذج تفسيري جامع.**

وهذا ما عبّر عنه دي سوسير بوضوح حين قال:

"*اللسان هو النظام الذي يجعل من الكلام ممكنًا*(Saussure, 1916, p. 33)"، أي أن الظاهرة الجزئية تُفسّر دومًا بوصفها **أثرًا لبنية كلية غير مرئية.**

ثانيًا: الكلية في اللسانيات – من البنية إلى النموذج الذهني

تشكّل مفهوم "الكلية" في الفكر اللساني المعاصر على مرحلتين متعاقبتين:

أ. في البنيوية (دي سوسير)

تمّ الانتقال من تحليل الكلام باعتباره نشاطًا شخصيًا، إلى دراسة "اللسان" بوصفه **نسقًا كليًا يتجاوز الفرد ويُنتج المعنى عبر شبكة من الفروق** .وقد اعتبر دي سوسير أن اللغة لا تُفهم إلا من خلال تموضعها داخل "النسق"، حيث كل وحدة لغوية تُكتسب قيمتها من خلال اختلافها عن غيرها، لا من خلال إحالتها إلى المرجع (Saussure, 1916).

هذه الرؤية تجعل الكلية ليست "جمعًا" للمعطيات، بل **شرطًا قبليًا لفهم العلاقات بين الوحدات.**

ب. في التوليدية (تشومسكي)

مع نعوم تشومسكي، تحوّل التصور البنيوي للكلية إلى **تصور توليدي ذهني**. فاللغة لم تعد مجرد نظام اجتماعي، بل **قدرة فطرية توليدية تنتظم في بنى عقلية داخلية مشتركة بين البشر** .(Chomsky, 1965)

لم تعد الكلية سمة للنسق، بل **مكوّنًا من مكوّنات البنية العرفية للدماغ البشري**.

إن ما يدرسه اللساني ليس الجملة كما تُنطَق، بل **قدرة المتكلم على توليد عدد لا محدود من الجمل انطلاقًا من قواعد محدودة** —وهنا تبرز الكلية كمفهوم رياضي—معرفي—تحويلي يُراد به الوصول إلى "النحو الكلي" و"البنية العميقة" و"التمثيل الذهني.(Chomsky, 1980) "

❖ثالثًا: الكلية في مقابل النزعة التجميعية والانطباعية

إن أحد أكبر التحديات التي واجهت اللسانيات التقليدية – وخاصة الوصفية الأمريكية – كان **غياب البنية الكلية لصالح الانغماس في معطيات الكلام والعبارات المحكية**، ما أدى إلى طغيان النزعة التجميعية على الفعل العلمي، وتحوّل التحليل اللساني إلى ما يشبه الأرشفة بدل البناء النظري.(cf. Bloomfield, 1933)

إن الكلية هنا لا تعني تجاهل التفاصيل، بل **إنقاذها من الفوضى**، لأن المعطيات الجزئية لا تحمل دلالتها إلا في ضوء النموذج الكلي الذي تنتظم فيه. أي أن **التفصيل لا يُصبح "معلومة" إلا حين يُدمج في بنية عامة قابلة للتفسير والتكرار والنقد.**

وقد نبّه **غاستون باشلار** إلى هذه الفكرة حين قال:

"إن المعرفة لا تقوم على تراكم المعلومات، بل على القدرة على ربطها داخل نموذج تفسيري موحّد " (Bachelard, 1938, p. 61).

وهذا ما يجعل من الكلية **مبدأ تفسيرياً وشرطًا بنيويًا**، لا مجرد نزوع نظري نحو التجريد.

رابعًا: الكلية كشرط لنمذجة الظاهرة اللغوية وتطبيقاتها

تُعد الكلية اليوم **الشرط المركزي لبناء أي نموذج حوسبي أو تربوي أو سيميائي للغة** .فلا يمكن برمجة آلة لفهم اللغة دون "فرض بنية كلية" تحكم قواعد النحو والدلالة، ولا يمكن بناء منهج لتعليم اللغة إلا ضمن رؤية كلية تنتظم فيها المهارات، والمضامين، والأهداف، والتمثيلات.

وبالتالي، فالمعرفة اللسانية المعاصرة التي تنتقل من "وصف النص" إلى "معالجة اللغة الطبيعية(NLP) "، ومن "تحليل الجملة" إلى "توليد الجمل"، **لا يمكنها الاشتغال إلا من داخل بنية كلية قادرة على التعميم، المحاكاة، والتحويل.**

الاستشهادات داخل النص:(APA)

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Bloomfield, L. (1933). *Language*. New York: Henry Holt.
- Canguilhem, G. (1977). *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Chomsky, N. (1980). *Rules and Representations*. Columbia University Press.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.

خلاصة تحليلية للمطلب:

تمثل "الكلية" في اللسانيات **أفقًا معرفيًا أعلى تُقاس من خلاله علمية الفرضيات، وصلاحية التفسير، وقدرة النموذج على احتواء الظواهر لا بوصفها جزئيات مشتتة، بل بوصفها تمظهرات لمبدإ توليدي مشترك.**
إنها الشرط الذي يُحوّل اللغة من كلام يُتداول، إلى علم يُدرس.

المبحث الثالث الموضوعية – نحو علمنة الظاهرة اللغوية

(من الذات المتكلمة إلى نموذج المعرفة القابل للتحقق)

أ. الموضوعية كشرط قبلي للعلمية

الموضوعية في العلم ليست فضيلة أخلاقية، ولا نزاهة شخصية فحسب، بل هي – في عمقها الفلسفي – **شرط إبستيمولوجي سابق على أي ممارسة تحليلية،** لأنها تمكّن من بناء خطاب يتجاوز الأنا، ويؤسس لـ"معرفة قابلة للتحقق، التكرار، والمراجعة."فقد شكّلت الموضوعية، منذ بدايات الإبستمولوجيا الحديثة، ركيزة أساسية لتحوّل الفهم من التفسير الانطباعي إلى بناء نسق معرفي يتجاوز الذاتية، ويؤسس للتمثل العلمي القابل للتكرار والتحقق. في هذا السياق، يتعين إدراك الموضوعية في بعدها المعرفي لا كحالة وجدانية، بل كبنية معرفية منظمة، تنظّم علاقة الذات العارفة بموضوع المعرفة، وتمنع التماهي الكلي بينهما.

في "نقد العقل المحض"، يضع كانط (Kant, 1781/1998) الأساس الفلسفي لهذا التصور حين يؤكد أن المعرفة لا تكتسب صفتها العلمية إلا إذا بُنيت من خلال شروط قبلية تمكّن الذهن من التمايز عن الواقع، وتنظيم التجربة داخله. فالعقل لا يعكس الأشياء كما هي، بل يبنيها وفق مقولات كلية تسمح بتوحيد التجربة عبر الوعي الجماعي المشترك. بهذا المعنى، لا تتأسس الموضوعية من داخل الذات، بل من قدرتها على بناء موضوع معرفي قابل للفهم والتقاسم، أي قابل لأن يُفكّر فيه من قبل ذوات متعددة ضمن معايير مشتركة (Kant, 1998, B133–B138).

حين ننتقل بهذا التصور إلى علم اللسان، يصبح سؤال الموضوعية أكثر تعقيدًا: فكيف يمكن لعلم يُعنى بتحليل اللغة – وهي الأداة التي يستعملها الإنسان للتفكير والتعبير – أن يتحرر من التحيزات الذاتية، وهو نفسه يمارس فعله التحليلي داخل نفس النسق الذي يدرسه؟ هنا تبرز إحدى أعمق الإشكاليات الإبستيمولوجية في اللسانيات :**كيف يمكن للباحث أن يبني موضوعًا لغويًا دون أن يعيد إنتاج ذاته اللغوية داخله؟** .هذه المفارقة أشار إليها غاستون باشلار حين أكد أن "أكبر عائق أمام بناء معرفة علمية دقيقة هو التصور الطبيعي التلقائي للظاهرة، الذي نحمله مسبقًا عنها ونظنه معرفة.(Bachelard, 1938, p. 14) "

لقد واجهت اللسانيات هذا التحدي منذ نشأتها كعلم مستقل، حيث أدرك روادها أن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل أو التعبير، بل هي كائن معرفي معقد يحمل داخله أبعادًا اجتماعية وثقافية وأيديولوجية. ومن هنا، فإن بناء الموضوع اللساني لا يمكن أن ينطلق من تمثيلات ثقافية جاهزة، بل يجب أن يُعاد تشييده ضمن نموذج تحليلي مستقل، يراعي التمييز بين الاستعمال اللغوي الفعلي والموقع التحليلي الذي يتموضع فيه الباحث. هذا ما يجعل

الموضوعية، في هذا الحقل تحديدًا، شرطًا مركزيًا للعلمنة المنهجية للظاهرة اللغوية، أي لنزع القداسة عن اللغة، وتحييد هالات الهوية والتاريخ والذوق والسلطة التي قد تعيق تحليلها في ذاتها ولذاتها.

ولم يكن هذا التحدي نظريًا فحسب، بل فرض نفسه في الممارسة اللسانية أيضًا. إذ كيف نُحلل لغة عامّية دون الوقوع في أحكام التحقير؟ كيف نفسر التعدد الصوتي داخل لغة واحدة دون الاحتكام إلى المعيارية النحوية؟ وكيف نفسر ظواهر الشفاهية دون اختزالها إلى انحرافات عن النموذج الكتابي؟ هنا تتجلى ضرورة الموضوعية كممارسة نقدية، تُخلخل الموقف الثقافي المسبق، وتُحيل الظاهرة اللغوية إلى ميدان التحليل العلمي، لا التقديس الاجتماعي.

إن الموضوعية في هذا السياق لا تقتصر على الانفصال العاطفي عن الموضوع، بل تتطلب بناء آليات منهجية صلبة، تمكّن من إعادة تشكيل الظاهرة خارج وعي المتكلم الفردي. وقد أسهمت اللسانيات البنيوية والتوليدية في هذا المسار، من خلال ضبط الموضوع انطلاقًا من الأداء الجماعي، والاعتماد على التكرار الإحصائي، واستبعاد الأحكام القيمية، واللجوء إلى نماذج رسمية ومنطقية .(cf. Chomsky, 1965; Saussure, 1916) فالبنية العميقة، والكفاية اللغوية، والتمثيل العقلي للغة، كلها مفاهيم ظهرت لتجاوز التصور الانطباعي نحو إعادة بناء الموضوع بشكل يُمكّن من تحليله وفق قوانين قابلة للتعميم والمراجعة.

لقد لخص بنڤينيست (Benveniste, 1966) هذا الرهان حين قال إن "التحليل اللساني لا يطمح إلى الموضوعية المطلقة، بل إلى نمط من التشاركية التفسيرية بين الذوات"(intersubjectivité) ، أي أن يصبح التحليل خاضعًا لمجتمع علمي يُقيّمه، ويعيد قراءته، لا لمعيار داخلي يُبرره. هذا التصور ينسجم أيضًا مع ما أشار إليه ميشيل فوكو (Foucault, 1969) في كتابه "أركيولوجيا المعرفة"، حين بيّن أن بناء الموضوع في الخطاب العلمي ليس عملية وصفية، بل عملية إنتاجية، يُعاد فيها تشكيل الواقع ضمن حدود ما يُمكن أن يُقال، وما يُسمح بتحليله داخل النظام المعرفي.

بهذا، لا تُفهم الموضوعية في اللسانيات كشرط خارجي مفروض، بل كفعل تأسيسي يُعيد تشكيل الظاهرة اللغوية في صورة "موضوع"، قابل للدرس، لا للتمجيد؛ للتحليل، لا للتمثيل الثقافي. إنها ليست نفيًا للذات، بل تنظيمٌ لها داخل بنية معرفية تُخضع اللغة لقوانين يمكن اختبارها، وبهذا المعنى تصبح الموضوعية في علم اللسان هي ما يؤسس استقلال الظاهرة اللغوية عن الخطاب الإيديولوجي، ويمنح التحليل اللساني قيمته العلمية المتفق عليها.

الاستشهادات داخل النص:(APA)

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
- Kant, I. (1781/1998). *Critique of Pure Reason*. Cambridge University Press.
- Saussure, F. de (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.

ب. نحو موضوع لساني مضبوط: من الذاتية إلى النمذجة

(إعادة بناء الظاهرة اللغوية في ضوء الإجراء العلمي والمعيار الإبستيمولوجي)

لتجاوز هذا التداخل بين الباحث وموضوعه، طوّرت اللسانيات المعاصرة سلسلة من **الموجهات المنهجية** التي تهدف إلى "علمنة" الظاهرة اللغوية، أي **إخراجها من الحقل الإيديولوجي أو الثقافي أو الذاتي، وإدخالها في نسق معرفي قائم على القابلية للاختبار والنقد.**

إن الحديث عن «الموضوعية» في اللسانيات، كشرط جوهري للعلمية، يقتضي بالضرورة تحديد "الموضوع" الذي تُمارس عليه هذه الموضوعية. فالمعرفة العلمية لا تُنتج في الفراغ، بل تتأسس حول موضوع دقيق، قابل للتعريف، القياس، والاختبار. غير أن ما يميز اللسانيات – بخلاف كثير من العلوم الأخرى – هو أن موضوعها ليس معطىً ماديًا خارجيًا، بل هو ظاهرة ثقافية–اجتماعية، رمزية، ومتغيرة، هي اللغة في حالاتها الاستعمالية. وهذا ما يجعل بناء "موضوع لساني مضبوط" ضرورة معرفية لا خيارًا منهجيًا.

لقد أدركت المدارس اللسانية منذ بداياتها، أن اللغة ليست وحدة تحليل جاهزة، بل يجب تشييدها داخل نسق نظري يُعيد تعريف الظاهرة اللغوية كنسق مستقل، لا كمرآة لتجربة المتكلم أو انفعالاته. ومن هنا نشأ الفرق الجذري بين «اللغة» كمفهوم ميتالغوي، وبين «اللسان» بوصفه الموضوع المعرفي الصرف. وقد تجلى هذا التمييز مع فرديناند دي سوسير في تفريقه بين «اللسان (la langue)» و«الكلام(la parole)»، حيث قرر أن الأول يمثل النظام الجماعي المجرد الذي يستحق الدراسة، بينما الثاني مجرد تمظهر فردي لا يعكس إلا استعمالًا محدودًا للنسق العام.(Saussure, 1916, pp. 30–40)

هذا الوعي الإبستيمولوجي أدى إلى قلب جذري في مقاربة الظاهرة اللغوية: لم يعد المهم هو "اللغة التي نتكلمها"، بل "البنية التي تُنظم الكلام"، أي البنية اللاواعية التي تسبق الاستعمال وتؤطره. بهذا، تحوّل موضوع اللسانيات من الوصف المعياري إلى التحديد البنيوي، ومن التجميع الانطباعي إلى النمذجة المجردة، وهذا ما مثّل قطيعة معرفية مع التصورات التقليدية التي كانت ترى في اللغة تعبيرًا عن الهوية أو الذوق أو القيمة الجمالية.

ولكي يتحقق هذا التحول، اقتضى الأمر وضع شروط صارمة لبناء الموضوع اللساني تم اعتماد عدة آليات ومن أبرزها :

المجلس العلمي للكلية

1. **الاستناد إلى الأداء الجماعي لا الفردي:** –فالتحليل اللساني لا يقوم على مثال مفرد أو جملة منعزلة، بل يُبنى على ما يتكرر في استعمال جماعة لغوية، لأن الجماعة تُنتج النظام، بينما الفرد يُنتج الانحراف أو الاستثناء. فهو في المنظور اللساني، ليس مركز التحليل، بل هو مجرد حامل لأثر البنية
2. **التركيز على الظاهرة المكررة لا النادرة:** وجوب الانتباه إلى التكرار مقابل النُّدرة: الظواهر المتكررة أكثر دلالة لأنها تعبّر عن القواعد الكامنة، أما الظواهر النادرة، فلا تُهمل، ولكن يُعاد تأويلها ضمن البنية الأكبر التي تمنحها معناها، إذ ما يجعل من الموضوع اللساني وحدة قابلة للدرس هو قابليتها للتكرار، وليس خصوصيتها. وهذا يتطلب أدوات إحصائية واستقرائية تتجاوز المثال النحوي المعزول.
3. **إقصاء الحكم القيمي والمعياري: أي فصل التحليل العلمي عن المعيارية النحوية أو الأحكام الجمالية، لأن مثل هذه الأحكام – كما نبه بنڤينيست – تُدخل التحيز الإيديولوجي في صلب المعرفة، وتحول دون تحقق الموضوعية.(Benveniste, 1966, pp. 50–54)** أي تجاوز التصنيفات التقليدية التي تُمجّد الفصحى وتُقصي العامية، أو تُقدّس اللغة "الأدبية" وتُحقّر اللغة الشفوية. فالموضوع في اللسانيات يجب أن يُدرس في ذاته، لا في قيمته الثقافية أو التاريخية.
4. **الاعتماد على أدوات مستقلة عن الذوق والانطباع:** يتمثل أحد أهم شروط ضبط الموضوع اللساني في توظيف أدوات إجرائية مستقلة عن الانطباع الذاتي، مثل التحليل الإحصائي، التوزيع التكراري، النمذجة المنطقية، والتمثيل البصري للبيانات اللغوية. وهذا ما ظهر بوضوح في أعمال علم اللغة الحاسوبي، حيث لم تعد اللغة تُحلل كنصوص، بل كبيانات قابلة للمعالجة الآلية، مما سمح بإعادة توصيف بنية اللسان كمجال احتمالي (probabilistic) وليس مجرد بنية ثابتة.(Jurafsky & Martin, 2019) كالتحليل الصواتي الآلي، النمذجة الإحصائية، قواعد النحو الرسمي، تحليل الخطاب عبر البرمجيات، إلخ.

وقد لخّص **Émile Benveniste** هذه الرؤية حين اعتبر أن غاية اللسانيات ليست تحقيق "الموضوعية المطلقة"، بل **إنتاج نمط من الاتفاق التحليلي التفسيري المشترك (intersubjectivité)** يجعل الخطاب اللساني قابلًا للنقاش، لا للتقديس.(Benveniste, 1966, p. 17) ، لكن الأهم من كل هذا، أن ضبط الموضوع اللساني لا يعني "تحييده عن السياسة"، بل يعني تحصينه ضد التوظيف الإيديولوجي. فاللغة ليست بريئة، لأنها حاملة لتصورات عن العالم، عن الجندر، عن السلطة، عن الثقافة. إلا أن إدماج هذه الأبعاد يجب أن يتم من خلال أدوات تحليلية مضبوطة، وليس عبر الاستغراق في الموقف القيمي. وهذا ما يجعل من الموضوعية شرطًا لا لفصل اللغة عن الإنسان، بل لإعادة فهم اللغة من داخل بنيتها، لا من داخل تمثلاتنا عنها.

لقد لخّص فوكو هذا الإشكال بدقة حين أشار إلى أن بناء الموضوع في العلوم الإنسانية "ليس فعل اكتشاف، بل فعل بناء"، أي أن الموضوع اللساني لا يُعطى للباحث، بل يُعاد إنتاجه داخل حدود الخطاب المعرفي

ومن ثم، فإن بناء موضوع لساني مضبوط يعني إنتاج تمثل جديد للغة: لا (Foucault, 1969, p. 42). كمجرد وسيلة للتواصل، بل كنظام معرفي—اجتماعي—رمزي، يُعاد تركيبه وفق شروط الخطاب العلمي، لا عبر استبطانات الذات.

الاستشهادات داخل النص:(APA)

- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard.
- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
- Jurafsky, D., & Martin, J. H. (2019). *Speech and Language Processing* (3rd ed.). Stanford University.
- Saussure, F. de (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.

ج. الموضوعية ونزع الإيديولوجيا عن اللغة:

(تحليل نقدي لمطلب التحييد العلمي للخطاب اللغوي داخل المعرفة اللسانية)

إن أخطر ما يُهدد علمية الدرس اللساني هو أن يُوظّف **لوصف اللغة من داخل خطاب إيديولوجي مسبق**، سواءً كان قوميًا، دينيًا، جنسيًا، أو سياسيًا؛ فكل لغة تُمارس ضمنها السلطة الرمزية (Bourdieu, 1982) ، وكل تحليل لغوي يُخفي – ولو ضمنيًا – تصورات عن **الهوية، الأصل، التفوق، النقاء، السلطة، الذكورة، المركزية، إلخ**. وإذا كانت الموضوعية في اللسانيات تشترط بناء موضوع معرفي مضبوط كما رأينا، فإن أحد أبرز التحديات التي تواجه هذا البناء يكمن في البنية الإيديولوجية الملازمة للغة ذاتها. فاللغة، كما هو معروف منذ ألتوسير وفوكو، ليست أداةً محايدة، بل بنية رمزية حاملة للسلطة والمعنى والتصنيف. وهذا ما يفرض على اللساني أن يميّز، بوعي إبستيمولوجي دقيق، بين "تحليل اللغة بوصفها موضوعًا للعلم" و"توظيف اللغة بوصفها أداة لإعادة إنتاج الموقف الثقافي أو السياسي أو القيمي."

إن كل تمثيل لغوي يتضمن بالضرورة بعدًا إيديولوجيًا، سواء على مستوى المفردات أو البنية النحوية أو حتى في المعايير التداولية. فاللغة، كما بيّن رولان بارت، «تنتج معنىً» لكنها في الوقت ذاته «تشرعن هذا المعنى»، أي تجعل من المعطى اللغوي أداة لتثبيت دلالة معينة، غالبًا ما تكون مرتبطة بمركز اجتماعي أو ثقافي معين (Barthes, 1964, p. 21).ومن ثم، فإن المعرفة اللغوية التي لا تعي هذه البنية الإيديولوجية الكامنة، تظل رهينة لخطابها الضمني، حتى وإن بدت علمية في ظاهرها.

لكن اللسانيات، بوصفها علمًا حديثًا، لا يمكن أن تنفي هذه الإيديولوجيا، بل يجب أن تُخضعها للتحليل. وهنا يأتي دور "الموضوعية النقدية"، التي لا تعني الإنكار، بل الفحص والتفكيك. إن نزع الإيديولوجيا عن اللغة لا يعني إقصاء الأبعاد السياسية أو الثقافية، بل فصلها عن عملية التوصيف العلمي؛ أي أن يُبنى التحليل على أدوات مستقلة عن الموقف القيمي أو الهوياتي، مع إبقاء الباب مفتوحًا لتحليل تلك المواقف بوصفها موضوعًا لاحقًا، لا معيارًا سابقًا.

من هذا المنطلق، تسعى اللسانيات المعاصرة إلى تحقيق نوع من "الحياد الإجرائي"، يسمح لها بتوصيف الظاهرة اللغوية دون أن تنخرط ضمن أنظمة الشرعنة الثقافية أو السلطة الرمزية. وقد أكد بنفينيست (1966) أن اللساني ليس من مهامه إصدار الحكم على اللغة، بل بناء نموذج يمكن أن يُستخدم لتحليل أي لغة، دون تمييز بين لغة "راقية" وأخرى "سوقية"، بين لهجة "مرموقة" وأخرى "مهمشة.(Benveniste, 1966, p. 72) "

ومع تطور التحليلات النقدية للخطاب، خصوصًا منذ أعمال نورمان فيركلو (Fairclough, 1989) وفان دايك(van Dijk, 1993) ، اتضح أن أي وصف لغوي غير واعٍ ببعده الإيديولوجي يمكن أن يتحول إلى شكل من أشكال التواطؤ الرمزي. ومن هنا تأتي أهمية الوعي النقدي في ضبط الموضوع اللساني: لا لتحييد اللغة عن التاريخ، بل لمنع التاريخ من تشويه التحليل العلمي. الموضوعية هنا تُفهم بوصفها درجة من المسافة بين الذات المحللة والمادة اللغوية، تُمكن من بناء تمثيل علمي لا يُملي علينا أحكامًا، بل يدعونا إلى تأملها وإعادة قراءتها من موقع معرفي مستقل.

إذًا، فإن نزع الإيديولوجيا لا يعني أبدًا تجاهل الأبعاد السياسية أو الثقافية للغة، بل يعني تجريد التحليل اللساني من شروط التحيز المسبق. فالموضوعية اللسانية لا تفرض على الباحث "الحياد الأخلاقي"، وإنما تفرض عليه "المسؤولية المنهجية": أن يدرك أن كل ما يقوله عن اللغة يمكن أن يُستعمل، وأن يُساء استعماله، ولهذا وجب أن يكون التحليل قائمًا على معايير قابلة للتقويم والمراجعة، لا على الموقف الثقافي أو الانتماء الشخصي.

لقد لخّص ميشال فوكو هذه الفكرة بدقة حين كتب: «المعرفة لا تتشكل إلا داخل شبكة من السلطة، لكن هذا لا يعني أن كل معرفة سلطة، بل يعني أن كل معرفة تستدعي وعيًا بموقعها داخل هذه الشبكة (Foucault, « 1971).ومن ثم، فإن الموضوعية في اللسانيات ليست نفيًا للسلطة، بل وعيًا بها، وتحليلًا لأثرها، وتنظيمًا لمنهج لا يُعيد إنتاجها دون مساءلة.

ولذلك، فإن "الموضوعية" في اللسانيات **لا تعني الحياد، بل تعني تفكيك كل العناصر غير العلمية التي تتسلل إلى التحليل تحت غطاء "الوطنية"، أو "النقاوة اللغوية"، أو "الذوق الثقافي"، أو "التراث."**

وهنا تصبح الموضوعية **ليست تجرّدا عن القيم، بل تجريدًا منهجيًا من الانحيازات التي تُعطّل فعل التفسير العلمي.**

وقد نبّه **فوكو** إلى هذا حين أكد أن المعرفة لا تُنتج إلا إذا استطعنا فصلها عن السلطة التي تطلب منها التبرير (Foucault, 1969, p. 43).وهذا يعني أن إنتاج "موضوع لساني علمي" يستدعي **فصلًا قاسيًا بين الظاهرة والتمثيلات الثقافية التي تحملها**، حتى يمكن تحليلها دون إعادة إنتاج الإيديولوجيا.

المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

الاستشهادات العلمية داخل النص:

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Barthes, R. (1964). *Éléments de sémiologie*. Paris: Seuil
- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard.
- Bourdieu, P. (1982). *Ce que parler veut dire*. Paris: Fayard.
- Fairclough, N. (1989). *Language and Power*. London: Longman.
- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
- Foucault, M. (1971). *L'ordre du discours*. Paris: Gallimard.
- Kant, I. (1781/1998). *Critique of Pure Reason*. Cambridge University Press.
- van Dijk, T. A. (1993). *Principles of Critical Discourse Analysis. Discourse & Society*, 4(2), 249–283.

خلاصة تحليلية للمطلب:

تمثل الموضوعية في اللسانيات **شرطًا إبستيمولوجيًا حاسمًا** للانتقال من الخطاب الإنشائي حول اللغة، إلى نموذج علمي قابل للفحص والتداول.

إنها لا تعني إقصاء الذات، بل **إعادة تنظيمها داخل خطاب قابل للتشارك، التحليل، والتعديل.**

وبذلك، فإن الموضوعية هي ما **يمنح الظاهرة اللغوية استقلالها كموضوع معرفي، لا كأداة ثقافية.**

ومن دونها، يتحول التحليل اللساني إلى تأويل موروث، أو إلى إيديولوجيا لغوية متنكرة.

الرؤية التركيبية البنيوية للمطلب الثالث

"من الكلية والموضوعية إلى صياغة خطاب لساني منضبط"

عند تأمل العناصر الثلاثة التي تكوّن المطلب الثالث (الكلية، الموضوعية، نزع الإيديولوجيا)، يمكن استنتاج أن المقاربة اللسانية المعاصرة لا تقوم فقط على أدوات وصفية أو نماذج تحليلية، بل ترتكز في جوهرها على بنية عقلانية ميتاعلمية، تحكم طريقة النظر إلى الظاهرة اللغوية وتموضع الذات الباحثة في علاقتها بها. هذه المقاربة لا تنطلق من المعطى اللغوي الخام، بل من **اشتراطات معرفية قبْلية** (a priori épistémiques)، تشكل الإطار المفاهيمي الذي يجعل من اللغة موضوعًا قابلاً للدرس العلمي.

فالكلية، بما هي نزعة نحو التعميم التجريدي، لا تسعى إلى حصر التفاصيل، بل إلى إعادة إدماجها داخل بنى تفسيرية عليا، تكشف قوانين التكرار والتوليد، وتُنتج نظريات قادرة على تفسير الظاهرة اللغوية. أما الموضوعية، فلا تُفهم كمجرد حياد وجداني، بل كشرط لتركيب موضوع علمي مستقل عن الذات، قابل للتحقق، قابل للتقويم، وقابل للتقاسم داخل المجتمع العلمي. وأما نزع الإيديولوجيا فليس طمسًا للثقافة أو التاريخ، بل هو تفكيك للتمثلات المسبقة التي قد تُقحم في التحليل اللغوي من حيث لا يشعر الباحث، وهو ما يجعل من الموضوعية ممارسة نقدية، لا حالة وجدانية.

إن تداخل هذه العناصر الثلاثة يكشف عن **التواشج العميق بين الإبستمولوجيا واللسانيات**، ويؤكد أن أي تحليل لساني لا يكتسب صفة العلمية ما لم يُؤسس ضمن هذه البنية المقولاتية :**تعميمٌ دون تعسف، تحليلٌ دون انطباع، ونقدٌ دون تبرير** .ومن هنا، فإن المشروع اللساني المعاصر ليس مشروع وصف فقط، بل هو مشروع **تفكير في شروط الوصف ذاتها**، أي في الشروط التي تجعل من اللغة موضوعًا معرفيًا لا ميتافيزيقيًا، ومن التحليل ممارسة علمية لا انعكاسًا لذائقة أو موقف ثقافي.

الخاتمة العامة للمبحث الثالث:

"المقولات الأساسية والمعمار الخفي للخطاب اللساني"

لقد كشف هذا المبحث عن أن المعرفة اللسانية، بوصفها مشروعًا علميًا حديثًا، لا تتأسس على سطح اللغة كما تُستعمل أو تُسمع، بل على **معمار مفاهيمي عميق** تُحكمه مقولات تأسيسية تُنظم كل عملية إدراك، تحليل، وتفسير. لقد بيّنا أن اللسانيات لا تشتغل فقط على المعطى اللغوي، بل على تمثله، وعلى الطريقة التي يُعاد بها

تشكيله كمادة للتحليل. وهذا التمثيل لا يمكن أن يتم إلا ضمن أفق "كلّي"، يربط الظواهر الجزئية ببنى توليدية شاملة، وضمن "أفق موضوعي"، يفصل بين اللغة كأداة للتواصل واللغة كنسق للتحليل، وضمن "وعي نقدي"، يُفكك البُنى الإيديولوجية التي قد تتسرّب إلى أدوات الفهم دون تمحيص.

بهذا المعنى، فإن اللسانيات – وإن كانت تبدو في ظاهرها علمًا تقنيًا وصفيًا – فهي في جوهرها **علم ميتاعلمي**، أي علم يُفكر في شروطه، يُسائل حدوده، ويُعيد بناء موضوعه باستمرار. وهذا ما يجعلها من أكثر العلوم الإنسانية اتصالًا بالفلسفة، ومن أكثرها قدرة على مساءلة الذات، اللغة، والعالم في آن.

ولذلك، فإن كل مشروع لساني لا يمرّ عبر تحليل هذه المقولات الأساسية يظل معرضًا للانزلاق في التوصيف السطحي أو التبرير المعياري. أما من يؤسّس خطابه اللساني انطلاقًا من هذه البنية، فإنه لا يصف اللغة فقط، بل يُعيد بناء شرط إمكان الفهم ذاته، ويُسهم في تشييد معرفة لغوية تمتلك صفة التفسير، القابلية للتعميم، والاستقلال عن الذات.

المحاضرة 03: المبحث الثالث – القانون العلمي في اللسانيات

تحليل إبستيمولوجي لمفهوم القانون في العلوم اللغوية

◈ تمهيد منهجي:

في العلوم التجريبية، يُعد "القانون" أحد المفاهيم التأسيسية التي تمنح الظاهرة طبيعة منتظمة قابلة للتفسير والتنبؤ. ومع ذلك، فإن استيراد مفهوم "القانون" إلى الحقول الإنسانية، ومنها اللسانيات، يطرح تساؤلات إبستيمولوجية عميقة:

- هل هناك قوانين في اللغة بالمعنى نفسه الذي نجده في الفيزياء أو الكيمياء؟
- ما طبيعة هذه القوانين؟
- وهل تتصف بالصرامة والاطراد أم تخضع لمرونة السياق الإنساني والتاريخي؟

هذا المبحث يطرح هذه الإشكاليات من خلال التحليل الاستقرائي للمفهوم، ونقد أسسه، وتفكيك تمثلاته في الخطاب اللساني.

◈ المطلب الأول: مفهوم القانون – من النسق الطبيعي إلى الخطاب اللساني

يُعرف "القانون" في الفكر العلمي الكلاسيكي بوصفه "عبارة موجزة تصف انتظامًا متكرّرًا في الظواهر، يمكن اختباره والتنبؤ به". وهو يتأسس عادة على الملاحظة، التجريب، ثم الصياغة الصورية (الرياضية أو الرمزية)، كما هو الشأن في قوانين نيوتن أو قانون حفظ الطاقة.

لكن في الحقول اللسانية، تختلف طبيعة الظواهر: فهي ليست مادية صرف، بل رمزية، دلالية، ثقافية، ومتشابكة مع الذات والمجتمع. ورغم ذلك، حاول كثير من اللسانيين صياغة ما يشبه "قوانين اللغة"، مثل:

- قانون غريم Grimm's Law في التحول الصوتي؛
- قانون فيرديناند دي سوسير في العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول؛
- قوانين البنية العميقة في النحو التوليدي عند تشومسكي.

إلا أن هذه القوانين ليست "صلبة" مثل قوانين الفيزياء، بل هي أقرب إلى **نماذج تفسيرية ذات طابع احتمالي**، تخضع للخصوصية اللغوية والثقافية.

ملاحظة إبستيمولوجية: ما يُسمّى "قانونًا" في اللسانيات لا يتصف بصرامة القوانين الطبيعية، بل هو تقليد اصطلاحي يُشير إلى انتظام جزئي أو نمط سلوكي لغوي يتكرر بدرجة كافية لتبرير تحليله نظريًا.

◆المطلب الثاني: خصائص القانون في الحقل اللساني

عند تحليل بنية "القانون" في اللسانيات، نجد أنه يمتلك خصائص مميزة عن القوانين الكونية:

1. **الطابع الاحتمالي:** معظم ما يُصاغ على شكل قوانين في اللسانيات لا يُطبَّق على جميع السياقات، بل على "غالب السياقات"، مع وجود استثناءات، مما يجعله أقرب إلى القاعدة التجريبية.
2. **المرجعية السياقية:** القانون اللغوي لا يُفهم إلا داخل نظام لغوي خاص (نحو، صرف، تداول...)، وهو ما يجعل قابليته للتعميم مرهونة بالسياق الثقافي والاجتماعي.
3. **الطبيعة الإجرائية:** قوانين اللسانيات تُبنى انطلاقًا من تحليل الأداء اللغويcorpus ، وليس من الواقع الفيزيائي، ما يعني أنها تُستنبط بعديًا، لا تُكتشف قبليًا.
4. **قابلية التأويل والتعدد:** عكس القوانين الفيزيائية التي تُفسَّر ضمن نمط موحد، يمكن أن تُفَسَّر القوانين اللغوية بطرق متعددة حسب النظرية: بنيوية، توليدية، تداولية، إلخ.

◆المطلب الثالث: القيمة التفسيرية للقانون اللساني

رغم طابعه غير الصارم، يحتفظ "القانون اللساني" بقيمة كبرى داخل المنهج العلمي اللغوي، لأنه:

- يُوفّر أداة تفسيرية تُسهّل فهم الظاهرة؛
- يسمح ببناء نماذج تحليلية تُستخدم في التطبيقات (كالتعليم، الترجمة، الذكاء الاصطناعي)؛
- يُحوّل اللغة من فوضى ظاهرية إلى نظام يمكن نمذجته رياضيًا أو خوارزميًا.

وقد أشار **جورج سامبسون** (Sampson, 1980)إلى أن اللسانيات، حتى في أكثر أشكالها وصفية، تسعى لاكتشاف ما هو "منتظم" في اللغة، أي "ما يُشبه القانون"، وهذا ما يجعلها حقلًا علميًا متحوّلًا باستمرار.

◈ خاتمة تحليلية:

القانون في اللسانيات ليس معطى طبيعيًا، بل هو **نتيجة بناء معرفي**، يخضع للتأويل، الاختبار، التعديل، والنقد. إنه لا يصف "اللغة كما هي"، بل "اللغة كما نفهمها ضمن إطار نظري". ورغم أنه لا يمتلك صرامة القوانين الطبيعية، إلا أن وظيفته التفسيرية تجعله محورًا رئيسيًا في المشروع العلمي للغة. ومن هنا تبرز أهمية اللسانيات في ربط اللغة بالفكر، والوصف بالتحليل، والظاهرة بالنموذج.

مراجع:(APA)

- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Pa

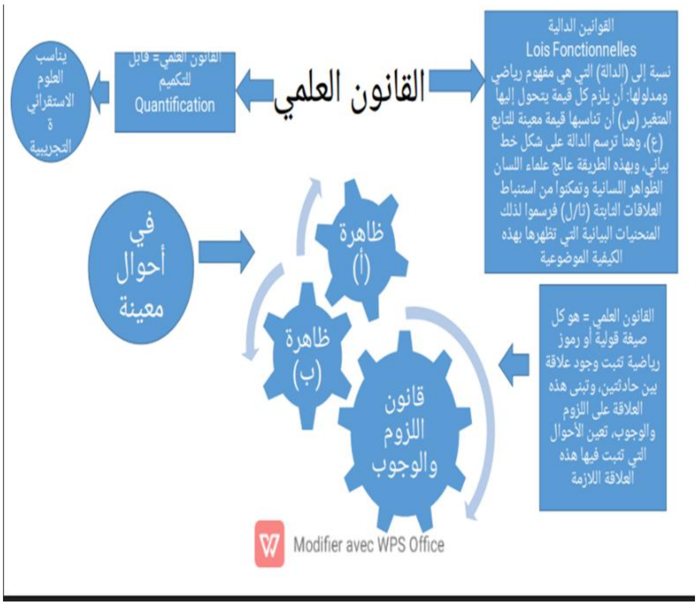

خطاطة المحاضرة03: القانون العلمي

سنقوم بتحليل الخطاطة. تحليلًا إبستيمولوجيًا دقيقًا وشاملًا لمضمونها، بوصفها تمثيلًا بصريًا للمفاهيم الأساسية في **المحاضرة الثالثة: القانون العلمي في اللسانيات** .يعتمد هذا التحليل على تفكيك المفاهيم والعلاقات المنطقية التي تقترحها الخطاطة، وإعادة صياغتها بصيغة تفسيرية فلسفية متعمقة، تمهيدًا للتوسع في المطالب لاحقًا.

التحليل الإبستيمولوجي للخطاطة: "القانون العلمي"

.1العنصر المركزي: "القانون العلمي"

الخطاطة تضع مفهوم "القانون العلمي" في مركز البناء المعرفي، باعتباره **مبدأً ناظمًا** يسمح بربط مجموعة من الظواهر داخل نسق تفسير مشترك. هذا التمركز البصري يؤكد أن القانون ليس نتيجة ملاحظة مباشرة، بل هو **إنتاج تجريدي يتوسط بين الظواهر، ويعيد تنظيمها في شكل قاعدة كلية.**

الوظيفة الأساسية للقانون العلمي هنا هي:

- تفسير انتظام الظواهر؛
- توقع سلوكها في ظروف معينة؛
- تحويل الملاحظة التجريبية إلى قاعدة معرفية قابلة للتعميم.

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

.2العلاقة بين الظواهر (أ، ب، ج) والقانون

ترمز التروس المتداخلة إلى أن الظواهر (أ، ب، ...) ليست مستقلة أو معزولة، بل **تشتغل ضمن ترابط سببي أو انتظام سلوكي** .هذا الترابط هو ما يُنتج ما يُسمى في الخطاطة بـ"قانون اللزوم والوجوب"، أي:

إذا وُجدت ظاهرة (أ) في شروط معينة، فإن ظاهرة (ب) تُلازمها بالضرورة أو تظهر كنتيجة محتملة لها.

هذا المفهوم قريب من "القانون الاحتمالي المشروط" في العلوم الإنسانية، حيث لا يُشترط التطابق التام بين الحالتين، لكن يُفترض وجود علاقة سببية أو توليدية ثابتة يمكن التعبير عنها نموذجًا.

.3قانون اللزوم والوجوب(Causalité fonctionnelle)

المصطلح المستخدم في الخطاطة "اللزوم والوجوب" يُحاكي في طبيعته ما يُعرف في الفلسفة العلمية بـ"العلية الوظيفية" أو **القانون الوظيفي** (Loi Fonctionnelle)، الذي لا يربط بين الأحداث من خلال السببية الميكانيكية كما في الفيزياء، بل من خلال التوازي الوظيفي بين الظواهر.

في هذا السياق، القوانين اللسانية لا تقول: "إذا نطق المتكلم كلمة (س) فسيحدث الحدث (ص)"، بل تقول مثلًا: "كل بنية نحوية (X) تتطلب بنية صرفية"(Y) ، أي أنها تتعامل مع **نماذج انتظام** لا مع أحداث خطية.

.4أنواع القوانين: القوانين الدالية مقابل قوانين اللزوم

الخطاطة تميّز بين:

- **القوانين الدالية**:(**Lois fonctionnelles**) وهي قوانين يُعبَّر عنها غالبًا بصيغة رياضية أو كمية (Quantification)، وتصف العلاقة بين متغيرات (x, y) في صورة معادلة أو خط بياني. هذه القوانين قابلة للتعميم داخل نسق محدد، وتُستخدم بكثرة في التطبيقات الإحصائية والمعالجات الحاسوبية للغة.

- **قوانين اللزوم والوجوب**: لا تصاغ بالضرورة رياضيًا، بل تُفهم كقواعد تفسيرية تصف انتظامًا معنويًا، تركيبيًا، تداوليًا. تميل إلى الشكل الشرطي "إذا ... ف..."، وتُستخدم في مجالات مثل التحليل الصرفي، النحوي، السياقي.

هذا التمييز يُبرز تعددية "أشكال القانون" في الحقول الإنسانية عامة، واللسانية خاصة، وهو ما يميزها عن القوانين الحتمية في العلوم الصلبة.

.5الكمية (Quantification) كشرط لصلاحية القانون العلمي

الخطاطة تشير إلى أن القانون العلمي يجب أن يكون قابلاً لـ"تكميم" أو "القياس(Quantification) "، أي أن يكون قابلاً للتحقق العددي أو الإحصائي، ما يُناسب النماذج الحاسوبية والاستقرائية. هذه الإشارة تُعيدنا إلى مركزية "القياس" في الفكر العلمي الحديث، حيث لا يكفي أن نصف، بل يجب أن **نقيس، نحسب، ونحوّل المعطى إلى بنية قابلة للتمثيل الرقمي**.

لكن الخطاطة – بحكمة – تُضيف أن هذا الشرط يتناسب مع **العلوم الاستقرائية والتحليلية**، أي أن التكميم في الحقول الإنسانية ليس دائمًا رياضيًا، بل يمكن أن يكون نسبيًا، مرنًا، ومقيّدًا بالسياق.

.6ملاحظة هيكلية: في "أحوال معينة"

العبارة "في أحوال معينة" التي تسبق تطبيق القانون على الظواهر، تُشير إلى البعد الشرطي والنسبي للقانون اللساني:

فالقانون لا يعمل على الإطلاق (كما هو الحال في قوانين نيوتن)، بل يعمل ضمن **شروط سياقية معينة** يجب تحديدها مسبقًا.

وهذا ما يعزز الطابع الإجرائي، وليس المطلق، للقوانين في اللسانيات.

خلاصة تحليل الخطاطة:

تمثل هذه الخطاطة محاولة ناجحة ومكثفة لتحديد البنية الإبستيمولوجية للقانون العلمي داخل اللسانيات. فهي تنقلنا من الفهم الحتمي الجامد للقانون (كما في العلوم الصلبة) إلى فهم مرن، بنيوي–وظيفي، يأخذ بعين الاعتبار:

- ترابط الظواهر اللغوية ضمن أنساق؛
- الطابع الاحتمالي للظواهر؛
- مشروطية التفسير بسياقات وظيفية؛
- تنوع أنماط التمثيل من الصيغة الرياضية إلى النموذج التداولي.

هذه الخطاطة تصلح كبنية تأسيسية للتمييز بين ما يُنتج قانونًا لغويًا، وما يُمثل قاعدة سلوكية عابرة أو وصفية.

التحليل الموسّع:

المطلب الأول: مفهوم القانون – من النسق الطبيعي إلى الخطاب اللساني

(حفريات إبستيمولوجية في مفهوم "القانون" بين الفيزياء واللسانيات)

يتصدر مفهوم "القانون" البنية المعرفية للعلم الحديث منذ القرن السابع عشر، حيث لم يعد يُنظر إلى العالم بوصفه حقلًا للفوضى أو الصدف، بل بوصفه نسقًا يمكن فهمه عبر انتظامات قابلة للتكرار، الصياغة، والتنبؤ. وقد مهّد لهذا التحول كل من ديكارت وغاليليو ونيوتن، حيث اقترحوا قوانين طبيعية تفسر الحركة، الجاذبية، الضوء، والمادة، ضمن بنى رياضية دقيقة. من هذا المنظور، أصبح "القانون" هو ما يمنح الظواهر صفة "العلمية": إذ ينقلها من التعدد الفوضوي إلى التعميم المنظم، ويجعلها قابلة للتكميم(quantification) ، التحقق (verification)، والتنبؤ.(prediction)

في هذا النموذج الفيزيائي—الرياضي، يُفهم القانون على أنه تجريد عقلي يُعبَّر عنه غالبًا بصيغة رمزية = $(f(x)$ $y)$، ويصف العلاقة الثابتة بين متغيرات يمكن ضبطها تجريبيًا. وهو ما يجعله يرتبط بأربعة شروط إبستيمولوجية مركزية:

- **الكلية** :(**Universality**) أي أن القانون يطبّق على جميع الحالات المماثلة.
- **الثبات** :(**Invariance**) لا يتغير القانون بتغير المكان أو الزمان.
- **السببية** :(**Causalité**) يفترض وجود ترابط سببي صارم بين المكونات.
- **التكميم** :(**Quantification**) يمكن التعبير عن العلاقات بالأرقام والمعادلات.

غير أن هذا التصور، حين يُستورد إلى الحقول الإنسانية، ومنها **اللسانيات**، يُواجه تحديات إبستيمولوجية عميقة. فاللغة ليست ظاهرة مادية خالصة، بل هي ظاهرة رمزية، متغيرة، مشروطة سياقيًا، محكومة بالذوق، الثقافة، السياق، والتاريخ. إنها ليست "ما يقع"، بل "ما يُقال"، و"ما يُفهم"، و"ما يُؤوّل". ومن هنا، فإن السؤال المنهجي الأهم يصبح :**هل يمكن نقل مفهوم "القانون" من الفيزياء إلى اللسانيات دون تشويه؟ وإذا أمكن، فما الذي يحتفظ به من معناه، وما الذي يتغير جذريًا؟**

في العلوم الإنسانية عمومًا، لا تتأسس القوانين على معادلات رياضية صلبة، بل على ملاحظات تجريبية دقيقة، يتم ترميزها ضمن إطار نظري يضبط تكرارها. وقد رأى **دلتاي وريكور** أن استخدام مصطلح "القانون" في هذه الحقول ينطوي على مخاطرة علموية(scientisme) ، لأن الظواهر الإنسانية لا يمكن إخضاعها للحتمية

الصارمة كما في الظواهر الفيزيائية .(Ricoeur, 1965) ولهذا فضّلا الحديث عن "نموذج"، "بنية"، "نظام تمثيلي"، بدل "قانون."

ورغم هذه التحفظات، ظل كثير من اللسانيين يستخدمون مفهوم "القانون"، لكن **بمعنى موسّع ووظيفي**، يتجاوز الإطار الحتمي الجامد. وهكذا، أصبحت "قوانين اللسان" تشير إلى:

- انتظامات صوتية أو صرفية أو تركيبية تتكرر بنحو يمكن ملاحظته؛
- علاقات شرطية من قبيل: "إذا وُجد السياق(X) ، تُستعمل البنية(Y) ؛
- آليات عقلية أو ذهنية مفترضة تسمح بتوليد عدد لا نهائي من الجمل؛
- وظائف اجتماعية أو تداولية يُعاد تمثيلها من خلال البنية اللغوية.

ضمن هذا الإطار، ظهرت عدة نماذج تعرّف "القانون اللساني" كميكانيزم تفسير رمزي، لا كحقيقة مادية، نذكر منها:

1.قانون غريم(Grimm's Law)

في علم اللغة التاريخي، كشف ياكوب غريم عن تحولات منتظمة في الأصوات بين اللغات الجرمانية واللغات الهندو–أوروبية الأم. وقد سُمي هذا التحول "قانونًا" لأنه يمثل نسقًا صوتيًا متكررًا يمكن رصده في حالات متعددة، رغم أنه لا يخلو من استثناءات، مما يُبرز طابعه الاحتمالي.

2.قانون الاعتباطية(Saussure, 1916)

اقترح دي سوسير مبدأً تأسيسيًا للدرس اللساني: العلاقة بين "الدال" و"المدلول" اعتباطية، أي لا تخضع لضرورة طبيعية، بل تقوم على اصطلاح جماعي. وقد عُدّ هذا المفهوم بمثابة "قانون رمزي" يكشف آلية العمل داخل النسق اللغوي، ويُميّز اللغة عن الظواهر الفيزيائية أو البيولوجية.

3.قوانين الكفاية اللغوية(Chomsky, 1965)

في اللسانيات التوليدية، لا يستعمل تشومسكي مصطلح "القانون" بشكل صريح، لكنه طوّر ما يُشبه قوانين داخلية كامنة في "الدماغ اللغوي". فالقواعد التوليدية (generative rules) تعمل على توليد عدد لا نهائي من الجمل انطلاقًا من عدد محدود من العناصر. هذه القواعد تُعدّ قانونًا توليديًا لأنها تُفسّر كيف يمكن للمتكلم أن ينتج جملًا لم يسمعها من قبل.

كل هذه النماذج تؤكد أن "القانون اللساني" لا يُفهم كمعادلة فيزيائية، بل كـ **نموذج تفسيري–وظيفي–احتمالي**، يعمل داخل نسق لغوي وثقافي خاص، ويُعيد تنظيم الظاهرة في صورة قابلة للتأويل، التعليم، والحوسبة.

.4القانون كتمثيل لا كحقيقة

في فلسفة العلم المعاصرة، وخصوصًا مع أعمال **باشلار وفوكو**، لم يعد يُنظر إلى "القانون" بوصفه انعكاسًا للواقع، بل بوصفه **بنية تمثيلية تُنظّم علاقتنا بالواقع** .فالقانون ليس "ما هو"، بل "ما نبنيه لنفهم ما هو" (Bachelard, 1934).إنه بنية خطابية – معرفية، يتم إنتاجها عبر شروط تجريبية ونظرية، تخضع للتعديل المستمر، وتُمثّل شكلاً من أشكال السيطرة الرمزية على الظواهر.

وهكذا، فإن "القانون اللساني" هو تمثيل منتظم للظاهرة اللغوية، لا حقيقتها المطلقة. وهو لا ينشأ من "اكتشاف" محايد، بل من **بناء معرفي يتم داخل إطار نظري محدد** .لذلك، فإن "قانونًا لسانيًا" في البنيوية قد يبدو غير ذي معنى في اللسانيات الاجتماعية، والعكس صحيح.

☑ **خلاصة تحليلية:**

إن مفهوم "القانون" في اللسانيات يمثل **نقلة نوعية** في التفكير العلمي بالظواهر الرمزية. فبدل أن يُفهم بوصفه مرآة للواقع، يُفهم كبنية تفسيرية وظيفية، تهدف إلى تنظيم الفوضى الظاهرة في الخطاب، وتحويلها إلى نظام يمكن تحليله، نقله، أو تعليمه. وهو بذلك لا يُنكر التعدد والاختلاف، بل يُعيد تأطيرهما ضمن نموذج يمكن اختباره، وتوسيعه، ونقده.

الاستشهادات داخل النص:(APA)

- Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: PUF.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Ricoeur, P. (1965). *Histoire et vérité*. Paris: Seuil.
- Sampson, G. (1980). *Schools of Linguistics*. Hutchinson.

المطلب الثاني: خصائص القانون في الحقل اللساني

)تحليل إبستيمولوجي لبنية القوانين اللغوية بين النسق التجريبي والاحتمال التداولي(

إن تحليل مفهوم "القانون" في اللسانيات لا يمكن أن يتم بمنأى عن تمييزه الجوهري عن القوانين في العلوم الطبيعية. فبينما تصوغ الفيزياء والكيمياء قوانينها ضمن منظومة مغلقة من المعادلات الصارمة التي تخضع لمبادئ الحتمية والثبات والتكميم، نجد أن الحقول اللسانية – بوصفها علومًا إنسانية رمزية – تطور نسقًا من القوانين يختلف في طبيعته البنيوية، ووظيفته التفسيرية، ومنطقه المعرفي. وفيما يلي الخصائص الكبرى التي تُميز القانون اللساني:

1.الطابع الاحتمالي(Probabilistic Nature)

القانون اللساني غالبًا ما يُصاغ بصيغة احتمالية لا حتمية، حيث لا يُطبق على جميع السياقات دون استثناء، بل على "غالب الحالات" أو على "بنية نمطية" تتكرر بدرجة كافية لتبرير التعميم. وهذا ما يجعل القانون اللساني أشبه بقاعدة تجريبية عامة، قابلة للتحقق، لكنها غير صارمة.

فعلى سبيل المثال، ما يُعرف في العربية بـ"تقديم الفاعل على الفعل في الجملة الفعلية" يُعد قاعدة نحوية عامة، لكن الشذوذ عنها وارد في سياقات بلاغية أو شعرية، أو وفق مقتضى الحال التداولي. هنا، يُصبح القانون أقرب إلى نسق احتمالي contextual pattern منه إلى قاعدة رياضية مغلقة (cf. Crystal, 2003, p. 101).

وهذا ما يجعل الطابع الاحتمالي، كما أشار إليه (**Chomsky (1965**، أحد عناصر التوتر المعرفي بين البنية اللغوية كما هي، والقدرة على توليدها، إذ تُصبح اللغة مجالًا للقدرة (competence) لا للثبات المطلق.

"The task of linguistic theory is to determine a system of rules that captures the regularities, even if exceptions are admitted within specific contexts." (Chomsky, 1965, p. 9)

.2المرجعية السياقية(Contextual Relativity)

لا يمكن فهم القانون اللساني خارج البنية التي ينتمي إليها. فكل قانون لغوي مرتبط بسياقه اللغوي والنظري والثقافي والاجتماعي، ما يجعله نسبيًا ومشروطًا. وهذا ما أبرزه **Benveniste (1966)** في أعماله حول الذات واللغة، حين أشار إلى أن اللغة لا تشتغل في فراغ بل ضمن "نظام من العلاقات التداولية والاجتماعية"، مما يعني أن "القاعدة" لا تُفهم إلا ضمن "المقام."

ويُلاحظ هذا جليًا في قوانين التداول، مثل تلك التي تحكم أفعال الكلام (Speech Acts) عند **Searle**، أو في "مبدأ التعاون" عند **Grice**، حيث يُبنى الحكم التداولي وفق شروط سياقية لا تُعزل عن البنية الاجتماعية للمخاطبة.

"القانون التداولي لا يُفهم إلا في ضوء السلطة الاجتماعية، والتموقع الإدراكي للمتكلم والمخاطب، كما في الجملة الأمرية التي تُنتج وظيفتها بحسب الفاعل التداولي لا البنية النحوية فقط(van Dijk, 1997, p. 83) ".

.3الطبيعة الإجرائية(Procéduralité)

القانون في اللسانيات لا يُكتشف مباشرة من الواقع، كما هو الحال في العلوم الطبيعية، بل يُبنى من خلال عملية إجرائية مركبة تبدأ بالملاحظة، ثم بالتصنيف، فالتحليل، فالتركيب. أي أن القانون ليس معطى قبليًا، بل يُستنبط بعديًا، انطلاقًا من الأداء اللغوي الحقيقي (Corpus) وتحليل أنماطه المتكررة.

وقد أشار **Ferdinand de Saussure (1916)** إلى أن اللساني لا "يصف" فقط، بل "ينشئ" شبكة من العلاقات داخل النسق اللغوي من أجل تنظيم الظاهرة، لا عكسها.

وهذا يتوافق مع رؤية **Bachelard (1934)** الذي شدد على أن القانون العلمي، في الحقول غير المادية، يُبنى كـ"وسيط معرفي لإنتاج الموضوع"، وليس كمرآة له. ومن هنا فإن القوانين اللسانية هي أشبه بـ**خوارزميات تأويلية** تنتج من تراكم الاستقراء والتحقق وليس من الصياغة المسبقة.

.4قابلية التأويل والتعدد(Interprétabilité et Multiplicité)

من الخصائص الفارقة للقانون اللساني أنه يخضع لتعدد التأويلات حسب الإطار النظري المعتمد. وهذا ما يجعل القانون عرضة لإعادة التفسير، وليس فقط لإعادة التطبيق. فالظاهرة الواحدة يمكن أن تُقرأ من زوايا مختلفة:

- النحو التوليدي يُفسر الحذف بوصفه ناتجًا عن تحويل في البنية العميقة؛

- النحو الوظيفي يُحيله إلى مبدأ الاقتصاد والتمركز حول الوظيفة المعلوماتية؛
- التداولية تُفسره بكونه انزياحًا شرطه السياق والمقصد التواصلي.

وهذا ما دفع **van Dijk (1997)** إلى اعتبار أن القانون اللغوي هو "بنية متعددة التمثيل"، أي أنه لا يعمل بوصفه نظامًا أحاديًّا، بل بوصفه **بنية احتمالية مركبة** يمكن فهمها فقط داخل منظور نظري معين.

"Linguistic laws are always mediated by theoretical frameworks. There is no law in language without a theory to interpret it." (van Dijk, 1997, p. 25)

.5القانون العلمي كإطار تنظيم لا كحقيقة مطلقة

أخيرًا، يتجلّى الطابع المعرفي الأكثر أهمية للقانون اللساني في كونه **نسقًا تأويليًا** لا انعكاسًا مباشرًا للواقع اللغوي. وهذا ما أكد عليه **Gaston Bachelard** بقوله:

"Le loi ne reflète pas la nature, elle organise notre accès à elle" (Bachelard, 1934, p. 103)

أي: "القانون لا يعكس الطبيعة، بل ينظم علاقتنا بها."

بهذا المعنى، القانون العلمي في اللسانيات هو **مبدأ ناظم** للظاهرة اللغوية، يُمكّن من تحويل الملاحظات العشوائية إلى قاعدة تفسيرية، تتيح الفهم، التصنيف، والتوقع. وهو بذلك لا يتأسس على صرامة القياس، بل على "نموذج استقرائي—احتمالي" يشتغل في مجال دلالي وثقافي مفتوح.

☑ **خلاصة تركيبية:**

يُظهر تحليل خصائص القانون اللساني أن اللسانيات بوصفها علمًا رمزيًا تختلف عن الفيزياء لا بانعدام المعايير العلمية، بل **بإعادة بناء هذه المعايير في ضوء طبيعة الظاهرة المدروسة** .فالقانون هنا لا يُحدد بالحتمية، بل بالانتظام؛ لا بالتجريد المطلق، بل بالسياق؛ لا بالتكميم الصرف، بل بالتفسير القابل للتعدد.

وهذا ما يجعل القانون اللساني **آلية عقلانية—نقدية** لتنظيم اللغة كنظام دلالي متغير، وليس كحتمية فيزيائية. فالفارق ليس في وجود "قانون" أو غيابه، بل في "كيفية تمثيله"، و"وظيفته التفسيرية"، و"شروطه الإبستيمولوجية."

الاستشهادات داخل النص:(APA)

- Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: PUF.
- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge University Press.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- van Dijk, T. A. (1997). *Discourse Studies*. Sage Publications.

المطلب الثالث: القيمة التفسيرية للقانون اللساني:

أولًا: من الانتظام الظاهري إلى النمذجة المعرفية

(الوظيفة الإبستيمولوجية للقانون اللساني في تفسير الظواهر اللغوية)

في كل مشروع علمي، لا تكون الملاحظة غاية في ذاتها، بل وسيلة لاستنباط نمط منتظم من الظواهر، يمكن تمثيله نظريًا وتوظيفه في بناء تفسير عقلاني. من هنا تبرز القيمة الجوهرية للقانون داخل الحقول المعرفية :لا بوصفه انعكاسًا مباشرًا للواقع، بل كبنية تفسيرية تُعيد تنظيم هذا الواقع وتضبطه ضمن شبكة من العلاقات والمعايير.

في الحقول اللسانية، تتعقّد هذه الوظيفة التفسيرية للقانون لعدة أسباب:

- **أولًا: لأن المادة المدروسة ليست ظواهر فيزيائية خاضعة للملاحظة الحسية الصرفة.**
- **بل هي وقائع رمزية–تداولية–ذهنية تنتمي إلى بنيات ثقافية ولغوية متغيرة.**

المجلس العلمي للكلية

ومع ذلك، أثبتت اللسانيات منذ منتصف القرن العشرين أنها قادرة على استخلاص أنماط انتظام متكررة داخل اللغة، سواء على المستوى الصوتي، أو الصرفي، أو التركيبي، أو التداولي. هذه الأنماط، وإن لم تصغ دائمًا في شكل "قوانين" صارمة، إلا أنها تقوم بنفس الدور :تحويل المعطى الفوضوي للغة إلى نموذج معرفي قابل للفهم، وإعادة البناء، والتوظيف.

وكما يؤكد David Crystal (2003)، فإن القيمة الإبستيمولوجية للقانون اللساني تكمن في قدرته على:

"تحويل الظاهرة اللغوية من حالة استعمالية متغيرة إلى نمط نمطي قابل للمقارنة، والتحليل، والمحاكاة (Crystal, " 2003, p. 112).

وبالتالي، فإن القانون في هذا السياق لا يُفهم بوصفه قاعدة مطلقة، بل بنية تحليلية ذات وظائف تفسيرية وتطبيقية:

- **فهو أولًا يُساهم في فهم الظاهرة اللغوية، من خلال تموضعها ضمن إطار عام يتجاوز الحالات الفردية.**
- **وثانيًا، يسمح ببناء نماذج حاسوبية وخوارزميات تُستخدم في الذكاء الاصطناعي اللغوي، والترجمة الآلية، وتحليل الخطاب، والتعليم الإلكتروني.**
- **وثالثًا، يُقدّم للباحث إطارًا مرجعيًا يمكن من خلاله اختبار الفرضيات وتعديل النظريات.**

وقد أشار George Sampson (1980) إلى هذه الوظيفة التفسيرية للقانون بقوله:

"حتى أكثر المقاربات اللسانية وصفية تنطوي ضمنيًا على بحثٍ عن نمط، عن تكرار، عن قانون، لأنه دون ذلك لا يمكن للظاهرة أن تُفهم بوصفها منتمية إلى نسق.(Sampson, 1980, p. 41) "

وهذا ما يجعل من القانون اللساني ليس وصفًا لما هو كائن فقط، بل اقتراحًا تفسيريًا حول كيفية اشتغال الظاهرة، وحدود تحققها، وشروط انحرافها.

من هنا، يمكن القول إن القيمة التفسيرية للقانون اللساني لا تكمن فقط في "تسمية" الظواهر، بل في إعادة تشكيلها داخل نماذج معرفية متعددة المستويات:

- **على مستوى الأداء (performance) كما عند بلومفيلد،**
- **أو على مستوى الكفاءة (competence) كما عند تشومسكي،**
- **أو على مستوى المقاصد التواصلية كما عند سيرل وغرايس وأوستن.**

وفي جميع الحالات، تبقى الوظيفة البنيوية للقانون قائمة: أي جعله آلية لإدراك الترابط الداخلي بين عناصر اللغة، وتحويله إلى أداة تفسيرية مرنة، يُبنى بها الخطاب اللساني، ويُقاس بها التباين، والتطور، والتمثيل.

وقد لخّص Gaston Bachelard (1934) هذا المعنى حين قال:

"ليس دور العلم أن يعيد تصوير الواقع، بل أن يعيد تنظيمه على نحوٍ يجعل منه موضوعًا للفهم، والتفسير، والإنتاج العقلي.(Bachelard, 1934, p. 98) "

خلاصة فرعية:

القانون اللساني، في وظيفته الأولى، ليس صيغة نهائية، بل نظام إنتاج للمعنى عبر التفسير .إنه الإطار الذي تتحول ضمنه الملاحظة اللغوية إلى تحليل، والتحليل إلى تأويل، والتأويل إلى نموذج معرفي قابل للتطبيق. وهذه الوظيفة التفسيرية تُعطيه مشروعيته الإبستيمولوجية، رغم طابعه غير الحتمي أو الرياضي.

المراجع داخل النص:(APA)

- Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: PUF.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge University Press.
- Sampson, G. (1980). *Schools of Linguistics: Competition and Evolution*. London: Hutchinson.

ثانيًا: القانون كعلاقة وظيفية – من الحدث إلى البنية

ترمز **الخطاطة المفاهيمية** للمبحث إلى أن العلاقة بين الظواهر اللغوية (أ، ب، ج) لا تقوم على التكرار الساذج، بل على **علاقة وظيفية** تُماثل ما يُعرف في فلسفة العلم بـ"السببية الوظيفية" أو *la causalité fonctionnelle.*

أي أن الظاهرة (أ) لا تُنتج (ب) بحتمية ميكانيكية، بل هناك **ترابط وظيفي احتمالي** مشروط بسياق أو بنية.

وهذا النمط من التفكير يُنتج ما سمته الخطاطة بـ"قانون اللزوم والوجوب"، الذي يُعيد صياغة العلاقة السببية وفق منظور إنساني—وظيفي، لا طبيعي—آلي. وبهذا يصبح القانون اللساني، في جوهره، **أداة تنظير للعلاقة بين البنى** لا بين الظواهر العرضية.

مثال: بنية نحوية معينة (X) قد "تستلزم" بنية دلالية(Y) ، لكن هذا الاستلزام ليس مطلقًا، بل مشروط ببنية المقام أو بنيات المقاصد.

تحليل العلاقة بين الظواهر (أ، ب، ج) والقانون

(من التراكم المشاهدي إلى النسق التفسيري في بناء المعرفة اللسانية):

.1المدخل الإبستيمولوجي: من الملاحظة إلى التفسير

في بنية التفكير العلمي، تُعدّ الملاحظة نقطة انطلاق ضرورية لكنها غير كافية، إذ لا تؤسس في ذاتها علمًا ما لم تُدمج ضمن نسق تفسيري منتظم. إن الاكتفاء بتراكم ظواهر لغوية مفصولة (وليكن الترميز أ، ب، ج) لا يُنتج معرفة علمية، وإنما يؤدي إلى إعادة إنتاج الانطباعي والتراكمي. ذلك أن الظواهر، بصيغتها الأولية، تظل أسيرة التعدد والاختلاف والتزامن غير المؤطر، ما لم يتدخل العقل المنظّم ليستخلص من تكرارها قانونًا يُفسّرها ويمكّن من التنبؤ بها.

وقد عبّر *غاستون باشلار* عن هذا التحول الجوهري حين قال:

"Le savoir scientifique ne commence pas par l'observation, mais par la construction d'un système qui la rend signifiante."

"المعرفة العلمية لا تبدأ بالملاحظة، بل بإنشاء بنية تجعل تلك الملاحظة ذات دلالة".

(Bachelard, 1938, p. 14)

.2من الظواهر المنفصلة إلى القانون: التأسيس النظري للعلاقة

يُشار في الخطاطة إلى الظواهر (أ، ب، ج) بوصفها وحدات لغوية ملاحظة ضمن *corpus* محدد – قد تكون هذه الوحدات صرفية، تركيبية، دلالية، أو تداولية. لكن تحول هذه الظواهر إلى "مادة علمية" لا يتم إلا عبر إقامة علاقة تفسيرية داخلية بينها. وهذا التحول من الظاهرة إلى القانون لا يتم بفعل التكرار وحده، وإنما عبر عمليات منهجية تشمل:

- **تحليل التلازم بين الوحدات؛**
- **مقارنة التكرارات وتوزيعها السياقي؛**
- **استنباط نماذج الاشتراط أو التوليد أو التتابع؛**

وهكذا، فإن العلاقة التي تنتج عنها ليست علاقة زمنية بالضرورة، بل قد تكون علاقة وظيفية، تداولية، أو تركيبية. وقد أشار *بول ريكور* إلى ذلك بقوله:

"Ce ne sont pas les phénomènes eux-mêmes qui produisent le savoir, mais la manière dont nous les articulons dans un réseau d'hypothèses."

"ليست الظواهر في ذاتها هي ما يُنتج المعرفة، بل الطريقة التي نربط بها بينها ضمن شبكة من الفرضيات".

(Ricoeur, 1970, p. 93)

.3تصنيف العلاقات: نحو مفهوم "القانون الوظيفي المشروط"

بناءً على ما سبق، يمكن تصنيف العلاقة التفسيرية بين الظواهر إلى أنماط عدة:

- **علاقة تلازم :(co-occurrence)** حيث يُستدعى (ب) غالبًا عند ظهور (أ).
- **علاقة اشتراط :(conditionnalité)** لا يتحقق (ب) إلا إذا سبقته (أ).
- **علاقة توليد :(générativité)** يتم توليد (ب) من (أ) وفق قاعدة نحوية أو دلالية.
- **علاقة استبدال :(substitution)** يُستبدل (أ) بـ (ب) في بنية معينة.

هذه العلاقات تُشكّل ما يُعرف بـ **القانون الوظيفي المشروط** (*Loi fonctionnelle conditionnelle*)، وهو مفهوم إبستيمولوجي أساسي عند جورج *كانغيلام* .(Canguilhem, 1977) فالقانون اللساني هنا لا يقوم على السببية الميكانيكية (كما في الفيزياء)، بل على الاشتراط التداولي، أو الاحتمال التوليدي.(*générativité conditionnelle*)

4. أمثلة تطبيقية: من الظاهرة إلى النظام

يتجلّى هذا النسق القانوني في اللغة العربية – مثلًا – في حالات عديدة، منها:

- ظهور بنية "الشرط" [إذا + الفعل] (أ)، غالبًا ما ينتج عنها بنية "جواب الشرط" (ب)، تتبع نمطًا تركيبيًا خاصًا (ج).
- في الجملة المبنية للمجهول: حذف الفاعل (أ)، يُستتبع بتحويل الضمير (ب)، ضمن تركيب دلالي مضبوط (ج).
- في صيغة "التعجب" مثل (ما أفعله!) (أ)، يُفترض تركيب صرفي على وزن "أفعل" (ب)، داخل مقام تعبيري (ج).

هذه العلاقات الثلاثية لا تُفهم كوقائع معزولة، بل ضمن نموذج بنيوي–وظيفي متكامل، حيث تتحقق كل ظاهرة ضمن سياق تداولي يؤطّرها، ويمنحها معناها وقيمتها في الخطاب.

5. نحو النمذجة العلمية: شروط بناء القانون اللساني

إن تحويل الملاحظة إلى قانون يمرّ عبر مراحل ثلاثة إبستيمولوجية رئيسية:

1. **التكرار التجريبي** :(*recurrence*)ملاحظة الظاهرة في سياقات متعددة.
2. **التجريد التفسيري** :(*abstraction*)عزل العلاقة المكررة عن السياقات العرضية.
3. **النموذج الفرضي** :(*hypothetical model*)بناء إطار قابل للتعميم والاختبار.

وقد لخّص *Paul Ricoeur* هذه النقطة بدقة بقوله:

"On ne comprend un phénomène que lorsqu'on l'intègre dans une relation qui permet d'anticiper ce qui n'est pas encore visible."

"لا يمكن فهم الظاهرة إلا حين ندمجها في علاقة تسمح لنا بتوقّع ما لم يظهر بعد".

(Ricoeur, 1983, p. 110)

.6القيمة الإبستيمولوجية للقانون: من التفسير إلى التعميم

القيمة الأساسية للقانون اللساني لا تكمن في الوصف، بل في التفسير والتوقع. فالقانون يسمح:

- بتنظيم corpus لغوي مشتّت ضمن نسق دلالي–وظيفي؛
- ببناء نماذج تعليمية وتطبيقات تكنولوجية(NLP ، الذكاء الاصطناعي اللغوي(؛
- بتأسيس نظرية لغوية قادرة على التنبؤ بظهور ظواهر جديدة انطلاقًا من البنية التحتية المعرفية.

وفي هذا السياق، يرى *Sampson (1980)* أن الوظيفة الأساسية للعلم اللساني لا تكمن في وصف كل ما يُقال، بل في اكتشاف العلاقات التي تتكرر بما يكفي لتُبنى عليها **نماذج معرفية** قابلة للتعميم.

الخلاصة التفسيرية

إن القانون في اللسانيات ليس انعكاسًا مباشرًا لتكرار الظواهر، بل نتاجًا لعملية عقلية تنظم تلك الظواهر في شبكة تفسيرية. هذه الشبكة قد تعتمد على اللزوم، التوليد، أو الاشتراط، لكنها تهدف دائمًا إلى تحويل المادة اللغوية من *وصف مفكك* إلى *نظرية تفسيرية*.

كلما تمكّن الباحث من اكتشاف نمط التكرار، وتحليله تجريبيًا، وتنظيمه في نموذج وظيفي، اقترب من إنتاج قانون لساني علمي – قابل للفهم، وقابل للاختبار، بل وقابل للاستخدام التطبيقي.

قائمة المراجع العلمية (أسلوب APA)

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Ricoeur, P. (1970). *Le Conflit des interprétations: Essais d'herméneutique*. Paris: Seuil.
- Ricoeur, P. (1983). *Temps et récit*. Paris: Seuil.
- Canguilhem, G. (1977). *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Sampson, G. (1980). *Schools of Linguistics*. London: Hutchinson.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge: Cambridge University Press.

المجلـــس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

ثالثًا: قانون اللزوم والوجوب – من السببية الطبيعية إلى التوليد الوظيفي في اللسانيات

.1مدخل إبستيمولوجي: من قانون العلية إلى قانون الانتظام السلوكي

أولًا: تأصيل المفهومين ضمن تطور الفكر العلمي

يشكّل التمييز بين "اللّزوم (*nécessité fonctionnelle*) "و"الضرورة المادية *déterminisme*) " *mécanique*)نقطة انعطاف مفهومية في تاريخ المعرفة العلمية، خاصة حين ننقله إلى نطاق العلوم الإنسانية، وعلى وجه التحديد إلى حقل اللسانيات. ففي حين تقوم الضرورة المادية على تصور كلاسيكي سببي—فيزيائي للعالم، حيث تُنتج الظواهر نتائجها بشكل ميكانيكي صارم لا يقبل الاحتمال أو التأويل، فإن اللّزوم يُعبّر عن نوع من التوليد النظامي داخل فضاء رمزي—تداولي تحكمه البنية الوظيفية والسياق.

في الفلسفة الكلاسيكية للعلم، ترتبط القوانين بـ"العلية السببية (Causalité mécanique) "كما نظّر لها *ديفيد هيوم وإسحق نيوتن*، أي أن هناك علاقة ضرورية بين السبب والنتيجة: إذا حدث (أ)، فإن (ب) سيحدث حتماً وفق شرط كوني ثابت. حيث تُفهم العلاقة العلمية بوصفها سلسلة من التتابعات السببية الخاضعة لقوانين فيزيائية مطلقة، مثل قولنا: "إذا سقط الجسم، فإنه يتسارع بفعل الجاذبية"؛ وقد شكّل هذا المنظور أساس الفيزياء النيوتونية التي ترى في الكون منظومة منتظمة من الحركات والتفاعلات يُمكن التنبؤ بها بدقة رياضية. وفق هذا الإطار، تُفهم العلاقة العلمية على أنها **تماثل بنيوي بين السبب والنتيجة**، حيث يكون لكل فعل رد فعل مناظر له، ويكفي تحقق السبب لحدوث النتيجة تلقائيًا، دون تدخل تأويلي أو سياقي (Newton, *Principia*, 1687). وهي علاقة *علية ميكانيكية* مغلقة لكن هذه العلاقة، رغم نجاعتها في العلوم الفيزيائية، تواجه تحديات عميقة في الحقول الإنسانية، وخاصة في اللسانيات، حيث الموضوع ليس مادةً خاضعة للحتمية، بل **ظاهرة رمزية، تداولية، وسياقية**، تحكمها علاقات "لزوم دلالي" أو "توليد وظيفي" أكثر من علاقات سببية مغلقة.

ولهذا، ظهر في الفكر الإبستيمولوجي ما يُعرف بـ"العلية الوظيفية (Causalité fonctionnelle) " أو **قانون اللزوم** (Loi de corrélation fonctionnelle)، وكما يؤكد ذلك *جورج كانغيلام*، فالعلاقات لا تُبنى على هذه الحتمية، بل على "الوظيفة"، أي على نظام اشتراطي داخلي يجعل من ظهور عنصر ما شرطًا لظهور عنصر آخر داخل نسق منتظم، دون أن يكون ذلك نتيجة حتمية. (Canguilhem, 1977, p. 102)، وهو ما يطلق عليه أيضا: بـ"النظام الحي" أو *système vivant*، أي نظام لا يُفهم إلا بوظائفه، وتفاعله مع البيئة والنية والاستعمال (Canguilhem, *Études d'histoire et de philosophie des sciences*, 1977, p. 89)

ثانيًا: تحليل الفروق الإبستيمولوجية بين النموذجين

.1الطبيعة: من الحتمية المادية إلى التفسير التأويلي

الضرورة الميكانيكية تفترض أن العلاقات بين الظواهر قابلة للإغلاق الرياضي، أي أنها تتم وفق أنظمة قابلة للقياس، وخاضعة للتجريب المختبري، حيث لا مكان للتأويل أو السياق. أما اللزوم في اللسانيات، فيرتبط بطبيعة تأويلية–تداولية، حيث تتحدد العلاقات وفق السياق والمقام واستعمال المتكلم، وليس فقط من خلال انتظام شكلي في البنية. ولهذا يؤكد *Paul Ricoeur* أن الضرورة في العلوم الإنسانية "ne relève pas de la causalité, mais de la fonction interprétative" – أي أنها لا تعود إلى السببية بل إلى الوظيفة التأويلية.(Ricoeur, 1983, p. 110)

.2النطاق: من المادة إلى اللغة

الحتمية الميكانيكية تنطبق على الظواهر الطبيعية والحركية، كحركة الكواكب أو انصهار المعادن، بينما يعمل مفهوم اللزوم ضمن أنظمة رمزية–سلوكية مثل اللغة، الموسيقى، الإشارات، والخطاب. فاللغة ليست مادة تجريبية يمكن عزل عناصرها في المختبر، بل هي نسق دلالي سياقي يتضمن قصدًا ومعنى وتفاعلًا، ولذلك لا تُفسَّر بمنطق الأسباب، بل بمنطق الدلالة والوظيفة.

.3آليات التحقق: من التجربة الصارمة إلى التكرار النصي

يُشترط في العلوم المادية أن تُكرر الظواهر تحت نفس الظروف بدقة مطلقة للحصول على نفس النتائج. لكن هذا الشرط لا يمكن تطبيقه في اللسانيات، حيث تختلف البنى بحسب السياقات والمقامات والمقاصد الخطابية. لذلك فإن التحقق في قوانين اللزوم يتم عبر **التكرار المشروط** داخل corpus لغوي، إذ يتم تحليل نماذج الظهور المتكرر للعلاقات بين الوحدات، ثم استنباط علاقات منتظمة تُعبّر عن اقتضاء دلالي أو تركيبي، لا عن إنتاج سببي.

.4الوظيفة: من العلاقة العلّية إلى الاشتراط التوليدي

في النموذج السببي، تكون العلاقة بين (أ) و(ب) علاقة علّية واضحة: (أ) يُنتج (ب) حتميًا. أما في اللسانيات، فالعلاقة بين بنية لغوية (أ) وأخرى (ب) هي علاقة توليد وظيفي: (ب) لا يُنتج مباشرةً من (أ)، لكنه يُستدعى منه، أو يلازمه، أو يُنتظر ظهوره ضمن السياق. ويمكن دعم هذا التصور بما طرحه نعوم تشومسكي في نظريته

حول **قواعد التحويل** (*Transformational Rules*)، حيث لا تُنتج البنية السطحية مباشرة من البنية العميقة وفق علاقة سببية، بل عبر قواعد توليدية—وظيفية تعيد تشكيل البنية داخل نسق لساني اشتراطي (Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, 1965, pp. 16–17).هذا هو ما يُعرف بـ **loi de corrélation fonctionnelle**، أي "قانون الارتباط الوظيفي"، الذي يُفهم بوصفه قاعدة توليدية تتكرّر دون أن تكون مطلقة.

.5المرونة: من الانغلاق إلى الانفتاح الاحتمالي

من السمات الأساسية للنموذج الحتمي أنه يرفض الشذوذ أو التعدد أو الانزياح، لأن هذه الظواهر تمثل تهديدًا لصرامة القانون الطبيعي. أما نموذج اللزوم، فإنه **يقبل التعدد والاحتمال والتأويل**، بل ويُؤسّس عليها. فاللغة لا تعمل بموجب مبدأ "كل أو لا شيء"، بل بموجب منطق "الاحتمال التفسيري (*reasonnement probabiliste*)" الذي يراعي تنوّع السياقات واختلاف المقامات وتعدد الاستعمالات. ومن هنا، فإن العلاقة اللزومية ليست قانونًا ميكانيكيًا، بل قاعدة تفسيرية تحتمل التعديل والتفريع والتحويل.

ثالثًا: التوظيف المعرفي لقانون اللزوم في الحقول التطبيقية

وعلى الصعيد التطبيقي، لم يبقِ هذا القانون حبيس المنظرين، بل تحوّل إلى إطار إجرائي فعّال في الحقول التالية:

- **نمذجة اللغة في الذكاء الاصطناعي**، حيث يُبنى الكثير من خوارزميات التنبؤ على علاقات وظيفية بين المفردات والتراكيب(Crystal, 2003, p. 447) ؛
- **تصميم المعاجم التفسيرية**، التي تعتمد على العلاقات اللزومية بين البنى لتقديم مداخل وظيفية أكثر دقة؛
- **تعليم اللغة وتعليم النحو**، حيث يمكن استخدام اللزوم لتفسير الظواهر اللغوية للمتعلمين دون فرض قواعد حتمية مغلقة؛
- **تحليل الخطاب والسيميائيات التطبيقية**، حيث يُستعان باللزوم لتحليل الديناميكية بين النص والسياق، بين الملفوظ والمقام.

المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

رابعا: تعريف قانون اللزوم والوجوب في اللسانيات

يشير هذا القانون إلى النمط الذي بموجبه **يستدعي وجود بنية لغوية معينة** (أ)، في سياق مخصوص، **ظهور بنية أخرى (ب)**، لا بالضرورة وفق علاقة سببية فيزيائية، بل وفق علاقة **وجوب نظامي أو اشتراط تداولي** .أي أننا أمام قانون من نوع:

"إذا ظهرت البنية (أ)، فإن البنية (ب) تلزمها أو تلازمها، في سياق س، ووفق شرط تداولي—تركيبي—دلالي معين".

لا يتعلق الأمر هنا بـ"نتيجة" سببية بل بـ"استتباع وظيفي" يجعل من العلاقة بين العناصر علاقة "اقتضاء بنيوي."

.3أمثلة تفسيرية من التحليل اللغوي

▪المثال 1: النداء + وجوب التقييد الضميري

في العربية، إذا استُعملت أداة النداء (يا، أي...)، فإن ذلك يستدعي حصرًا مخاطَبًا معيّنا، يظهر غالبًا في صورة ضمير مخصص أو اسم علم أو لقب، ما يعني أن البنية (أ) = أداة النداء، تستتبع البنية (ب) = اسم معرف أو ضمير مباشر.

▪المثال 2: الشرط + الجواب

في الجملة الشرطية: "إذا درستَ، نجحتَ"، فإن حضور أداة الشرط (إذا) يلزم وجود جواب ذي بنية مخصوصة (ماضٍ في الظاهر، مستقبل في المعنى). هذا التلازم ليس قانونًا فيزيائيًا، بل قانون **لزوم نحوي—دلالي**.

▪المثال 3: الفعل المجهول + حذف الفاعل

حين يُبنى الفعل للمجهول، كما في "ضُرب الطالب"، فإن غياب الفاعل ليس اعتباطيًا، بل هو ضرورة بنيوية. إذ لا يمكن للفعل المجهول أن يُرافقه فاعل صريح، وهو ما يمثل علاقة **لزوم تركيبي**.

.4الطابع الإبستيمولوجي للقانون

هذا القانون لا يصدر من التجربة مباشرة، بل من تحليل **التكرار المنهجي للوقائع داخل corpus لغوي**، ومن ربطها بنماذج نظرية قادرة على تفسيرها. إنه قانون:

- **غير حتمي** (non-déterministe)، لأنه يخضع للسياق؛

- **وظيفي–اشتراطي** (fonctionnel–conditionnel)، لأنه يربط المعطيات بعلاقات توليدية؛
- **قابل للنمذجة** (modélisable)، ويمكن تمثيله في صورة قواعد أو خوارزميات حوسبية (مثل قواعد التحويل في النحو التوليدي).

يشير *Paul Ricoeur* إلى هذا النمط من العلاقات بقوله: "الضرورة في الظواهر الإنسانية ليست علية سببية، بل شكل من أشكال الوظيفة التأويلية.*(Ricoeur, 1983, p. 110)*"

- **اللزوم** في القانون اللساني لا يعني أن الظاهرة الثانية (ب) "تحدث" بمجرد حدوث (أ)، بل يعني أن ظهور (أ) **يفتح إمكانًا قويا** لظهور (ب)، وفق السياق والخطاب والنموذج النحوي أو الدلالي المعتمد.
- **الضرورة المادية** في المقابل، كما في الفيزياء، تفترض التكرار المطلق والتحقق الحتمي.

ولذا، فإن قانون اللزوم في اللسانيات **يقترب أكثر من منطق الاحتمال الموجه** probabilistic reasoning، منه إلى منطق العلة والنتيجة. ويُمكن، في هذا السياق، توسيع فهم "الاحتمال التفسيري" عبر استحضار نماذج **الاستدلال الشرطي** (*conditional inference models*)، أو منطق **بايز** الاحتمالي (*Bayesian reasoning*)، الذي يُعدّ من الأدوات الأساسية في اللسانيات الإحصائية، لا سيما في تطبيقات تحليل السياق والتنبؤ داخل أنظمة معالجة اللغة الطبيعية (NLP).

قائمة المراجع(APA 7th Edition) :

1. Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: Presses Universitaires de France (PUF).
2. Canguilhem, G. (1977). *Études d’histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Librairie Vrin.
3. Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
4. Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language* (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.
5. Newton, I. (1687). *Philosophiæ Naturalis Principia Mathematica*. Londini: S. Pepys, Reg. Soc. Praeses.
   (تم الرجوع إلى النسخة اللاتينية الأصلية وذكر بيانات النشر الأصلية للموثوقية الأكاديمية)
6. Ricoeur, P. (1983). *Temps et récit* (Tome I). Paris: Éditions du Seuil.

رابعًا: أنواع القوانين – بين الوظيفة الكمية واللزوم التداولي

.1مدخل إبستيمولوجي: لماذا تنوّعت القوانين في الحقل اللساني؟

إذا كانت الفيزياء تتعامل غالبًا مع "قوانين كمية (Lois quantitatives) "تصاغ في صورة معادلات رياضية دقيقة، فإن اللسانيات – بوصفها علمًا للظواهر الرمزية والسياقية – تتطلب نماذج قانونية أكثر تنوعًا ومرونة. وهذا التنوع لا يعكس فقط اختلاف الموضوع، بل اختلاف المنظور المعرفي والمنهجي الذي يحكم مقاربة الظواهر اللغوية.

لقد أشار غاستون باشلار إلى أن تعدد أنماط القوانين هو أحد مؤشرات "نضج العلم" وليس ضعفه، لأن كل نوع من الموضوعات يستدعي شكلاً خاصًا من التفسير، ينسجم مع طبيعة الظاهرة قيد التحليل (Bachelard, 1934).

القوانين الدالية (Lois fonctionnelles–Quantitatives)

▪ **التعريف:**
القوانين الدالية هي تلك التي تربط بين متغيرات لغوية وفق صيغة كمية أو خوارزمية، وتُستخدم بشكل مكثف في الحوسبة اللغوية، علم الإحصاء النصي، واللسانيات الكمية.

مثال: العلاقة بين عدد الكلمات في جملة (X) ومتوسط طول الجملة (Y) يمكن أن يُعبّر عنها بمعادلة إحصائية:

∑ = Yعدد الكلمات ÷ عدد الجمل

▪ **الخصائص:**

- قابلة للتمثيل البياني أو العددي
- تُستخدم في استخراج أنماط من corpora ضخمة
- تُسهم في بناء نماذج تعلم آلي (Machine Learning) وتحليل سياقي آلي
- كما يشير(2003) David Crystal ، فإن "الكمية اللغوية تمثل أحد مفاتيح تحليل النمط الظاهري للغة، لكنها لا تفسر بحد ذاتها البنية العميقة أو الوظيفة التداولية"

.3قوانين اللزوم والوجوب(Lois de nécessité ou de co-occurrence)

▪ **التعريف:**
وهي قوانين لا تصاغ رياضيًا، بل تُبنى كنماذج اشتراطية (Conditionals) من نوع:

"إذا وُجدت البنية (أ) ضمن السياق (س)، فإن البنية (ب) تظهر غالبًا كنتيجة وظيفية".

▪ **الخصائص**:

- لا تعتمد على الأرقام، بل على التكرار الوظيفي
- تُستخدم في تحليل الخطاب، النحو، التداوليات
- تستند إلى بنى تحليلية منطقية لا إحصائية، مثل القواعد التحويلية، أو منطق الأفعال الكلامية

▪ **مثال تحليلي**:

في التداوليات:

"إذا استُعملت صيغة الأمر من المتكلم (أ)، فإن المتكلم يحتل موقعًا سلطويًا نسبيًا (ب) في السياق (س)".

هذا ليس قانونًا فيزيائيًا، بل قاعدة تحليلية—دلالية تشترط تحقق شروط مقامية.

4.الفارق المعرفي بين النوعين

قوانين اللزوم	القوانين الدالية	المعطى
شرطي—وظيفي	رياضي—كمّي	الشكل
استنباطي تأويلي	استقرائي إحصائي	المنهج
تحليل الخطاب، النحو	معالجة آلية، corpus	التطبيق
عميق تداولي	سطحي وظيفي	التفسير

لكن هذا التمايز ليس تقابليًا، بل تكاملي، إذ غالبًا ما يتم دمج النمطين داخل نموذج لساني متكامل: فتُستخدم القوانين الدالية في "رصد" الظواهر، وتُستدعى قوانين اللزوم في "تفسيرها" داخل السياق.

5.سؤال فلسفي: هل يمكن تحويل قوانين اللزوم إلى قوانين دالية؟

الإجابة متدرجة. ففي بعض الحالات، يمكن تحويل العلاقة الوظيفية إلى علاقة كمية (مثلًا في تحليل الجملة الشرطية)، لكن في حالات أخرى، خصوصًا في الخطاب أو الشعر أو المقام التداولي، تبقى قوانين اللزوم محتفظة بطبيعتها غير الرقمية.

يشير Paul Ricoeur (1983) إلى هذا بقوله:

"ليس كل انتظام قابلًا للقياس، ولكن كل انتظام قابل للتفسير. وهذا هو الفرق بين العلم الصلب والتأويل الإنساني".

خلاصة تركيبية: يمثل تنوع أنماط القوانين اللسانية (الدالية واللزومية) استجابة معرفية لطبيعة اللغة نفسها: رمزية، مركبة، سياقية، وتداولية. فالقانون اللساني ليس معيارًا واحدًا، بل شبكة من العلاقات التي تختلف في منهجها ووظيفتها، ولكنها تشترك في سعيها إلى تحويل اللغة من فوضى ظاهرية إلى نسق تفسير عقلي.

استشهادات داخل النص(APA) :

- Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: PUF.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge University Press.
- Ricoeur, P. (1983). *Temps et récit*. Paris: Seuil.
- Canguilhem, G. (1977). *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin

جدول المقارنة بين القوانين الدالية واللزومية(APA-style Tabular Format)

البُعد التحليلي	القانون الدالي (Causal Law)	قانون اللزوم (Functional Necessity)
النموذج العلمي	ميكانيكي–حتمي (Deterministic–Mechanistic)	اشتراطي–وظيفي (Conditional–Functional)
المرجعية الفلسفية	العلية السببية (Newton, Hume)	الوظيفة والنظام الحي (Canguilhem, Ricoeur)
العلاقة بين (أ) و(ب)	(أ) يؤدي حتميًا إلى (ب)	(أ) يستدعي أو يلازم (ب) في سياق معين
درجة الحتمية	عالية – التكرار المطلق	احتمالية – تكرار مشروط بالسياق
آليات التحقق	التجريب المعملي القابل للتكرار	تحليل التكرار في السياقات التداولية
مجال التطبيق	العلوم الفيزيائية، الكيمياء، الحركة	اللسانيات، السيميائيات، الذكاء الاصطناعي
المنطق المستخدم	منطق علّي (If A → B)	منطق اقتضاء وظيفي/شرطي (If A, then probably B given context)
الطابع الإبستيمولوجي	تفسير سببي مغلق	تفسير تأويلي–سياقي مفتوح

خامسًا: الكمية كشرط لصلاحية القانون العلمي – من القياس إلى النمذجة:

تُمثّل "الكمية" أو ما يُعرف بالتمثيل العددي (Quantification) إحدى الدعائم الأساسية التي تمنح القوانين العلمية صفة "الاختبارية–التجريبية" في الحقول الطبيعية والدقيقة، من قبيل الفيزياء والرياضيات. فالصياغة الكمية تتيح تحويل الظاهرة إلى نموذج قابل للقياس، وتُسهّل مراجعتها ضمن تجارب مكرّرة، مما يفتح أمامها أفق "التحقق " (Vérifiabilité) و"التعميم الإحصائي(Généralisabilité statistique) "، وفقًا لما أشار إليه **Gaston Bachelard** حين رأى أن "الكمية ليست مجرد أداة للحساب، بل نمط في التفكير العلمي (Bachelard, 1934, p. 25). "

غير أن نقل هذا الشرط الكمّي إلى حقل اللسانيات يطرح إشكالية معرفية ذات طابع مزدوج: فمن جهة، تنتمي الظواهر اللغوية إلى عالم الرموز والمعاني والدوال السياقية؛ ومن جهة ثانية، يُفترض فيها أن تكون قابلة للتحليل والخوارزنة (Algorithmization) ضمن منظومات حاسوبية حديثة. هذا التوتر المعرفي، بين **الدلالة** و**القياس**، لا يُعَدّ ضعفًا في النسق اللساني، بل دليلًا على الحاجة إلى إعادة بناء أدوات العلم في ضوء طبيعته النوعية.

في هذا السياق، طوّرت اللسانيات الحاسوبية والإحصائية تقنيات متقدمة تسمح بتكميم البنى اللغوية، ومن أبرزها:

- تحليل التكرارات الإحصائية (Fréquences statistiques) للكلمات والمركّبات النحوية؛
- قياس التوافق السياقي (co-occurrence) بين الوحدات؛
- تتبع الانتظام التركيبي داخل **corpora** ضخمة؛
- نمذجة الاستعمال التداولي عبر شبكات ماركوف (Markov Chains) ، أو الشبكات العصبية الاصطناعية.(ANNs)

وقد أشار **David Crystal** بوضوح إلى هذه النقلة النوعية حين كتب:

"Quantifying linguistic phenomena transforms descriptive inference into algorithmic regularity" (Crystal, 2003, *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*, p. 447).

إبستيمولوجيًا، هذه القدرة على التكميم تمثل مدخلًا إلى مفهوم "التحقق" الذي يجعل من القانون اللساني قانونًا علميًا بالمعنى الدقيق للكلمة. فلا يمكن اعتبار القاعدة اللسانية قابلة للتعميم ما لم تُختبر على corpora متنوعة، وتُقارن نتائجها عبر سياقات مختلفة، وتُقاس دقتها في ضوء الانحرافات الإحصائية والاحتمالية.

المجلس العلمي للكلية

مع ذلك، تبقى هناك **عقبات بنيوية** أمام عملية التكميم في الظواهر اللغوية، من قبيل:

- غموض المقاصد (Ambiguïté intentionnelle)؛
- الالتباس الدلالي (Ambiguïté sémantique)؛
- التعدد السياقي والتداولي للمعنى.

لكن على الرغم من ذلك، فإن التقدم الكبير في نمذجة اللغات الطبيعية (NLP)، وتحليل البنى العميقة (Deep Parsing)، والخوارزميات السياقية، قد ساهم في إعادة بناء الوظيفة العلمية للقانون اللساني على أسس قابلة للقياس، والتحقق، والتطبيق. وبهذا، تصبح "الكمية" شرطًا **منهجيًا** في العلوم اللغوية، ليس فقط من أجل المعرفة، بل من أجل التطبيق العملي في ميادين الترجمة الآلية، التعليم الذكي، والتنقيب الدلالي.

سادسًا: "في أحوال معينة" – مشروطية القانون اللغوي بين السياق والإمكان

على الطرف المقابل من المطلب الكمّي، تُظهر اللسانيات المعاصرة بوضوح أن القانون اللغوي لا يعمل إلا ضمن شروط سياقية مخصوصة، وهو ما يُعرف في الإبستيمولوجيا بـ"المشروطية السياقية" (Contextual Conditionality).وهنا نواجه أحد الفوارق الجوهرية بين القانون الفيزيائي – الذي يتميز بالشمول والانتظام – والقانون اللساني الذي يتميز بالاحتمال، السياقية، والتعدد.

فاللغة ليست كيانًا صلبًا مغلقًا يمكن التعامل معه كمنظومة رياضية بحتة، بل هي **نظام حيّ** متفاعل مع الخطاب، والمقام، والوضعية التواصلية، وهوية المتكلم والمخاطب. من هنا، يصبح القانون اللساني مشروطًا بـ"أحوال معينة" تتعلّق بالزمان والمكان والمقاصد.

وقد ذهب **Immanuel Kant** إلى ما هو أعمق من ذلك، حين اعتبر أن كل معرفة ممكنة مشروطة بـ"شروط إمكان(conditions de possibilité) "، فلا وجود لحقيقة مطلقة إلا داخل شروط معرفية وسياقية محددة (Kant, 1781, *Kritik der reinen Vernunft*).

وانطلاقًا من هذا التصور، ميّز **Paul Ricœur** بين "قانون الطبيعة" الذي يصف ما يجب أن يكون دائمًا، و"قانون الإنسان" الذي يصف ما يمكن أن يكون غالبًا. ففي رأيه:

> "Les lois des sciences humaines sont des conditions d’agir, non des lois de nature"
> (Ricœur, 1970, *Le Conflit des interprétations*, p. 110).

وبناءً على ذلك، فإن عبارة "في أحوال معينة" لا تُعدّ علامة ضعف في القانون اللساني، بل مؤشرًا على وعيه بالطبيعة التداولية للغة، حيث تصبح القاعدة أداة **استدلال وظيفي**، وليست معيارًا حتميًا مغلقًا. وعلى سبيل المثال، فإن قانون حذف الفاعل في البناء المجهول لا يمكن تطبيقه خارج بنية نحوية محددة؛ كما أن قاعدة إتيان الفعل قبل الفاعل لا تنطبق إلا في جملة خبرية غير مؤجلة. فالقوانين اللسانية لا تُجبر اللغة على السير، بل تحاول استكشاف مساراتها الممكنة.

رؤية تركيبية جامعة

بين مطلب "الكمية" بوصفه شرطًا للقياس، ومطلب "المشروطية" بوصفه شرطًا للفهم، يتكوّن **ميزان إبستيمولوجي** حساس لبنية القانون اللساني:

- الكمية تمنحه قابلية التمثيل الخوارزمي والتحقق التجريبي؛
- والمشروطية تمنحه قابلية التأويل وسياقية المعنى.

وهكذا يتشكل القانون اللساني كنموذج **معرفي–وظيفي–تأويلي**، يربط بين القدرة على التكميم، والحاجة إلى الفهم، وبين منطق الصرامة الكمية، ومنطق المرونة التأويلية.

قائمة المراجع العلمية نظام APA

- Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: PUF.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language* (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.
- Kant, I. (1781). *Kritik der reinen Vernunft*. Riga: Johann Friedrich Hartknoch.
- Ricœur, P. (1970). *Le conflit des interprétations: Essais d'herméneutique*. Paris: Seuil.

جدول مقارن بين القوانين اللسانية الدالية (الكمية) وقوانين اللزوم (المشروطة):

قوانين اللزوم (Lois de nécessité / de co-occurrence)	القوانين الدالية (Lois fonctionnelles / quantitatives)	المعيار
قواعد شرطية وظيفية تعتمد على الاقتران والسياق	معادلات رياضية أو خوارزميات عددية	**الشكل المنطقي**
استنباطي – تأويلي – تداولي	استقرائي – إحصائي – حوسبي	**المنهج المعتمد**
ذات طابع سياقي–دلالي غير قابل للقياس المباشر	قابلة للقياس الكمي والتمثيل العددي	**طبيعة الظاهرة**
تحليل الخطاب – التداوليات – النحو الوظيفي	اللسانيات الحاسوبية – تعلم الآلة – الإحصاء اللغوي	**مجال الاستخدام**
منطق الأفعال الكلامية – القواعد التحويلية – تحليل السياق	الجداول الإحصائية – الرسوم البيانية – الشبكات العصبية – أنظمةMarkov	**أدوات التمثيل**
عالية في التفسير التأويلي، لكنها مشروطة بالسياق ومتغيرة حسب المقام	عالية في التجريب والتكرار، لكنها محدودة في التفسير المعنوي	**درجة الصلاحية العلمية**
صعبة التحويل إلى نموذج كمّي، لكنها غنية وظيفيًا	قابلة للتحويل إلى قوانين حوسبية	**إمكانية التحويل**

خاتمة عامة للمبحث الثالث

القانون العلمي – من الحتمية الطبيعية إلى التفسير اللساني

يكشف تحليل بنية القانون في اللسانيات المعاصرة عن تحوّل جذري في بنية التفكير العلمي. فلم يعد القانون يُفهم بوصفه علاقة حتمية صارمة بين السبب والنتيجة، كما هو الحال في العلوم الصلبة (الفيزياء، الكيمياء، الرياضيات)، بل أصبح يُصاغ كأداة معرفية—وظيفية تهدف إلى تفسير الظواهر اللغوية ضمن سياقاتها التداولية والثقافية والمعرفية.

في المنظور الكلاسيكي، يُنظر إلى القانون كصيغة رياضية ثابتة، تمثل انتظامًا كونيًا قابلًا للتكرار والتجريب. غير أن اللسانيات، بوصفها علماً إنسانيًا—تفسيريًا، تنقل هذا التصور نحو رؤية احتمالية—وظيفية، تتأسس على **التكرار المشروط**، و**الوظيفة التداولية**، و**السياقية الرمزية** .وهكذا، فإن القانون اللساني لا يُستخرج من الواقع بشكل مباشر، بل يُبنى عبر الخطاب العلمي الذي ينظّم الظواهر ويمنحها معنى ضمن إطار تأويلي—نقدي.

وفي هذا الصدد، يمكننا استحضار الإسهام الإبستيمولوجي لكل من *Thomas Kuhn* و *Michel Foucault* اللذين أعادا التفكير في طبيعة القوانين العلمية بوصفها أنساقًا معرفية مرتبطة بالسلطة الخطابية والمنظومات الفكرية السائدة، أكثر من كونها تعبيرًا مطلقًا عن "واقع موضوعي". فكما قال فوكو» :ما يُحسب كمعرفة هو دوماً ما تُجيزه السلطة.(Foucault, 1971) «

إن ما بيّنه هذا التحليل هو أنّ القانون اللساني يتميز بما يلي:

- **احتماليته** بدلًا من حتميته؛
- **سياقيته** بدلًا من كونيته؛
- **إجرائيته الوظيفية** بدلًا من جوهريته الطبيعية؛
- **تعدديته التأويلية** بدلًا من وحدانيته النظرية.

وعلى هذا الأساس، تُصبح **الكمية** (quantification)شرطًا منهجيًا للضبط والتحقق، في حين تُغدو **المشروطية** (conditionality)ضرورة إبستيمولوجية للفهم التفسيري. فلا علمية للقانون اللساني دون تأطير إحصائي، ولا مشروعية تأويلية دون ربط بالسياق التداولي والاجتماعي.

الأثر التطبيقي في الحقول الذكية

يُترجم هذا التحول النظري في التطبيقات الذكية عبر تطوير أدوات تعتمد على القوانين اللسانية بصيغ وظيفية–احتمالية. فمثلًا، في **معالجة اللغة الطبيعية(NLP)** ، لا تقوم نماذج الذكاء الاصطناعي على قوانين حتمية، بل على خوارزميات احتمالية تعتمد على التكرار والاقتران السياقي (كما في نموذج *Bayesian Reasoning*أو *Transformer Models*). وينطبق الأمر نفسه على أدوات تحليل الخطاب السياسي مثل **LIWC**أو منصات الترجمة الآلية كـ **Google Translate**، التي تبني قراءتها للنصوص على أنماط تكرارية مشروطة لا على علل صلبة.

تكامل التكميم والمشروطية في النماذج اللسانية الحديثة

تتجلى أفضل تجليات هذا التكامل في نماذج مثل **Lexical Functional Grammar**التي تمزج بين التمثيل التركيبي الصوري والتحليل الوظيفي، و **Construction Grammar** التي ترى أن كل بنية لغوية هي وحدة دلالية–وظيفية تحمل في طيّاتها قوانين ضمنية تداولية–احتمالية. هذه النماذج تُظهر كيف يمكن للقانون اللساني أن يكون كميًا من جهة، وتفسيريًا من جهة أخرى.

التوصيات الاستشرافية

1. **تطوير نماذج هجينة** تجمع بين الصرامة الكمية والدقة التداولية في تمثيل القوانين اللسانية؛
2. **توسيع قواعد البيانات (Corpora)** المستخدمة في النمذجة الاحتمالية، لتعزيز التحقق السياقي–الإحصائي للقانون؛
3. **دمج القوانين اللسانية في البرمجيات الذكية** كأنظمة الترجمة، والتصحيح الآلي، والتعليم الموجه بالسياق؛
4. **إعادة تأطير القانون داخل الحقول الإنسانية** من خلال نماذج تفاعلية–رمزية تراعي الدينامية المعرفية للغة؛
5. **الانفتاح على فلسفات العلم الجديدة** التي تعيد التفكير في العلاقة بين النموذج، التفسير، والتطبيق.

ختامًا:

وكما قال *غاستون باشلار*:

"ليس القانون صورة عن الواقع، بل طريقة في تنظيم علاقتنا به.(Bachelard, 1934, p. 132) "

فإن القانون اللساني ليس اكتشافًا لجوهرٍ لغوي خفي، بل هو بناء تفسيري—نقدي، يعيد ترتيب الظواهر الخطابية، لا لكي يقيدها، بل ليفهم كيف تشتغل ضمن سياقات الأداء، والتفاعل، والمعنى.

📚قائمة المراجع) نظام(APA)

- Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: PUF.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Ricoeur, P. (1970). *Le Conflit des interprétations*. Paris: Seuil.
- Canguilhem, G. (1977). *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin.
- Foucault, M. (1971). *L'ordre du discours*. Paris: Gallimard.
- Kuhn, T. S. (1962). *The Structure of Scientific Revolutions*. Chicago: University of Chicago Press.
- Goldberg, A. E. (2006). *Constructions at Work: The Nature of Generalization in Language*. Oxford: Oxford University Press.
- Bresnan, J. (2001). *Lexical-Functional Syntax*. Oxford: Blackwell.

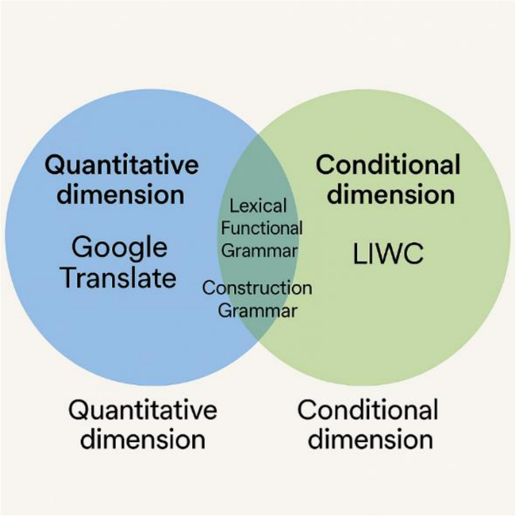
Quantitative dimension
Google Translate
Lexical Functional Grammar
Construction Grammar
Conditional dimension
LIWC
Quantitative dimension
Conditional dimension

المحاضرة 04:

المنهج العلمي في اللسانيات: تحليل إبستيمولوجي لتركيب المناهج المعرفية وتكاملها في إنتاج المعرفة اللسانية

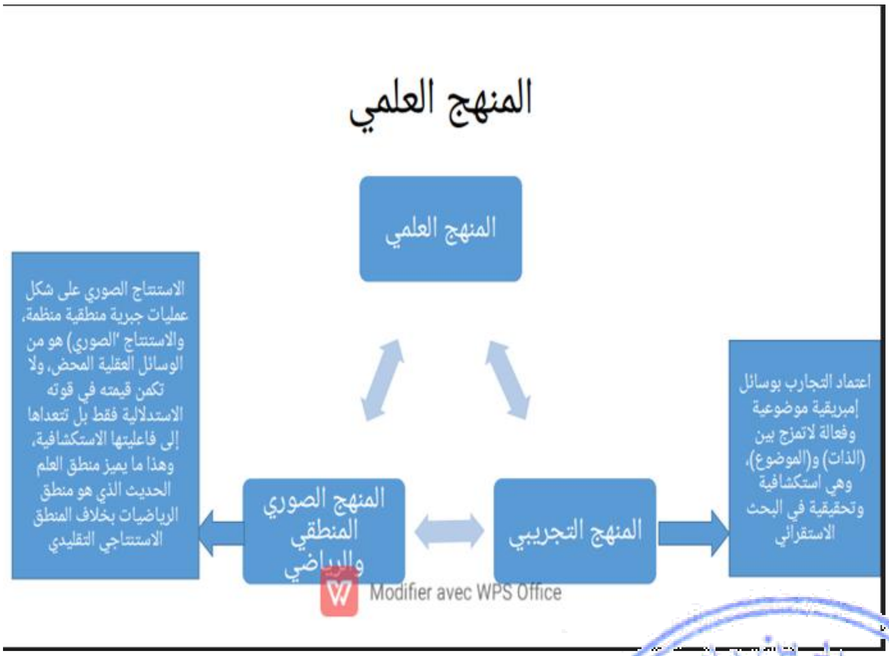

وصف تقني لمحتوى الخطاطة:

تُبرز الخطاطة أن "المنهج العلمي" ليس مسارًا موحدًا أو قالبًا تقنيًا ثابتًا، بل **بنية مركبة** تتكون من ثلاثة أقطاب معرفية رئيسية، ترتبط ببعضها بعلاقات تبادلية:

1. **المنهج التجريبي** (Méthode expérimentale)
2. **المنهج الصوري المنطقي والرياضي** (Méthode formelle–logique)
3. **المنهج الاستقرائي–الاستنباطي أو التكاملي**، كمحور مركزي يُعيد تنظيم المنهجين الآخرين ضمن نسق متماسك.

عناصر الخطاطة:

.1المنهج التجريبي:

- يعتمد على **الملاحظة، التجريب، التحقق، والقياس.**
- يتمحور حول التعامل مع "الظواهر المحسوسة" (الواقع/الموضوع).
- يُفترض أن يتم على "كائن قابل للرصد" بطريقة استقرائية تجريبية.

هذا المنهج يشكل أساس ما يُعرف بـ"العلوم الطبيعية" كالفيزياء والكيمياء، وقد تم إدخاله إلى اللسانيات في ظل الاتجاه البنيوي–السلوكي(Behaviorism) ، عبر تحليل الأداء (performance) وملاحظة التكرار.

.2المنهج الصوري المنطقي والرياضي:

- لا ينطلق من الواقع الحسي بل من **أنظمة صورية مغلقة**)الرموز، البنى، القواعد.(
- يقوم على الاستنباط والتجريد العقلي، ويتميّز با**لصرامة المنطقية**.
- يتمثّل في النماذج التي تُبنى من مقدمات محددة ويُستنبط منها نتائج وفق قوانين منطقية.

هذا هو جوهر ما قام به تشومسكي في "النحو التوليدي"، حيث صاغ قواعد تجريدية للنحو على شكل خوارزميات رياضية لا تعتمد على التجريب المباشر بل على الكفاءة العقلية.

.3المنهج التكميلي أو "المنهج العلمي" ذاته:

- **ليس جمعًا آليًا** بين التجريب والصورية، بل هو **بنية إبستيمولوجية مركبة** توحّد بين:
  1. الاستقراء المنهجي المنضبط (من الواقع إلى النموذج)،
  2. والاستنباط المنطقي المنظّم (من النموذج إلى التطبيق).

وهنا يتمّ الربط بين "الموضوع المدروس" و"البنية النظرية"، وتصبح **اللغة** موضوعًا يمكن اختباره تجريبيًا، وفي نفس الوقت نمذجته رياضيًا) كما في علم الدلالة الحاسوبي، ونماذج النحو الحسابي، .(...NLP

رؤية أولية:

الخطاطة لا تطرح المناهج الثلاثة كأنساق مستقلة، بل كتكوين **ديالكتيكي–إبستيمولوجي** يُبرز كيف تتفاعل أدوات القياس مع أدوات البرهنة لتوليد المعرفة العلمية.

وهكذا، فإن "المنهج العلمي" ليس مجرد تقنية للبحث، بل هو **إجراء عقلاني مركّب** يقوم على:

- دقة الاستقراء،
- صرامة الاستنباط،
- وتكامل المسارين داخل نموذج قابل للتطبيق والتفسير.

مدخل تمهيدي للمحاضرة الرابعة:

تُشكّل إشكالية المنهج العلمي أحد المحاور المركزية في التأسيس الإبستيمولوجي للمعرفة اللسانية المعاصرة، حيث لم يعد المنهج يُختزل في كونه مجرد أداة تقنية لضبط إجراءات البحث أو تجميع المعطيات، بل بات يُفهم كبنية معرفية مركّبة تنتج عن تفاعل مستويين كبيرين: مستوى التجريب الخارجي للظواهر المحسوسة، ومستوى التجريد العقلي للبنى الرمزية، ليغدو بذلك تركيبًا ديالكتيكيًا بين الاستقراء المنظّم والاستنباط الممنهج. وفي هذا السياق، تبرز الخطاطة المعروضة في المحاضرة الرابعة بوصفها تمثيلاً بصريًا لنموذج منهجي لا يكتفي باستعراض الأنماط الثلاثة التقليدية (التجريبي، الصوري، التكاملي)، بل يعيد دمجها ضمن بنية تفاعلية تسمح بإنتاج معرفة لغوية علمية تستجيب لمقتضيات العلمية من جهة، ولخصوصية اللغة ككائن رمزي متحوّل من جهة ثانية.

في هذا الإطار، يمثل **المنهج التجريبي** (Méthode expérimentale)نقطة الانطلاق الأساسية، إذ يتأسس على أدوات الملاحظة، والقياس، والتحقق التجريبي، كما يفرض اشتغالاً على كائن لغوي مرصود في إطار تجريبي واقعي، وهو ما ينسجم مع الرؤية السلوكية البنيوية التي تبنّت مقاربة الأداء (performance) بوصفه مرآة للمعطى اللساني القابل للقياس. كما يوضحSampson ، فإن هذا التوجه اعتمد على «methodological empiricism in response to performance data» (Sampson, 2001, p. 23).هذا التوجه، وإن مثّل نقلة نوعية في علمنة الظاهرة اللسانية، إلا أنه بقي محدودًا بإطاره الوصفي وعدم قدرته على نمذجة البنى الذهنية المنتجة للغة.

في المقابل، يشكّل **المنهج الصوري–الرياضي** (Méthode formelle–logique)نقلة في التعامل مع اللغة كنظام صوري قابل للتمثيل الخوارزمي، حيث يتم الاشتغال ضمن أنظمة مغلقة ومنطق رياضي صارم، ينطلق من مقدمات صورية نحو استنتاجات قابلة للبرهنة. ويُعتبر نحو تشومسكي التوليدي أبرز تجليات هذا المنهج، من خلال تحويل قواعد اللغة إلى معادلات وخوارزميات تستند إلى الكفاءة اللسانية (compétence) بدلاً من الأداء .(performance) يقول تشومسكي:

"A grammar of a language purports to be a description of the ideal speaker–hearer's competence"
(**Chomsky**, **1957**, **p**. **15**).

هنا يتم تجاوز التجريب نحو الصياغة المنطقية المحضة، مما يضع اللغة في قلب النماذج الرياضية المعاصرة.

أما **المنهج التكاملي** (Approche intégrative)، فهو لا يقوم على جمع آلي بين المنهجين السابقين، بل يؤسّس بنية إبستيمولوجية تُعيد تركيب مسارات المعرفة عبر دمج الاستقراء المنهجي (من الواقع إلى النموذج) مع الاستنباط الصوري (من النموذج إلى الظاهرة). هذا الدمج لا يُعد فقط إعادة ترتيب هندسي للمناهج، بل بناءً لبراديغم معرفي يسمح بالتفاعل بين البنية النموذجية الصورية والبنية الظاهراتية التجريبية، كما هو الحال في علوم اللغة الحاسوبية ونماذج الذكاء الاصطناعي اللغوي. يشير Ganascia إلى هذا التكامل بوضوح حين يقول:

"Les modèles d'intelligence artificielle linguistique opèrent sur des structures formelles tout en exploitant des données empiriques massives" (Ganascia, 2017, p. 67).

بهذا المنظور، يصبح المنهج العلمي في اللسانيات نظامًا معرفيًا تفاعليًا يجمع بين الرصد، والتجريد، والمعالجة الحاسوبية.

إن هذا التداخل بين التجريبي والصوري داخل المنهج العلمي لا يُفهم إلا ضمن بنية معرفية مركّبة تتأسس على **صرامة الاستنباط الرياضي، ودقة الاستقراء التجريبي، والتكامل الداخلي بين المعطيات والبنى النظرية، مما** يجعل اللغة تُقارب من زاويتين متكاملتين: كظاهرة محسوسة قابلة للرصد والتحليل، وكنظام رمزي قابل للنمذجة الرياضية. وقد عبّر هيلمسليف عن هذا التوجّه البنيوي الخالص بقوله:

"La linguistique doit être une théorie des formes pures, indépendantes de toute substance" (Hjelmslev, 1943, p. 11)، أي أن اللسانيات مطالبة بأن تكون علمًا شكليًا صرفًا، غير مرتبط بالمادة المحسوسة.

بذلك، يتبدّى أن المقاربة المنهجية في اللسانيات الحديثة لم تعد تقبل الفصل الانعزالي بين أدوات القياس وأدوات البرهنة، بل باتت تتبنّى منظورًا تكامليًا يسمح بإعادة صياغة العلاقة بين المعطى التجريبي والنموذج النظري. هذا ما نجد له حضورًا صريحًا في الفكر اللساني البنيوي وما بعد البنيوي، كما في الأعمال المستوحاة من دروس دوسوسير، حيث يشير إلى أن:

"Dans la langue, il n'y a que des différences"
(**Saussure, 1916, p. 38**) ،

مما يدل على أن البنية اللسانية لا تُفهم إلا داخل نسقها التبايني، وهو ما يعزّز أولوية النظام النموذجي في إنتاج المعنى.

إن المحاضرة الرابعة، عبر هذه الخطاطة، تسعى إلى ترسيخ هذا الوعي الإبستيمولوجي بالمنهج العلمي، ليس بوصفه تقنية بحثية، بل كجهاز إنتاج معرفي مركّب، يُدمج بين الرصد والتجريد، ويؤسّس لنموذج لساني علمي يتجاوز الفرضيات السطحية نحو توليد نسق معرفي متكامل. ومن ثمّ، فإن استيعاب هذه الخطاطة لا يتم إلا من خلال تفعيل المنظور الجدلي بين البنى الظاهراتية والتجريدات الصورية، وهو ما يُشكّل أساس الفعالية اللسانية في ظل التحولات العلمية المعاصرة.

المراجع:

Chomsky, N. (1957). *Syntactic structures*. The Hague: Mouton.

Ganascia, J.-G. (2017). *Le mythe de la singularité: Faut-il craindre l'intelligence artificielle?* Paris: Seuil.

Hjelmslev, L. (1943). *Prolegomena to a theory of language*. Copenhagen: Ejnar Munksgaard. (Original work published in Danish, translated to English in 1961 by F. J. Whitfield).

Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale* (C. Bally & A. Sechehaye, Eds.). Lausanne & Paris: Payot.

Sampson, G. (2001). *Empirical linguistics*. London: Continuum.

.

التحليل:

المطلب الأول :المنهج التجريبي – من المعاينة الظاهرة إلى بناء النموذج اللساني

1.مدخل إبستيمولوجي تأسيسي

يمثّل المنهج التجريبي، منذ الثورة الكوبرنيكية والغاليليانية، الركيزة الأساسية في إنتاج المعرفة العلمية، حيث حدّد غاستون باشلار (Bachelard, 1938, p. 14) خصائصه المركزية في ثلاث مقولات: الملاحظة المنظمة، والتجريب القابل للتكرار، والتمثيل الكمّي–الرياضي. بيد أن انتقال هذا المنهج إلى العلوم الإنسانية، لا سيّما اللسانيات، قد أثار إشكاليات عميقة ناجمة عن طبيعة الظاهرة اللغوية ذاتها، التي تختلف جذريًا عن موضوعات العلوم الطبيعية في كونها ظاهرةً رمزية–ثقافية وذهنية، يصعب إخضاعها لمعايير التجريب المادي المباشر.

تبعًا لذلك، يواجه المنهج التجريبي في اللسانيات ضرورة إعادة صياغة بعض منطلقاته الإبستيمولوجية التقليدية، بهدف استيعاب خصوصية اللغة كموضوع غير مادّي، متداخل بعمق مع الذات الباحثة التي تشارك في إنتاج المعنى.

2.المقومات المنهجية للتجريب في اللسانيات

أ. الملاحظة المنظمة(*Controlled Observation*)

تمثّل الملاحظة المنظمة أول مرحلة تأسيسية في المنهج التجريبي، لكنها في اللسانيات تتجاوز مجرّد التسجيل والوصف البسيط، إذ تنطوي على توجيهٍ مسبقٍ للملاحظة بناءً على فرضيات نظرية قابلة للاختبار. هذا ما أكده بلومفيلد(Bloomfield, 1933, p. 20) ، إذ جعل الأداء اللغوي الفعلي (performance) للمتكلمين نقطة انطلاق في التحليل، مستبعدًا الفرضيات العقلية المسبقة التي لا يمكن إخضاعها مباشرةً للتجريب.

ب. التجريب القابل للتكرار(*Reproducibility*)

يُشترط في التجريب العلمي أن يكون قابلًا للتكرار والضبط في ظروف متقاربة لضمان موثوقية النتائج. هذا ما جسّده بوضوح وليام لابوف(Labov, 1972, p. 110) ، من خلال دراساته في اللسانيات الاجتماعية التي تحكمت في المتغيرات اللغوية والاجتماعية جزئيًا. كما تبنّت اللسانيات النفسية والإدراكية اختباراتٍ معياريةً قابلة

للتكرار، مثل اختبارات سرعة الاستجابة أو استيعاب التراكيب النحوية المعقدة (Ricoeur, 1970, p. 45).

ج. القياس الكمي(*Quantification*)

يهدف القياس الكمي في اللسانيات إلى تحويل الظواهر اللغوية إلى مؤشرات رقمية وإحصائية، تسمح بتمثيلها داخل نماذج رياضية وحاسوبية. وتتجلى هذه العملية في:

- تحديد نسب تكرار الكلمات والتراكيب داخل المدونات اللغوية.(Corpora)
- تقدير احتمالات ظهور بُنى صرفية أو تركيبية معينة.
- تحليل التوزيع الإحصائي للأصوات أو الأنماط الدلالية.

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية

وقد أوضح ديفيد كريستال أنَّ قدرة اللسانيات الحديثة على التكميم أفضت إلى نماذج حاسوبية قادرة على معالجة اللغة آليًا، وإنتاج تطبيقات واقعية مثل الترجمة الآلية.(Crystal, 2003, p. 447)

3.توظيف المنهج التجريبي في المدارس اللسانية

تنوّعت التطبيقات التجريبية داخل اللسانيات بحسب المرجعيات النظرية المتباينة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

- **البنيوية :(Bloomfield, 1933)** تجريب استقرائي يقوم على تفكيك الظاهرة اللغوية إلى وحدات فرعية، وترتيبها بناءً على تكرار الأداء في مدونة محدّدة.
- **اللسانيات الاجتماعية :(Labov, 1972)** تحليل العلاقات بين المتغيرات اللغوية والعوامل الاجتماعية (الطبقة، الجنس، العمر)، مع التركيز على قابليتها للقياس والتكرار الجزئي.
- **علم النفس اللغوي :(Ricoeur, 1970)** التجريب كأداة لقياس عمليات الإدراك والمعالجة الذهنية للغة، عبر اختباراتٍ تجريبية مُحكمة.
- **اللسانيات الحاسوبية :(Crystal, 2003)** توظيف قواعد البيانات الكبرى وتقنيات التعلّم الآلي (Machine Learning)لبناء نماذج لغوية ذات طابع إحصائي، قادرة على التنبؤ والاستخلاص الدلالي من النصوص.

4.إشكالات إبستيمولوجية في المنهج التجريبي اللساني

رغم تعدد أشكال التوظيف الناجح، يواجه المنهج التجريبي في اللسانيات تحدياتٍ جوهرية أبرزها:

- **الطبيعة الرمزية للظاهرة اللغوية** :إذ لا يمكن تحليل اللغة كظاهرة مادية بحتة، بل كظاهرةٍ تأويلية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالنية والسياق والهوية الثقافية.
- **تداخل الذات والموضوع** :الباحث اللساني يمثّل في الآن ذاته جزءًا من الظاهرة المدروسة (اللغة)، مما يصعب من موضوعية التحليل وعزل الذات الباحثة عن الموضوع.(Ricoeur, 1970, p. 65)
- **الإشكالية السياقية والتداولية** :لا تكفي قابلية التكرار لبناء قانون لساني، لأن السياق والتداول يؤثران بشكل جوهري على تفسير النتائج، وهو ما حذّر منه تشومسكي (Chomsky, 1965, p. 15) حين أشار إلى محدودية التجريب في استيعاب عمق البنية اللغوية.

5.خلاصة إبستيمولوجية نقدية

يمكن القول، من منظور إبستيمولوجي نقدي، إنّ المنهج التجريبي في اللسانيات لا يمثّل أداةً كافية بذاته لبناء النظريات، بل يجب أن يُدمج في إطار نظري أكثر اتساعًا ومرونة. إنه ليس بديلًا عن النظرية، بل امتدادٌ وظيفيٌ لها، مما يستدعي ضرورة الربط بين النماذج الصورية والاستقراء التجريبي. وعليه، إذا كانت العلوم الطبيعية تسعى نحو الحتمية الكونية، فإن اللسانيات، كحقل إنساني، تطمح إلى تفسير ما هو ممكنٌ وظيفيًا، ضمن شروطه التداولية الخاصة.

وهو ما سيقودنا حتمًا إلى مناقشة المنهج الصوري—المنطقي في المطلب التالي.

المراجع العلمية المعتمدة:(APA)

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Bloomfield, L. (1933). *Language*. New York: Holt.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge University Press.
- Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Ricoeur, P. (1970). *Le Conflit des interprétations*. Paris: Seuil.

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

المطلب الثاني: المنهج الصوري–الرياضي – من النموذج المجرد إلى ضبط القاعدة اللسانية

1.مدخل إبستيمولوجي

يتأسس المنهج الصوري–الرياضي (Méthode formelle–mathématique) بوصفه تصورًا مغايرًا تمامًا للمنهج التجريبي؛ إذ لا ينطلق من معطيات الواقع المحسوس أو من ملاحظة الأداء اللغوي، بل من بنية نموذجية مفترضة يُفترض أن اللغة تشتغل وفقها. هذا التحول المعرفي–المنهجي يجد جذوره العميقة في ما أحدثته الثورة التوليدية منذ منتصف القرن العشرين، خاصة في أعمال نعوم تشومسكي، الذي أعاد توجيه الدراسات اللسانية من الانشغال بوصف الأداء الظاهري إلى محاولة تمثيل البنية العميقة أو ما يُعرف بـ"الكفاءة اللغوية " (compétence linguistique)، وهو ما عبّر عنه بقوله:

"The grammar of a language is a device that specifies the infinite set of well-formed sentences and excludes ill-formed ones."
(Chomsky, 1957, p. 13).

في هذا السياق، لم تعد مهمة اللساني تقتصر على تجميع المعطيات وتحليلها، بل بات معنيًا ببناء نموذج رياضي–منطقي، يُمثّل البنية الذهنية التي تمكّن المتكلم من توليد عدد لا نهائي من الجمل الصحيحة. ومن هنا تصبح قواعد اللغة، لا وصفًا لواقع، بل **نظامًا صوريًا مولّدًا** يستند إلى مقدمات نظرية، تُصاغ في شكل قواعد تحويلية (Transformational Rules)أو معادلات بنيوية رياضية.

وقد لخّص باشلار هذا الموقف من المعرفة بقوله:

"Le rationalisme scientifique ne se contente pas d'enregistrer les phénomènes, il les reconstruit dans un système formel qui les dépasse"
(Bachelard, 1938, p. 27)،

وهو ما يعني أن المعرفة لا تُستخلص من الظواهر، بل تُبنى على نموذج يتجاوزها.

المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

2.مقومات المنهج الصوري–الرياضي في اللسانيات

أ .التجريد البنيوي

في قلب هذا المنهج يكمن مبدأ **التجريد الرمزي**، إذ تُختزل اللغة إلى مجموعة من الرموز المجردة (S, NP, VP...)وقواعد تحويلية (→، ↔) تُستخدم لإنتاج الجمل انطلاقًا من بنى ابتدائية. ويتمثل هذا بوضوح في مفهوم "النحو التوليدي التحويلي" الذي طوره تشومسكي في *Aspects of the Theory of Syntax*، حيث تُبنى القواعد على شكل formal grammar يمكنه توليد البنى النحوية المختلفة، بغض النظر عن السياقات التداولية أو الاجتماعية.(Chomsky, 1965, p. 24)

ب .الشكلنة المنطقية

لا تُستمد القواعد الصورية من التجربة، بل تُصاغ مسبقًا كفرضيات منطقية يُختبر صدقها داخليًا. فمثلاً، يتم التعبير عن القاعدة على النحو التالي:

$$S \rightarrow NP + VP$$

$$VP \rightarrow V + NP$$

وهي بنى رياضية لا تعتمد على البيانات الميدانية، بل تُمثل نموذجًا لما **يمكن** أن تقوله اللغة، لا لما **قيل** فعليًا. هكذا تصبح اللغة نسقًا منطقيًا تُعالج فيه الجمل كما تُعالج القضايا في المنطق الرمزي.

ج .التمثيل الرياضي

مع تطور علم الحوسبة اللغوية، بات من الممكن تمثيل الظواهر اللسانية من خلال نماذج رياضية معقدة، مثل **سلاسل ماركوف(Markov Chains)** ، **الآلات المحدودة(Finite-State Automata)** ، أو **فضاءات المعاني المتجهة .(Vector Space Semantics)** هذه النماذج تُستخدم لقياس احتمالية التراكيب، وتحليل العلاقات الدلالية، وبناء معاجم مبرمجة آليًا، كما في الأعمال الحديثة لـ Jurafsky & Martin (2023).

3.القدرات الإبستيمولوجية للنموذج الصوري

يمنح المنهج الصوري اللسانيات **صرامة منهجية** عالية من خلال القدرة على:

- **بناء نماذج مستقلة عن الظاهرة،** بحيث لا يُكتفى بوصف المعطى، بل يُنتج نموذج يُمكن اختباره، تطويره، أو حتى نقله إلى لغات أخرى؛
- **التحقق الداخلي الرياضي،** إذ أن كل فرضية تُعبّر عنها صيغة رياضية، وكل نتيجة تخضع لشروط الاتساق البنيوي؛
- **التعميم الكوني،** ما دام النموذج قادرًا على تفسير ظواهر متعددة داخل أُطر لغوية مختلفة، وهو ما يتجلى في مفهوم "النحو الكلي".(Universal Grammar) (Chomsky, 1965, p. 29) "

4 .آفاق هذا المنهج في علوم اللغة والذكاء الاصطناعي

يمثّل المنهج الصوري–الرياضي قاعدة مركزية لبناء النماذج في علوم الحوسبة اللغوية والذكاء الاصطناعي. وتبرز تجلياته في:

- **الخوارزميات النحوية** :مثل قواعد السياق الحر، وتحليل الأشجار التركيبية.(Syntax Trees)
- **أنظمة الذكاء الرمزي** :مثل Rule-Based AI وProlog، حيث تُبنى العلاقات داخل برامج على قواعد رمزية.
- **الترجمة الآلية والتعلّم القائم على القواعد** :حيث تُستخدم العلاقات التحويلية لتمثيل معادل لغوي بين اللغات.

هذه التطبيقات تُظهر قدرة هذا المنهج على توليد المعرفة داخل أنظمة حسابية صارمة، تعكس دقّته المنهجية وإمكاناته المستقبلية.

5 حدود المنهج الصوري في اللسانيات

ورغم هذه القوة النمذجة، إلا أن المنهج الصوري يُواجه عدة انتقادات إبستيمولوجية:

- **المبالغة في التجريد** :حيث يُغفل البعد التداولي، والتاريخي، والنفسي، ما يجعل النموذج صالحًا نظريًا لكنه معزول عن السياق.(Labov, 1972)
- **انفصال النموذج عن الواقع** :فالجمل التي يُنتجها النموذج قد تكون نحويًا صحيحة لكنها غير مُستخدمة فعليًا، والعكس صحيح، مما يُشكّل مفارقة بين المعقول والمستعمل.
- **قصور تمثيل الظواهر التداولية**، مثل الدعابة، المفارقة، الانزياح، وغيرها، مما دفع ريكور إلى التأكيد أن "اللغة لا تُفهم خارج شبكة التأويل.(Ricoeur, 1970, p. 61) "

.6نقد إبستيمولوجي للمنهج الصوري

رغم صرامته، يواجه هذا المنهج انتقادات جدية على المستويين المعرفي والواقعي:

- **إهمال السياق والتأويل** :كما أشار بول ريكور، فإن استبعاد المقام التداولي من التحليل يُفرغ اللغة من بعدها التأويلي–الاجتماعي.(Ricoeur, 1970, p. 96)
- **الافتراض المثالي للمتكلم** :إذ يُبنى النموذج على متكلم مجرد، متقن، لا وجود له في الأداء الفعلي.
- **ضعف القابلية للتجريب** :فالقواعد لا تُختبر تجريبيًا غالبًا، مما يُضعف صبغتها العلمية في المفهوم التجريبي للكلمة.

وهنا تظهر الحاجة إلى تكامل المنهج الصوري مع مقاربات أكثر انفتاحًا على التداول والمعرفة الاجتماعية.

7 .نحو تكامل بين التجريد والواقع

تُبيّن هذه التحديات أن المقاربة الصورية ليست كافية بمفردها لبناء نموذج لساني متكامل. ولهذا تبرز الحاجة إلى دمج المنهج الرياضي بمنهج تجريبي–تطبيقي، يتأسس على اختبار النماذج داخل corpus حقيقي، وربطها بالسياقات الاجتماعية والإدراكية. هذا ما عبّر عنه الاتجاه التداولي–الصوري، من خلال مشاريع تحليل الأفعال

الكلامية(Austin, Searle) (Speech Acts) ، ومنطق السياقات(Recanati, 2001) ، والتي أعادت النظر في **المعنى بوصفه نتاجًا تفاعليًا**، لا فقط ناتجًا نحويًا.

خلاصة إبستيمولوجية

إن المنهج الصوري–الرياضي لا يُعنى فقط بوصف ما يُقال، بل بسؤال أعمق: "كيف يمكن أن يُقال؟". وبذلك، فإنه يُقدّم للّسانيات أدوات تمثيل صارمة تسمح بتوليد الجمل وتفسير بنيتها الداخلية، لكنه لا يستطيع وحده أن يُجيب عن كل أسئلة المعنى، والسياق، والتأويل. ومن هنا، فإن التكامل بين النماذج الرياضية والمعالجات الظاهراتية–السياقية يُعدّ ضرورة إبستيمولوجية لبناء علم لسان متعدد الأبعاد، قادر على الجمع بين الصرامة النظرية، والمرونة الواقعية.

المراجع: APA الإصدار السابع

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Chomsky, N. (1957). *Syntactic Structures*. The Hague: Mouton.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Jurafsky, D., & Martin, J. H. (2023). *Speech and Language Processing* (3rd ed.). Prentice Hall.
- Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Ricoeur, P. (1970). *Le conflit des interprétations: Essais d'herméneutique*. Paris: Seuil.

المطلب الثالث: المنهج التكميلي – نحو وحدة إبستيمولوجية بين التجريب والصورية

.1مدخل إبستيمولوجي: من القطيعة إلى التكامل

عرف الفكر العلمي الحديث، منذ القرن السابع عشر، انقسامًا منهجيًا حادًا بين المنهج التجريبي الاستقرائي الذي اعتمد على الرصد والمعاينة، والمنهج الصوري الاستنباطي الذي تأسس على البنية العقلية المجردة. غير أن العلوم المعاصرة، وخصوصًا العلوم الإنسانية واللسانية، لم تَعُد تقبل بهذه الثنائية القاطعة، بل تميل إلى دمج الطريقتين في نسق علمي تكاملي.

فلم يعد من المقبول اختزال الظاهرة اللغوية في معطى تجريبي فقط، ولا في بنية عقلية رمزية فقط، بل صارت الحاجة ماسّة إلى منهج ثالث، تراكبي وتفاعلي، يُعيد بناء العلاقة بين "الظاهرة" و"النموذج"، وبين "البيانات" و"الافتراضات." وهو ما يُسمّيه إدغار موران تجاوزًا إبستيمولوجيًا للثنائيات نحو فكر مركّب ومتعدد الأبعاد (Morin, 1977).

وقد أشار Gaston Bachelard (1934) إلى هذه الضرورة حين قال: "العلم لا يقوم على الواقع وحده، ولا على العقل وحده، بل على انتقال جدلي بين الاثنين، يكون فيه الخطأ هو محرّك التقدّم".

.2 بنية المنهج العلمي: من المعطى إلى البنية، ومن البنية إلى التطبيق

المنهج العلمي كما نطرحه هنا ليس مجرد توفيق بين منهجين، بل هو بنية إبستيمولوجية مركّبة، تمرّ بثلاث مراحل متعاقبة ومترابطة:

- أ. **مرحلة الرصد الاستقرائي**: (**Observation & Corpus**) تُجمّع البيانات من الواقع اللغوي، عبر تحليل الأداء، تتبع التكرار، واستخراج الظواهر.
- ب. **مرحلة البناء النموذجي–الرمزي**: (**Modélisation formelle**) يتم خلالها بناء نموذج صوري يحاكي الظاهرة، مستخدمًا أدوات النحو التوليدي، أو التحليل التوزيعي، أو نماذج المعنى الحسابي (مثل Montague Semantics ، Distributional Semantics).
- ج. **مرحلة التطبيق والتحقق**: (**Vérification & Simulation**) يُختبر النموذج في سياقات واقعية – في التدريس، الترجمة، معالجة النصوص، أو البرمجيات اللغوية – ويُعدّل أو يُطوّر بناءً على النتائج.

وهذا ما يجعل المنهج العلمي في اللسانيات دائريًا—حلقيًا(Modèle circulaire) ، لا خطيًا، حيث لا تسير المعرفة من التجريب إلى النظرية فحسب، بل تعود النظرية لتُختبر من جديد.

3. أمثلة تطبيقية: من علم الدلالة إلى الذكاء الاصطناعي

- **في علم الدلالة الحاسوبي** :(**Computational Semantics**) يتم بناء نموذج رياضي للمعنى، ثم يُختبر على corpora لغوية ضخمة.
- **في نماذج النحو الحسابي** :(**Computational Syntax**) تُستخدم قواعد صورية لتوليد الجمل، ويتم التحقق من مدى توافقها مع الأداء الفعلي للمتكلمين.
- **في معالجة اللغة الطبيعية** :(**NLP**) تُدمج نماذج إحصائية (تجريبية) مع شبكات عصبية أو رمزية—توليدية لبناء أنظمة ترجمة وتصنيف وتحليل متقدمة.
- **في اللسانيات النفسية** :تُختبر النماذج النظرية على متكلمين فعليين من خلال اختبارات زمن الاستجابة أو معالجة الأخطاء، مما يربط الاستنباط العقلي بالمعاينة النفسية.

4. القيمة الإبستيمولوجية للمنهج التكميلي

يمتاز هذا المنهج بعدة خصائص تُؤهّله ليكون منهجًا علميًا مكتمل الأركان:

تتميز هذه المقاربة بما يلي: فهي أولًا تُنتج معرفة تراكمية لأنها تربط التجريب بالنمذجة، وتُطوّر النموذج بشكل دائم وفق نتائج التطبيق. وهي ثانيًا عقلانية مزدوجة، تستعمل العقل في بناء الفرضيات، والتجريب في اختبارها. وهي ثالثًا مرنة، لأنها تعترف بعدم كمال النموذج، وتُتيح قابلية التعديل وإعادة الصياغة. وأخيرًا، فإنها خصبة تطبيقيًا، إذ تُستخدم في مجالات متعددة تشمل التعليم، الذكاء الاصطناعي، علم الأعصاب، وتحليل الخطاب. وقد أشار (Devlin (2019 إلى أهمية توظيف البنية الرياضية—الصورية في جعل المفاهيم المجردة مرئية وقابلة للتطبيق، خاصة في التعليم وتحليل اللغة.

5. موقف نقدي: نحو مرونة منهجية

ورغم الطابع المركّب والفعال لهذا المنهج، ترى بعض المدارس المعاصرة — مثل ما بعد البنيوية أو الأنثروبولوجيا اللسانية — أن الدمج بين الصورية والتجريب قد يُهمل السياقات الثقافية والسياسية للغة، مما يستدعي استكمال هذا المنهج بأدوات تحليلية تأويلية .(Herméneutique) وقد ذهب Michel Foucaultإلى أن تحليل الخطاب لا يمكن أن يُختزل في نموذج علمي مغلق، بل يجب أن

يُفتح على شبكات السلطة والمعرفة التي تنتج الخطاب وتُعيد تشكيله .(Foucault, 1969) ، وفي السياق نفسه، تُعدّ الطفرة الحديثة في نماذج الذكاء الاصطناعي – مثل نماذج Transformers التي أسس لها – (2017) Vaswani et al. مثالًا حيًّا على كيفية دمج التحليل الصوري بالمعالجة الإحصائية ضمن آلية "الانتباه"، مما فتح آفاقًا جديدة لتكامل الصورية والتجريب في معالجة اللغة. كما تُثير دراسات المدرسة الإثنولسانية المعاصرة (Bybee, 2010) أهمية تراكم الاستخدام والسياق الاجتماعي في تفسير البنى اللغوية، بعيدًا عن النماذج المختبرية أو الرمزية البحتة.

خلاصة إبستيمولوجية

المنهج العلمي في اللسانيات لا يعني الوقوف عند حدود التجريب، ولا الاكتفاء بالنمذجة الرمزية، بل هو مسار إبستيمولوجي دائري، يبدأ من الواقع، ويُعاد بناؤه في شكل نموذج، ويُختبر ثانية في التطبيق. وهو بذلك يُقدّم أنضج صور "العلم الإنساني"، الذي يجمع بين الدقة الرياضية والمرونة التأويلية.

المراجع – APA الإصدار السابع:

- Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: PUF.
- Bybee, J. (2010). *Language, usage and cognition*. Cambridge University Press.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge University Press.
- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
- Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. University of Pennsylvania Press.
- Montague, R. (1970). *English as a Formal Language*. In R. Thomason (Ed.), *Formal Philosophy*. Yale University Press.
- Morin, E. (1977). La méthode I: La nature de la nature. Paris: Seuil.
- Devlin, K. (2019). The Language of Mathematics: Making the Invisible Visible. W.H. Freeman.

- Vaswani, A., Shazeer, N., Parmar, N., et al. (2017). Attention Is All You Need. In Advances in Neural Information Processing Systems (NeurIPS).

الخاتمة التحليلية–النقدية للمبحث الرابع: "المنهج العلمي"

يكشف هذا المبحث، من خلال تفكيك مفاهيم **المنهج التجريبي** و**المنهج الصوري–المنطقي**، أن العلمية ليست مجرد «أداة» منهجية، بل **رؤية إبستيمولوجية شاملة** تُحدد كيف تُبنى المعرفة، وعلى أي أساس يتم التحقق من صلاحيتها. ففي مقابل التصور التقليدي الذي يُجزئ المناهج إلى قوالب ثابتة، أظهر التحليل أن الممارسة اللسانية الحديثة **تتجاوز هذا الفصل النظري**، نحو ما يمكن تسميته بـ "**المنهج العلمي المركّب** "أو "**العقلانية التفسيرية**."

فالمنهج التجريبي، **رغم قوته** في تمكين الباحث اللساني من رصد الظواهر اللغوية في الواقع، يظل **قاصرًا عن الإحاطة** بالقدرة الذهنية المجردة التي تنتج هذه الظواهر، **ما لم يُدعّم** بمنهج استنباطي–صوري قادر على بناء نموذج نظري متماسك. وبالمقابل، فإن المنهج الصوري، **رغم دقته الرياضية وصرامته الشكلية**، قد ينزلق إلى **الانغلاق النمذجي** إذا لم يُختبر على أرض الأداء الواقعي ضمن **corpus** **لغوي حي ومتنوع**.

هكذا، يتّضح أن العلمية في اللسانيات **ليست صفة تُلصق بالمنهج**، بل هي **ناتج عن جدلية معرفية معقدة** بين:

- **الاستقراء التجريبي** (الذي ينطلق من الواقع)؛
- **الاستنباط الصوري** (الذي يؤسس النموذج)؛
- **والمقارنة السياقية** (التي تُعيد توجيه النموذج نحو الفعل اللغوي الحي).

وفي ضوء هذا التفاعل المركّب، يمكننا التأكيد على أن "**المنهج العلمي في اللسانيات" ليس مجرد توافق منهجي بين أدوات**، بل **اختيار إبستيمولوجي واعٍ** يؤسس لطبيعة العلم نفسه:
كيف يشتغل؟ ما شروطه؟ ما حدوده؟ وما موقع الذات الباحثة فيه؟

وكما لاحظ **Gaston Bachelard (1938)**، فإن المعرفة العلمية لا تُبنى على الظواهر، بل على **التحولات المعرفية في إدراك الظواهر**، وهي مهمة لا يمكن أن ينجزها سوى منهج علمي **يجمع بين "التجربة" و"البنية" و"الافتراض التفسيري**."

خلاصة مكثفة :

المنهج العلمي في اللسانيات هو **توليفٌ عقلانيٌّ–إبستمولوجي**، لا يكتفي بأن يرى الظاهرة، بل يضعها **في بنية قابلة للتحليل، الاختبار، والنقد**. إنه لا يقف عند "اللغة كما تُقال"، بل يسعى إلى فهم **"اللغة كما تُبنى وتُفكّر وتُنتج** "عبر العقل البشري.

الحميد بن باديس
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

المحاضرة 5: بين علم اللسان وفلسفة اللغة: نحو هندسة معرفية مزدوجة لفهم الظاهرة اللغوية

النتيجة

يُطرح التمييز بين *علم اللسان (Linguistique) *و*فلسفة اللغة (Philosophie du langage) * في الفكر اللساني الحديث لا كمجرد فصل وظيفي بين حقلين معرفيين، بل كبنية إبستيمولوجية تعكس تعدد طرائق فهم اللغة، وتنوّع مستويات تحليلها. فاللغة، بوصفها ظاهرة مزدوجة: محسوسة/عقلية، فردية/جماعية، تداولية/رمزية، لا يمكن احتواؤها ضمن نموذج واحد، بل تتطلب مقاربة تعددية المنهج والغاية.

تسعى هذه المحاضرة إلى رسم الخط الفاصل – والمتداخل في آن – بين العلم والفلسفة في مقاربة اللغة، من خلال مساءلة: ما الذي يجعل تحليل الظاهرة اللغوية "علمًا"؟ وما الذي يجعل التساؤل حولها "فلسفة"؟ وما حدود التداخل والتكامل بين المقاربتين؟

أولًا: التحديد المفاهيمي – بين الموضوع والمنهج والمقصد:

** *علم اللسان** ينطلق من المعطى اللغوي كما يُنجز في الواقع(performance) ، فيسعى إلى رصده، تحليله، قياسه، ونمذجته ضمن آليات قابلة للتحقق والتكرار.

** *فلسفة اللغة** تتجاوز المعطى الظاهري لتسائل ما يُمكّن اللغة من أن تكون كما هي: المعنى، المرجع، الذات الناطقة، حدود الدلالة، وشروط إمكان الخطاب.

بعبارة ميشال فوكو" :(Foucault, 1966) ليس الخطاب ما يقال فقط، بل ما يُفكر فيه ليُقال."
وهنا يتضح أن *اللغة* ليست موضوعًا بسيطًا، بل معبر إبستيمولوجي لفهم الوعي والمعنى.

ثانيًا: البنية المنهجية للتمييز:

الخطاطة التي أُدرجت تُبرز هذا التمييز بثلاثة مستويات:

** .1**الموضوع:** علم اللسان يشتغل على الظاهرة الواقعية، بينما فلسفة اللغة تسائل الماهية والشرط التمثيلي.

** .2**الأداة:** علم اللسان يعتمد التجريب، التكميم، الملاحظة؛ أما فلسفة اللغة فتعتمد التحليل المفهومي والمنطقي.

** .3**الغاية:** الأول يهدف إلى تفسير الظواهر ضمن corpus واقعي، والثانية تسعى إلى بناء نظرية للمعنى والتمثيل.

وبحسب(Thomas Kuhn (1970 ، فإن الانتقال من نموذج تفسيري إلى آخر لا يعني بالضرورة تجاوزًا تقنيًا، بل تحولًا في الإطار المعرفي نفسه(paradigm shift) ، وهو ما يحصل بالضبط بين المنهجين.

ثالثًا: من التباين إلى التكامل – نحو منهج لساني فلسفي:

إن التمييز لا يعني الفصل، بل يُمهد لطرح *نموذج مزدوج* يمكن من خلاله تحليل الظاهرة اللغوية:

*بمستوى **علمي–تجريبي**: Corpus linguistics، NLP، التداوليات التجريبية.

*بمستوى **فلسفي–مفاهيمي**: تحليل المرجع، المعنى، الأفعال الكلامية، المنطق الطبيعي.

في هذا السياق، نُشير إلى أن العديد من النظريات اللسانية الحديثة) مثل Lexical Functional Grammar، أو (Construction Grammar تسعى إلى الجمع بين الصرامة الصورية والمرونة السياقية، بما يجعلها أقرب إلى رؤية تكاملية تجمع العلم والفلسفة.

رابعًا: أثر التمييز في التطبيقات الذكية:

في نماذج الذكاء الاصطناعي – كأنظمة الترجمة أو تحليل الخطاب السياسي – يظهر الفرق بوضوح:

*النماذج التجريبية تعتمد على التكرار الإحصائي.

*النماذج الفلسفية تحاول إدخال البُعد التأويلي) مثل أدوات تحليل الخطابLIWC ، أو Sentiment Analysisذات الطابع التداولي.(

ومن هنا، فإن فلسفة اللغة ليست رفاهًا معرفيًا، بل ضرورة لفهم كيف يُنتج المعنى داخل النموذج الآلي نفسه.

خاتمة تركيبية واستشرافية:

ينبغي ألا يُفهم الفرق بين علم اللسان وفلسفة اللغة كتناقض، بل كتكامل معرفي. الأول يُؤسس لصرامة القياس؛ الثاني يُنبه إلى حدود القياس وشرطه. ومعًا، يُمكنهما إنتاج علم للغة يتسم بالفعالية التفسيرية، والمشروعية العلمية، والدقة المفهومية.

<كما يقول" :Jean Ladrière العلم لا يكون عقلانيًا إلا إذا قبل بفحص شروطه الفلسفية".

وهذا هو الدرس الذي تُحاول الخطاطة أن تبلوره في المحاضرات القادمة: نحو لسانيات متعددة الأبعاد، تركيبية المنهج، مفتوحة على سؤال المعنى.

- نظام المراجع المعتمدة: **APA**

- Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge University Press.
- Foucault, M. (1966). *Les mots et les choses*. Paris: Gallimard.
- Kuhn, T. S. (1970). *The Structure of Scientific Revolutions* (2nd ed.). Chicago: University of Chicago Press.
- Ladrière, J. (1977). *Les limitations internes des sciences*. Paris: Aubier.

المجلس العلمي للكلية

المحاضرة 06: حفريات في مصطلح "اللسانيات" (Linguistics)

تمهيد:

النتيجة التراكمية: نحو تأصيل إبستيمولوجي لمفهوم "علم اللسان" بوصفه علمًا مستقلاً

1.من "فلسفة اللغة" إلى "علم اللسان"

إن أحد أبرز المكاسب المعرفية التي توصلنا إليها بعد المحاضرات السابقة يتمثل في التمييز الجذري بين **فلسفة اللغة** و**علم اللسان**، لا على مستوى المنهج وحسب، بل على مستوى موضوع الدراسة، وإجراءات التحليل، ومخرجات المعرفة. إذ بينما تسعى فلسفة اللغة إلى تحليل القضايا الكلية والتجريدية (كالنية، الحقيقة، الدلالة، المرجعية، وماهية المعنى) في ضوء العقل المنطقي الصرف، فإن علم اللسان – كما تحدده المدارس الحديثة – يُعالج اللغة كنسق ذهني–رمزي–اجتماعي قابل للرصد والتحليل، ولا كفكرة عقلية مجردة.

يقول رومان جاكبسون: "ما يُميّز اللسانيات عن الفلسفة هو أن الأولى تشتغل على اللغة كما تُستعمل، والثانية على اللغة كما تُفترض.(Jakobson, 1960) "

2.إشكالية التسمية: من "اللغة" إلى "اللسان"

تُثير الترجمة العربية لمصطلح *Linguistics* إشكالًا دلاليًا وإبستيمولوجيًا حقيقيًا، إذ غالبًا ما يُقابل بلفظ "اللغة"، في حين أن هذا الأخير يحيل إلى مفهوم أوسع وأقل تحديدًا، يتداخل مع الفلسفة والبلاغة والمنطق. لهذا فضّل كثير من الباحثين العرب استخدام لفظ "اللسان"، الذي يُعبّر – كما في تعريف ابن جني – عن الملكة والآلة، لا عن الكيان المجرّد.

وقد دعمت اللسانيات المعاصرة هذا التمييز، فجعلت من "اللسان الطبيعي (Langue naturelle)" موضوعًا لتحليل منتظم يتوسط بين "اللغة كفكرة" و"الكلام كأداء"، كما عند دي سوسير وتشومسكي. وقد أشار الأخير إلى أن الدراسة العلمية للغة لا تستقيم إلا حين تُضبط في "نسق لساني موحّد.(Chomsky, 1965) "

3.المفهوم كتمفصل إبستيمولوجي

تؤكد التحليلات أن "مفهوم اللسان" هو تمفصل إبستيمولوجي يُعيد تعريف الظاهرة اللغوية من خلال ثلاث مستويات:

- **التحديد الاصطلاحي** :اللسان ليس هو اللغة، بل نسق لغوي محدد؛
- **التحديد السياقي** :اللسان ليس خطابًا، بل بنية خفية خلف الأداء؛
- **التحديد المنهجي** :اللسان لا يُدرس بالتأمل، بل بالتحليل الإجرائي.

وهذا ما يجعل "علم اللسان" فرعًا معرفيًا مركّبًا يدمج بين تحليل البنى العميقة ,(Structures) وتحليل الأداء ,(Performance) وتمثيل التراكيب ,(Syntactic Models) ضمن رؤية تؤمن بـ"التحقق التجريبي" و"التمثيل الرمزي" في آن.

4.بين التقاطع والتداخل: نحو استقلالية معرفية

إذا أردنا بناء تصور علمي مستقل لعلم اللسان، فلا بد من عزله أولًا عن الفروع المتداخلة معه، كالفلسفة، والبلاغة، وعلم الاجتماع، والتأويل الديني. وهذا ما يقتضي التمييز بين:

- علاقة **الاحتواء** :**Inclusion** حيث يكون علم اللسان فرعًا داخليًا ضمن نظرية شاملة للمعرفة (كما في الفلسفة الوضعية أو العلوم المعرفية).
- وعلاقة **التقاطع** :**Intersection** حيث يتقاطع علم اللسان مع فروع أخرى عند تحليل الظواهر المشتركة (كالخطاب، التفاعل، السلطة).

وفي الحالتين، يجب أن نُثبت أن علم اللسان يمتلك **موضوعًا مستقلاً** (**اللسان الطبيعي**)، **ومنهجًا مخصوصًا** (**التحليل البنيوي–الوظيفي**)، **ومخرجات قابلة للنمذجة والتطبيق (كالنحو التوليدي، والتحليل المعجمي، وتكنولوجيا اللغة)**.

5.نتيجة مؤقتة: من التأصيل النظري إلى التحديد المنهجي

إن مجمل المحاضرات التحليلية السابقة ترسم لنا مسارًا إبستيمولوجيًا يسمح بالقول:

"اللسانيات ليست فلسفة جديدة في اللغة، بل علم جديد للسان".

وبهذا، نكون قد أسّسنا قاعدة منهجية ومعرفية تؤهلنا للانتقال من معالجة مفاهيم "المنهج"، و"القانون"، و"الظاهرة"، إلى مناقشة الأنماط التطبيقية الكبرى في تحليل الخطاب، النحو، الدلالة، والتداول، وهو ما سيكون محور المحاضرات القادمة بإذن الله.

التحليل:

المبحث01: (اللسانيات ↔ Linguistics) أولًا: أزمة الترجمة والاصطلاح

مفهوم اللسان بصفته موضوع الدراسة العلمية

- (اللسان): بدل كلمة (لغة)، وسبب هذا الاختيار أن بعض الباحثين العرب ترجم لفظ Linguistics ب(علم اللغة)، وكان يمكن قبول ذلك الاختيار لو كانت كلمة (اللغة) دالة على مفهوم (اللسان)، وهو ما جاء في حدّ التعريف للغة عند ابن جني: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» (الخصائص: ج1، ص 33، تحقيق محمد علي النجار).
- غير أن هذه الكلمة قد تدل على معان أخر مشتركة ومشهورة، وقد تغلب هذه المعاني الفرعية على (المفهوم العام)، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر:
- 1- المفهوم الناتج عند مقابلتها لكلمة (النحو) مقابلة الشيء لتقسيمه، وكذا مقابلتها للعربية (علم اللسان العربي) مقابلة الخاص للعام، وقد ورد عند ابن يعيش: «المراد بالعربية اللغة وإن كانت العربية أعم من اللغة تقع على كل مفرد من كلام العرب والعربية تقع على المفرد والمركب» .
- وقد سمّى علماء اللغة المتأخرون (علم اللغة بهذا المعنى (علم متن اللغة) تمييزا له عن علم العربية الذي هو أعم منه، إذ يقول ابن يعقوب المغربي: «علم متن اللغة أي معرفة أوضاع المفردات اللغوية ويسمى هذا العلم علم المتن لأن المتن هو ظهر الشيء ووسطه وقوته، وهذا العلم تعلق بذات اللفظ ومعناه». وهو مدلول شائع يسمى بالفرنسية Lexicologie

Modifier avec WPS Office

يفتح التمهيد نقاشًا دقيقًا حول الترجمة الاصطلاحية لمصطلح *Linguistics* في السياق العربي، وتحديدًا المفاضلة بين لفظي **"اللغة "**و**"اللسان ." **وقد أفضى هذا الاختيار إلى رهانات إبستيمولوجية عميقة، لا تتعلق فقط بالبنية الصرفية للكلمة، بل بمنظومة فكرية كاملة تؤطر العلاقة بين العلامة والمعنى** والسياق التداولي.**

إن لفظ *"اللغة "* في السياق العربي، وبخاصة في الحقول الفلسفية والكلامية، ارتبط بمباحث الماهية، والجوهر، والمنطق، وقد استُعمل كثيرًا في المناقشات المرتبطة بخلق القرآن، أو بوظيفة اللغة في الكشف عن المعقولات (انظر: الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، ص. 45). أما *"اللسان "* فقد ارتبط أكثر بالبُعد الأدائي والظاهراتي للغة، بوصفه أداةً للتواصل والإفهام، وهو ما يتقاطع مع استعمالات ابن جني في *الخصائص* (ج 1، ص 33، تحقيق محمد علي النجار)، حين قال:

"فإن أكثر ما يقع من كلام العرب موضوع على اللسان، لا على الذهن".

وبالتالي، فإن اختيار *"اللسان "* كمقابل لـ *Linguistics* في الترجمة العربية لم يكن عفويًا، بل استجابة لحاجة علمية لتحديد موضوع مستقل يتميز بالضبط المنهجي والتحديد المفهومي، على خلاف مصطلح *اللغة* الذي اتسع ليشمل دلالات أنطولوجية وتأويلية تتجاوز حدود العلم التجريبي.

ثانيًا: دلالات مصطلح "اللسان" في التراث العربي

يتجذر مصطلح *اللسان* في التراث العربي بوصفه يحيل إلى بُعد **تشاركي–اجتماعي**، لا إلى المفهوم الكلي المجرد للغة. فقد كان الخليل بن أحمد، في *العين*، يربط بين اللسان والنطق، أي بـ"العضو" و"الأداء" لا بالمجرد العقلي. أما ابن جني، فكان من أوائل من حاولوا الربط بين اللسان كأداء، واللغة كنظام، من خلال تمييزه بين *"اللغة "* باعتبارها قدرة، و*"اللسان"* باعتباره مظهرًا لهذه القدرة.

وعليه، فإن مصطلح *اللسان* لم يكن مجرد مقابل لغوي، بل وُظّف ليعبر عن المظهر الاجتماعي للغة، ولأدائها داخل الجماعة، وهذا ما يتوافق مع تعريف دي سوسير لـ *la langue* بأنها:

"نتاج اجتماعي لقوة جماعية، وقدرة نفسية للفرد" (Saussure, *Cours de linguistique générale*, 1916, p. 30).

هكذا، فإن "علم اللسان" ينحو نحو تقديم **نموذج وظيفي–تركيبي–اجتماعي** مغاير تمامًا لـ"فلسفة اللغة"، التي تظل مشدودة إلى أفق الماهية، والتصورات العقلانية المجردة كما في أعمال فريغه وهيجل وفتغنشتاين.

ثالثًا: العلاقة بين علم اللسان، النحو، والمعجم

يتجلى بدقة أن علم اللسان لا يُمكن اختزاله في النحو أو في علم المعجم، وإنما يتجاوزهما ليبني تصورًا **كليًا** للمنظومة اللغوية، من خلال:

- **علم النحو** :(**Syntaxe**) الذي يُعنى بالبنية الصورية، والقواعد التركيبية للجمل؛
- **علم المعجم** :(**Lexicologie**) الذي يهتم ببنية المفردات، أصلها، اشتقاقها، وظائفها، وتاريخها؛
- **علم اللسان** :(**Linguistique**) الذي يسعى لتوحيد المعارف السابقة ضمن **نسق تفسيري تأويلي**، يتناول اللغة ككلية حية، تنتج التراكيب، وتؤطر التداول.

وكما يقول جورج مونان: "إن علم اللغة لا يبحث عن صياغة قواعد، بقدر ما يبحث عن انتظام المفاهيم داخل بنية قابلة للتحليل.(Monan, *Qu'est-ce que la linguistique*, 1968) "

هذا ما يجعل من علم اللسان، لا علمًا وصفيًا فقط، بل **إبستيمولوجيا تحليلية شاملة**، تربط بين البنية والصيغة والمعنى والدلالة والسياق في آنٍ معًا.

رابعًا: التمييز بين مستويات التحليل اللساني

نرى من خلال تقسيم معرفي ضروري في اللسانيات الحديثة، أن التمييز بين:

1. **المستوى الأدائي(Performance)**

⮐ يحيل إلى تحقق اللغة في الخطاب، في النطق، في الأداء الاجتماعي اليومي.

2. **المستوى البنيوي(Structure)**

⮐ يتعلق بنظام القواعد، العلاقات النحوية، والتوزيعات التركيبية.

3. **المستوى التداولي–الدلالي(Pragmatics & Semantics)**

⮐ يُحلل كيف تُنتج المعاني في السياق، وكيف تتحدد القيم الدلالية بحسب المقاصد والمقامات.

وقد أبرز تشومسكي هذا التمييز بدقة حين فرّق بين **الكفاءة اللغوية** (**competence**) بوصفها معرفة ضمنية بالقواعد، و**الأداء** (**performance**) بوصفه تحققًا ملموسًا لهذه القواعد في السياق (Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, 1965).

خلاصة تحليلية منهجية

إن اختيار مصطلح *اللسان* ليكون موضوعًا للدراسة العلمية بدل *اللغة* ليس خيارًا لغويًا عابرًا، بل هو **اختيار إبستيمولوجي مفصلي** .فهو يعبّر عن تحوّل من النظر إلى اللغة بوصفها *ماهية مجردة* إلى اعتبارها *نظامًا وظيفيًا*،

قابلًا للرصد، التفسير، النمذجة، والتوليد. ومن هنا، فإن علم اللسان يُعدّ اليوم من أكثر العلوم الإنسانية تقاطعًا بين البنية والمعنى، بين النظرية والملاحظة، بين التجريد والسياق.

المراجع الاستشهادية المستخدمة:

- ابن جني .(1998) .*الخصائص* (تحقيق محمد علي النجار). دار الهلال.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge: MIT Press.
- Monan, G. (1968). *Qu'est-ce que la linguistique ?* Paris: Seuil.
- الجرجاني، عبد القاهر .(1991) .*دلائل الإعجاز* .تحقيق: محمود شاكر، دار المدني.

المبحث2: المفهوم والاصطلاح – من المصطلح إلى المفهوم التداولي

- 2- المفهوم الناتج من مقابلتها لكلمة (اصطلاح)، وهذا التقابل يكثر استعماله في التحديدات اللغوية، خاصة في تحديد معاني المصطلحات؛ ففي كتب الفقه مثلا ترد هذه العبارة: «الصلاة لغة هي الدعاء، وفي الاصطلاح,,,,,الخ»؛ فاللغة بهذا المعنى هي المفردات المبتذلة عند جميع الناطقين أي اللغة غير العالمة أو المتخصصة.
- 3- ورد في الكتب النحوية واللغوية بصفة عامة، استعمالا آخر يستحق أن يلتفت إليه وهو الذي يرد في مثل هذه العبارات: «والرفع في جميع هذا عربي كثير في جميع لغات العرب» (سيبويه: الكتاب، ج1، ص110-111). وبين من السياق أن كلمة (لغة) تدل على استعمالات لغوية إقليمية تتميز ع الاستعمال العام ؛ فهي كيفيات محلية في أداء اللغة العربية، وقد تدل على مفهوم اللهجة لأن قول سيبويه «على لغة هذيل» لا يقصد باللغة فيه (اللسان) «لسان هذيل كله» بل هذا الأداء الخاص المميز واهو فتح عين الكلمة في جميع فعلات مع كونها حرف علة مثل بيضات وجوزات، وقد يتفق أن تكون هذه الكيفية الأدائية واسعة المجال وتعتبر مع ذلك لغة محلية.

Modifier avec WPS Office

أولًا: تقابل المصطلح والمفهوم – نقد إبستيمولوجي للفظ "اللسان"

ننتقل إلى قضية محورية في البناء الإبستيمولوجي للعلوم اللسانية، وهي **ضرورة التمييز بين المصطلح (ترسيمة لفظية)** والمفهوم (بنية عقلية ومعرفية). وهنا يظهر جليًا **التقابل بين لفظ "اللسان" بوصفه اصطلاحًا** وبين **ما ينتجه من مفاهيم متعددة تبعًا للسياق.**

- فمصطلح "اللسان" لا يُعبّر عن معنى واحد ثابت، بل تتغير دلالته وفق السياقات العلمية، الفقهية، البلاغية، والفلسفية.
- فمثلًا، في السياقات الفقهية أو النحوية، نجد استعمالًا لكلمة "اللسان" لا بوصفه نظامًا لغويًا، بل بوصفه **أداة مادية للنطق** (كما في عبارة "اللسان يلهج بالذكر") أو بوصفه مجرد **قناة صوتية**)انظر: الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، مادة "ل س ن.("
- أما في الاستخدامات اللسانية الحديثة، فقد تم **إعادة ترميز "اللسان" كمفهوم وظيفي تداولي**، يشير إلى النسق المشترك بين الأفراد، القابل للوصف، التكرار، والنمذجة.

هذا **الانتقال من الاستعمال الحسي إلى الاستعمال المفهومي** هو جوهر ما يُعرف في فلسفة العلم بالتحول من *الملفوظ اللغوي* إلى *النسق المعرفي* (Bachelard, 1934)، أي من المعجم إلى المفهوم.

ثانيًا: تحديد المفهوم من خلال السياق الاصطلاحي – جدلية الاصطلاح والاصطلاح المضاد

إن ما نطلق عليه "المفهوم الناتج من مقابله"؛ أي أن دلالة اللسان تتحدد من خلال **مقابلته مع اصطلاحات أخرى**، مثل:

- *"الدعاء، الألفاظ، الكلام، اللفظ، الصوت، البيان"* ، وكلها مفاهيم متداخلة استُعملت تاريخيًا لتوصيف الظاهرة اللغوية، لكن دون دقة تمييزية إبستيمولوجية.

وهذه ظاهرة معروفة في الحقول العربية القديمة، حيث لم يتم تأسيس تمايز واضح بين البُنى التداولية—السياقية وبين البُنى اللسانية—الصورية، بل كان التداخل سائداً.

ومن هنا تظهر أهمية علم اللسان بوصفه علمًا حديثًا يعمل على **تحرير المصطلحات من الدلالات البلاغية واللاهوتية**، ويُعيد بناءها ضمن شبكة مفاهيم علمية قابلة للنمذجة كما نجد في أعمال تشومسكي، بلومفيلد، وسوسير.

المجلس العلمي للكلية

ثالثًا: المفهوم كأداة اشتغال علمية وليس مجرد دلالة معجمية

نورد اقتباسًا من كتب النحو التقليدية يبيّن كيف أن لفظ "اللسان" استُخدم في معانٍ مجازية أو إشارية دون أن يتحول إلى مفهوم علمي.

- لكننا، في علم اللسان الحديث، لا نكتفي بالدلالة، بل نبحث عن **وظيفة المفهوم**، أي:

كيف يمكن لـ"اللسان" أن يُصبح أداة تحليل منهجي؟
كيف يتحول من مجرد اسم إلى "نسق دلالي منتِج"؟

هذا يتطابق مع ما يسمّيه *جيل دلوز وفيليكس غاتاري* بـ"الاصطلاح العامل" أو *Concept opératoire*، أي المفهوم الذي لا يصف فقط، بل يُنتج معرفة من خلال **قابلية الاشتغال النظري** (Deleuze & Guattari, *Qu'est-ce que la philosophie?*, 1991).

رابعًا: تقاطع الاستعمال التراثي والاستعمال العلمي الحديث

إن ما جرى في التراث العربي، وخاصة في النحو والبلاغة، لم يكن علم لسان بالمعنى الحديث، بل كان **وصفًا وظيفيًا–بلاغيًا** للأداء اللغوي، يدور حول الإعجاز، الفصاحة، والنحو.

- أما في *علم اللسان*، فالمقصود ليس "نطق الكلمة" أو "البيان البلاغي"، بل **بنية النظام اللغوي ككل**.
- وهذا يُعيد التذكير بأن "علم اللسان" لا يشتغل على المفردة المفردة، بل على *العلاقات الداخلية بين المفردات*، أي أنه يفكر بطريقة نسقية–علاقاتية، لا بطريقة تحليلية–تقليدية.

خلاصة تحليلية موسعة

ما نطرحه من تعارض بين المصطلح والمعنى، وبين التحديد التراثي والتحديد اللساني الحديث، يبرز أن **"علم اللسان" ليس فقط علمًا للغة، بل علم للمفاهيم ذاتها**، ولطريقة اشتغالها داخل نسق معرفي مستقل.

- فالمصطلح) *اللسان* (لا يكفي وحده، بل يجب أن يتحدد في ضوء المفاهيم المجاورة، والسياقات التداولية، وخلفيات الاستعمال العلمي.
- والمفهوم ليس مرآة للغة، بل أداة لإنتاج معرفة جديدة حولها.
- وهنا يظهر *علم اللسان* بوصفه أحد التخصصات **التي تؤسس مفاهيمها داخل بنيتها الخاصة**، لا عبر استعارة جاهزة من الحقول التراثية، وهذا ما يؤسس لعلم مستقل يتجاوز التقاليد اللغوية نحو أفق نمذجي حديث.

المراجع الاستشهادية داخل النص:(APA)

- Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: PUF.
- Deleuze, G., & Guattari, F. (1991). *Qu'est-ce que la philosophie?* Paris: Les Éditions de Minuit.
- الفيروزآبادي .(1997) .*القاموس المحيط* .بيروت: دار الكتب العلمية.

المبحث 3: من الوحدة الدلالية إلى تنوع البنى التركيبية والوظيفية

- 1- لفظ (لسان) بهذا الاعتبار لا يدل إلا على معنى واحد وهو المقصود ب(علم اللسان)، وعليه جرى البعض على تخصيص هذه الكلمة بياء النسبة فقال (اللسانيات) كما يقال (الرياضيات) و(البصريات)، وأن تخصص كلمة (لغة) إذا أضيفت إلى العلم للدلالة على دراسة أوضاع المفردات، أما إذا أفردت عن العلم فلا ضير في استعمالها مع كلمة لسان للدلالة على (المفهوم العام)، أما إذا نسب شيء ما إلى اللغة الدالة على مجموعة المفردات اللغوية فالأحسن أن نقول: «الظواهر الإفرادية أي الخاصة بالمفردات Lexicologie، وتقابلها الظواهر التركيبية أي الخاصة بالتركيب، وهي الظواهر النحوية (النحو بمعناه الخاص أي علم الأبنية التركيبية Structures Syntaxiques. أما الكيفيات الأدائية المحلية أو القبلية فيمكن أن تسمى بالأداء اللهجي أو التنوع اللهجي Variante dialectale، وتستعمل كلمة (لغة) أيضا بهذا المعنى لكن بشرط أن توجد هناك قرينة يرتفع بها اللبس والغموض والاشتباه. وإذا كان الأداء راجعا إلى الشخص لا إلى الجماعة فيسمى «لثغة» Variante individuelle، وإذا كان مسببا عن عوارض التركيب (وهو جماعي)؛ فهو «بدل» Variante combinatoire.

Modifier avec WPS Office

أولًا :رفض الدلالة الواحدة – "اللسان" لا يدل على معنى واحد

تبدأ الشريحة بتفكيك زعم أن "اللسان" يُحيل إلى دلالة واحدة ثابتة، لتؤكّد أن **هذا الاعتبار غير كافٍ علميًا**، لأن مصطلح "اللسان" كما يُستعمل في علم اللسانيات لا يشير إلى **معنى واحد**، بل إلى **شبكة دلالات معقدة** تتوزع بين:

- الأداء الصوتي،
- النظام النحوي،
- الوظيفة الاجتماعية،
- البنية الذهنية،
- الطابع الاحتمالي.

وهذا ما يجعل "اللسان" أقرب إلى "**المفهوم الحدي** (*concept-limite*) "الذي يربط بين مستويات متعددة دون أن يُختزل في أحدها، وهو ما أشار إليه *هوسرل* في سياق تحليله لمفاهيم الإدراك واللغة في علاقتهما بالموضوعية والذاتية.(Husserl, 1970)

ثانيًا :تخصيص المصطلح من خلال الاستعمال العلمي

تسجّل الشريحة أن التخصيص الاصطلاحي لمصطلح "اللسان" يجب أن يتجاوز **الحدود الاشتقاقية المعجمية**، نحو تحديد وظيفي–إبستيمولوجي. فكما لا يُفهم "الرياضيات" من دلالة كلمة "العدد"، لا يُفهم "علم اللسان" من دلالة "اللسان" فقط.

هذا الطرح يعيدنا إلى ملاحظة دو سوسير في *Cours de linguistique générale* (1916) عندما ميّز بين:

- اللغة :(Langue) نظام مشترك.
- الكلام :(Parole) الأداء الفردي.
- اللغة بوصفها ملكة :(Langage) القدرة الكلية.

وقد اعتبر سوسير أن الموضوع العلمي هو **اللسان (langue)** بوصفه نسقًا اجتماعيًا منتظمًا، وليس الأداء ولا القدرة المجردة.

ثالثًا :مقارنة تفكيكية بين البُنى اللغوية المتنوعة

تنتقل الشريحة إلى مستويات التمايز داخل "اللسان" ذاته، وتصنّفها وفق ثلاث متغيّرات إبستيمولوجية:

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

1. Variante dialectale:

المتغير اللهجي – يرتبط بالتنوع الجغرافي–الاجتماعي.

يستخدم مصطلح "اللسان" أحيانًا للإشارة إلى لهجة ما ("لسان قبيلة كذا")، وهذا لا يُلغيه علم اللسان، لكنه يُعيد تأويله ضمن مقولات التنوع اللغوي وليس التعدد الفوضوي.

2. Variante individuelle:

المتغير الفردي– يبرز في الأداء الشخصي والخصائص النطقية. مثل: الصوتيات الفردية، التفضيلات الصرفية، الفروق الأسلوبية التي تميّز المتكلمين.

3. Variante combinatoire:

المتغير التركيبي – ناتج عن التآلف السياقي بين العناصر اللغوية. مثل: التراكيب التي لا ترد منفصلة بل تُنتَج وفق قوانين البنية(structures syntaxiques) ، وهذه هي المنطقة التي يشتغل عليها النحو الوظيفي والمعرفي.

هذا التصنيف يُظهر أن "اللسان" ليس وحدة مغلقة، بل **بنية احتمالية مفتوحة** قابلة للتمفصل عبر السياق، الفرد، والمجتمع، مما يجعله أقرب إلى "نظام ديناميكي معقّد (Dynamic complex system) "كما طرحه *Bybee (2006)*و *Hopper (1987).*

رابعًا :علاقة "اللسان" بالعلوم المجاورة – من التصنيف إلى التداخل المعرفي

تُبرز الشريحة في عمقها المعرفي أن أي تحديد دقيق لمفهوم "اللسان" لا بد أن يستند إلى علوم أخرى، مثل:

- **علم الأصوات** (**Phonetics & Phonology**) لتحديد السمات الصوتية للفرد والمجتمع.
- **النحو التوزيعي والتوليدي** لتفسير العلاقات التركيبية.
- **اللسانيات الاجتماعية** (**Sociolinguistics**) لفهم الوظائف التداولية.
- **علم النفس اللغوي** (**Psycholinguistics**) لفهم الأداء والتجهيز الذهني.

وبالتالي، يصبح "اللسان "**نقطة تداخل منهجي بين علوم متعددة**، ما يجعل تعريفه العلمي قائمًا على **نسقية تحليلية** (**Modélisation systémique**) وليس على دلالة قاموسية.

خلاصة تحليلية شاملة:

تفتح الشريحة الثالثة أفقًا تأويليًا جديدًا لمفهوم "اللسان"، يخرج به من دائرة "الدلالة المعجمية" إلى "البنية المفهومية الوظيفية". فـ"**اللسان**" ليس:

- مجرد عضو ناطق،
- ولا مجرد أداء فردي،
- ولا حتى مجرد نسق نحوي.

بل هو **نظام ديناميكي مركّب** يتوزع على:

- **الطابع اللهجي**(**Dialectale**) ،

- **الطابع الفردي(Individuelle)** ،
- **الطابع التركيبي–الوظيفي.(Combinatoire)**

وهو ما يجعل "علم اللسان" علمًا تركيبيًا يتجاوز **الأداء الظاهري** نحو بناء **نماذج تفسيرية** للقدرة اللغوية ضمن سياق اجتماعي–ذهني متداخل.

المراجع التوثيقية داخل النص:(APA) :

- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- Hopper, P. J. (1987). Emergent Grammar. *Berkeley Linguistics Society*, 13(1), 139–157.
- Bybee, J. (2006). *From usage to grammar: The mind's response to repetition*. Language, 82(4), 711–733.
- Husserl, E. (1970). *Logical Investigations*. Routledge.

المبحث04: "استقلال علم اللسان وموقعه بين العلوم"

- إذا أردنا أن نتحدث عن علم اللسان كعلم مستقل بموضوعه وبمنهجه، يجب أولا أن نعزل من حقل الدراسة الصفات العارضة والتي تنتمي إلى فروع كثيرة من الفنون والعلوم غير اللسانيات سواء كانت ناتجة عن علاقة التضمن Inclusion أو عن علاقة تلاق Intersection، إذ ينظر العالم النفساني في أحداث الكلام لأن لها جوانب ذات طبيعة سيكولوجية مهمة، والعالم الاجتماعي يهتم بما له علاقة بالظواهر الاجتماعية، كما قد يهتم المنطقي بالصياغة المنطقية للعبارة في سياق الكلام مما يؤتيه قوة برهانه ومتانة حجته في معرض الجدل؛ ففي كل هذه الحالات يعالج (اللسان) كظاهرة نفسية أو اجتماعية أو منطقية أي في إطار خاص، لكن الدراسة اللسانية بحسب دي سوسير هي: «دراسة من اللسان وإليه»، لأن لجميع العلوم الأخرى مواضيعها الخاصة بها وقد تلتقي وتتقاطع مع موضوع علم اللسان، ولكن مجال اشتغالها ليس اللسان في صفاته الذاتية بل في صفاته التي ترتبط بموضوع اختصاصها.

Modifier avec WPS Office

أولًا: علم اللسان كحقل معرفي مستقل – بين العزل والتخصص

تفتتح الشريحة بفكرة إبستيمولوجية عميقة: "إذا أردنا أن نتحدث عن علم اللسان كعلم مستقل بميدانه ومناهجه، يجب أولًا أن نعزله من حقل الدراسة العارضة". هذا العزل لا يعني العزلة المطلقة، بل يشير إلى ضرورة **تمييز اللسانيات عن الفروع الأدبية والفلسفية والدينية** التي طالما خلطت بين اللغة بوصفها موضوعًا تأويليًا، وبين اللسان بوصفه نظامًا رمزيًا منتظمًا.

وهنا تُثار إشكالية **الحدود العلمية(boundaries of knowledge)** ، وهي إشكالية مركزية في فلسفة العلم المعاصر، كما ناقشها *توماس كون* (Kuhn, 1962)، حيث لا يصبح الحقل علمًا إلا إذا انفصل اصطلاحيًا وإجرائيًا عن التقاليد السابقة.

ثانيًا: نموذج التداخل والتقاطع Inclusion vs. Intersection –

تعتمد الشريحة على ثنائية تحليلية مهمة:

- **علاقة التضمين: Inclusion** حيث يكون الحقل فرعًا داخليًا لعلم أوسع (كأن تُعتبر اللسانيات جزءًا من الفلسفة أو الأنثروبولوجيا).

- **علاقة التقاطع Intersection:** حيث تتقاطع اللسانيات مع علوم أخرى (مثل النفس والاجتماع)، دون أن تذوب فيها أو تتبعها اصطلاحيًا.

تؤكد الشريحة على ضرورة الانتقال من علاقة "التضمين" إلى "التقاطع"، أي أن اللسانيات يجب أن تكون **حقلًا مستقلاً يتقاطع مع العلوم الأخرى** لكنه لا يُختزل فيها.

وهذا ما عبّر عنه *Chomsky* في كثير من أعماله، خاصة عندما رفض حصر اللسانيات في التجريب السلوكي، مؤكدًا أن لها بنيتها التفسيرية الخاصة.(Chomsky, 1965)

ثالثًا: تعدد مستويات التحليل في اللسانيات – من الجملة إلى السياق

تنبه الشريحة إلى أن اللغة ليست ظاهرة واحدة، بل متشعبة الأبعاد:

- ظاهرة اجتماعية(language as social action)
- ظاهرة معرفية(language as cognition)
- ظاهرة تركيبية(language as structure)

وهذا يفرض على علم اللسان أن **يتعامل مع الظاهرة اللغوية باعتبارها متقاطعة** مع الاجتماع، النفس، الإدراك، السلطة، الهوية، إلخ. ولكنه في الوقت نفسه يُنتج أدواته الخاصة التي تسمح له بتفسير الظاهرة من داخلها، وليس فقط عبر استعارة أدوات الحقول الأخرى.

هذا الموقف يُحيلنا إلى موقف *Canguilhem* في نقده لفكرة "التخصص الصلب"، حيث أكد أن كل حقل علمي يجب أن يُنتج منطقه الداخلي وأدواته المعيارية.(Canguilhem, 1977)

رابعًا: الخطأ الشائع – فهم اللغة كأداء اجتماعي فقط

تحذر الشريحة من خطأ إبستيمولوجي منتشر، وهو:

- **اختزال علم اللسان في الأداء الاجتماعي.**
- أو **فهمه فقط بوصفه نشاطًا كلاميًا يوميًا.**

وتُشدّد على أن هذا الفهم سطحي ولا يُعبّر عن حقيقة اللسانيات كعلم يُعالج اللغة من حيث بنيتها العميقة، وليس فقط من حيث ظاهرها الأدائي. اللغة ليست فقط ما نقوله، بل كيف نُنتج ما نقوله، وكيف نُعيد توليده، وكيف نفهم آلياته في ضوء النمذجة، الحساب، والانتظام.

خامسًا: التكامل وليس التبعية – المشروع اللساني الحديث

تصل الشريحة إلى استنتاج مهم: أن "علم اللسان" لا يكتفي بالتحليل الخارجي، بل يُنتج **نموذجه التفسيري الخاص** .هذا ما يجعل من اللسانيات:

- علمًا ذو **نسق إبستيمولوجي خاص**،
- لا يستعير مفاهيمه من الخارج، بل **يبني مفاهيمه من داخل الموضوع**.

تمامًا كما فعلت الفيزياء الحديثة حين انتقلت من "حركة الأجسام" إلى "نمذجة العلاقات"، فإن اللسانيات انتقلت من "تحليل الكلام" إلى "بناء نموذج إنتاج اللغة."

خلاصة تحليلية:

تُعد هذه الشريحة لحظة انعطافية حاسمة في بناء تصور إبستيمولوجي متكامل لعلم اللسان، لأنها:

- تميّز بين التداخل والتضمين،
- ترفض الذوبان داخل العلوم المجاورة،
- تُثبّت استقلال اللسانيات بوصفها علمًا له موضوعه، وحدوده، ومفاهيمه،
- وتُعيد تأسيس "اللسان" كنسق تفسير يتجاوز الأدوات الأدبية أو التأويلية القديمة.

المراجع العلمية داخل النص:(APA)

- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Kuhn, T. S. (1962). *The Structure of Scientific Revolutions*. University of Chicago Press.
- Canguilhem, G. (1977). *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin.

المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

المبحث05: "علم اللسان والعلوم المحايثة – التكامل المعرفي والحدود الإبستيمولوجية"

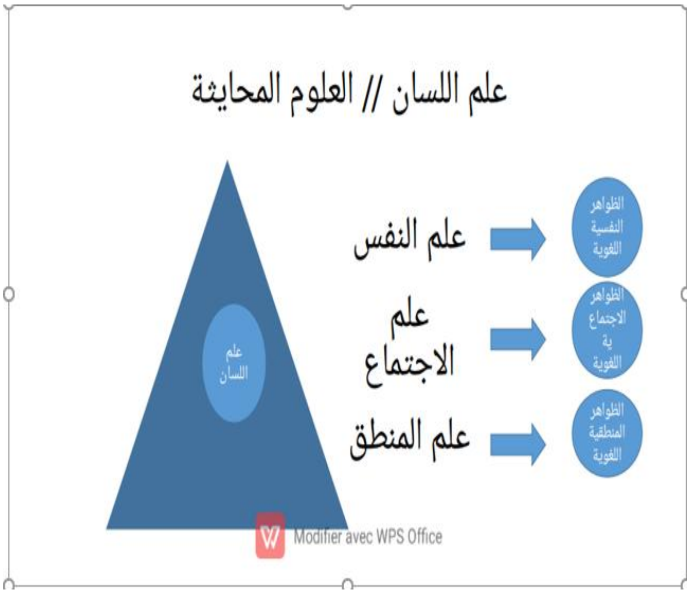

تحليل تقني للشريحة الخامسة: "علم اللسان والعلوم المحايثة – التكامل المعرفي والحدود الإبستيمولوجية"

أولًا: موقع علم اللسان داخل الحقل المعرفي العام

يشير التصميم الهرمي البصري في الشريحة إلى تموضع **علم اللسان في مركز مثلث إبستيمولوجي** تتفاعل أطرافه مع ثلاث حقول علمية:

- **علم النفس** (Psychology)
- **علم الاجتماع** (Sociology)
- **علم المنطق** (Logic)

ويُبرز هذا التمثيل فكرة أن اللسانيات ليست علمًا منعزلاً، بل تقع **عند تقاطع ثلاثة أنماط من الظواهر**:

1. الظواهر النفسية–اللغوية
2. الظواهر الاجتماعية–اللغوية
3. الظواهر المنطقية–اللغوية

هذه المقاربة تذكرنا بما أشار إليه *Emile Benveniste* عندما تحدث عن موقع اللسانيات كعلم "يتوسّط بين البنى العقلية والسلوكية والاجتماعية"، أي أن اللغة ليست معزولة، بل هي مرآة لانبثاق الوعي والهوية والتفكير.

ثانيًا: علم النفس والظواهر النفس–لغوية

هنا تظهر العلاقة الوطيدة بين **علم اللسان النفسي** (**Psycholinguistics**) وعلم النفس، وخاصة من خلال:

- دراسة آليات اكتساب اللغة(Acquisition)
- فهم المعالجة الذهنية للتركيب والدلالة(Processing)
- تحليل الأخطاء النحوية والإدراكية

وقد أرسى *Chomsky* الأساس لهذه العلاقة حين ميّز بين **الأداء** (**Performance**) و**الكفاية** (**Competence**)، مشددًا على أن اللغة نشاط ذهني يُبنى في العقل لا فقط في المجتمع (Chomsky, 1965).

ثالثًا: علم الاجتماع والظواهر الاجتماع–لغوية

من هذا المدخل، يرتبط علم اللسان با**للسانيات الاجتماعية**(**Sociolinguistics**) ، حيث يتم تحليل:

- التغيرات اللهجية(Dialect Variation)
- توزيع الظواهر حسب الطبقة، الجنس، العمر، السياق
- علاقة اللغة بالسلطة والهوية والمقاومة الرمزية(Bourdieu, 1982)

وقد أسّس *Labov* هذا الاتجاه حين أصرّ على أن "اللغة ليست فقط ما يُقال، بل من يقوله، ولمن، وكيف."

رابعًا: علم المنطق والظواهر المنطقية–اللغوية

هنا تدخل **اللسانيات الصورية** (**Formal Linguistics**) في علاقة قوية بين المنطق والرياضيات، خاصة في:

- بناء نماذج نحوية توليدية(Generative Grammar)
- الصيغ الشكلية(Formalisms)
- التفسير القائم على القواعد النحوية والدلالية الرمزية

المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

ويُمثل هذا الاتجاه امتدادًا لفكر *Frege* و*Russell* و*Carnap*، وتجلّى بشكل حاد في أعمال *Montague Grammar*، التي ربطت بين بنية الجملة والمنطق الكلاسيكي.

خامسًا: التكامل لا الذوبان – نحو عقلانية متعددة الأبعاد

يُظهر هذا النموذج أن علم اللسان لا يستعير أدوات هذه العلوم فقط، بل:

- يعيد تشكيلها وفق نسقه الخاص؛
- يُفعّلها لتفسير الظاهرة اللغوية دون أن يُذوّب ذاته في أي من العلوم الأخرى؛
- يطوّر أدوات تفسيرية–تحليلية تُزاوج بين **الاستقراء التجريبي** و**الاستنباط الرياضي**.

كما يشير *Michel Foucault* في "أركيولوجيا المعرفة" (1969): "العلم يُعرّف لا فقط بنظرياته، بل بنظام علاقاته المعرفية مع الحقول المجاورة."

خلاصة تحليلية"

تمثّل هذه الشريحة **خلاصة تركيبية للمبحث الإبستيمولوجي السابق كله**، حيث:

- يتبلور علم اللسان كمجال معرفي له استقلاله المفاهيمي؛
- تتفاعل اللسانيات مع ثلاثة علوم محايثة دون أن تذوب فيها؛
- تظهر اللغة كبنية ذهنية–اجتماعية–منطقية، تتطلب أدوات متعددة؛
- ويُعاد تأسيس اللسانيات كعلم مركب يتوسط بين "الذات والمجتمع"، وبين "الإدراك والبنية"، وبين "الواقع والنموذج."

المراجع العلمية داخل النص:(**APA**)

- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. University of Pennsylvania Press.
- Bourdieu, P. (1982). *Ce que parler veut dire*. Fayard.
- Foucault, M. (1969). *L'Archéologie du savoir*. Gallimard.

تحليل موسّع للشريحة الخامسة:

"علم اللسان والعلوم المحايثة – نحو تكامل إبستيمولوجي متعدد الأبعاد"

.1علم اللسان بين التخصّص والاستقلال البنيوي

تُظهر الشريحة بنية هرمية تضع "علم اللسان" في المركز، وتُحيط به ثلاثُ دوائر معرفية أساسية :**علم النفس، علم الاجتماع، وعلم المنطق** .لا يأتي هذا التصور من قبيل التنظيم البصري فقط، بل يُعبّر عن رؤية إبستيمولوجية عميقة، مفادها أن **اللسانيات لا تُمارَس داخل حدود علمية مغلقة، بل تتبلور عند تقاطع أنساق معرفية متداخلة** .ويُعبر هذا التصور بدقة عن ما أسماه إميل بنفنيست *"التداخل الوظيفي للعلوم حول اللغة"* ، حيث تُفهم اللغة بوصفها حقلًا معرفيًا مركزيًا يُضيء عمليات الإدراك، التواصل، والتجريد، ولا يمكن فصلها عن العمليات الذهنية أو السياقات الاجتماعية التي تنتجها (Benveniste, 1974).

.2اللسانيات النفسية: من المعالجة الإدراكية إلى تمثيلات الكفاية

يرتبط **علم النفس** باللسانيات عبر ما يُعرف ب**اللسانيات النفسية**(**Psycholinguistics**) ، وهي مقاربة تركز على الجوانب الإدراكية لاكتساب اللغة، إنتاجها، ومعالجتها. فمن خلال هذه المقاربة، تُدرس العمليات العقلية المصاحبة لفهم الجمل، إنتاج الأصوات، وتفسير المعاني. وقد أسس *نعوم تشومسكي* هذا المدخل حينما ميز بين **"الأداء** (**Performance**) "و**"الكفاية " **(Competence)، معتبرًا أن اللغة ليست مجرد ناتج اجتماعي بل **بنية ذهنية فطرية**، تُبنى داخل الدماغ البشري عبر جهاز لغوي داخلي، يُفعّل في ظروف بيئية معينة .(Chomsky, 1965) وتُمثل اختبارات الاستجابة الزمنية، ومعالجة الأخطاء النحوية، وتحليل تطور اللغة عند الأطفال، تجليات مباشرة لهذه المقاربة النفس—لغوية.

.3اللسانيات الاجتماعية: اللغة بوصفها سلوكًا تواصليًا وسلطة رمزية

من جهة ثانية، يتقاطع **علم الاجتماع** مع علم اللسان عبر **اللسانيات الاجتماعية** (**Sociolinguistics**)، وهي المقاربة التي أبرزت أن **اللغة ليست كيانًا مجرّدًا، بل سلوك اجتماعي مشحون بالتفاوت الطبقي والرمزي** .وقد أرسى *ويليام لابوف* دعائم هذا التوجّه حينما أثبت من خلال أبحاثه الميدانية أن التغيرات اللهجية لا تخضع فقط لقواعد داخلية، بل ترتبط أيضًا بالعوامل

الاجتماعية مثل الطبقة، الجنس، العمر، والانتماء الثقافي .(Labov, 1972) ويكمل *بيير بورديو* هذا التصور حين اعتبر أن **اللغة أداة هيمنة رمزية**، وأن الفاعلين الاجتماعيين لا يمتلكون فقط مهارة لغوية، بل **رأسمالاً لغويًا** يُحدد إمكاناتهم في الخطاب.(Bourdieu, 1982)

.4اللسانيات الصورية: من التجريد المنطقي إلى البنى النحوية الرمزية

أما **علم المنطق**، فيدخل على خط التفاعل من خلال ما يُعرف بـ**اللسانيات الصورية** (**Formal Linguistics**)، والتي تُعنى ببناء أنظمة نحوية–دلالية تُقارب اللغة بوصفها **نسقًا رمزيًا خالصًا يمكن تمثيله رياضيًا** .وقد بُني هذا التصور على أسس منطقية وضعها *فريغه* و*راسل*، وطوّره *مونتاجيو* في ما بات يُعرف بـ"قواعد مونتاجيو(Montague Grammar) "، التي ترى أن "بنية الجملة تتطابق مع بنية العبارة المنطقية .(Montague, 1970) "وتُعدّ هذه المقاربة ضرورية لفهم **كيف يمكن تحويل الظاهرة اللغوية إلى خوارزميات ونماذج حوسبية**، كما هو الحال في معالجة اللغة الطبيعية (NLP) والذكاء الاصطناعي.

.5التكامل الإبستيمولوجي: عقلانية تعددية لا ذوبان اختزالي

إن ما تطرحه الشريحة ليس مجرد استعارة للحقول المعرفية المجاورة، بل يُقدّم ما يمكن تسميته بـ**"تكامل إبستيمولوجي عقلاني"**. فعلم اللسان لا يذوب في علم النفس، ولا يُختزل في البنى المنطقية، ولا يُفرَّغ في الظواهر الاجتماعية؛ بل **يعيد توظيف هذه المقاربات ضمن مشروع نظري–تحليلي معاصر** يقوم على المزاوجة بين:

- **الاستقراء التجريبي** (كما في التحليل الكمي للخطاب)
- و**الاستنباط الصوري** (كما في التوليد القاعدي في النحو)

وهو ما يدعونا للقول – كما صرّح *فوكو* –أن العلم لا يُبنى فقط من خلال خطابه الداخلي، بل من خلال "شبكة علاقاته المعرفية" التي تحدد حدوده وتفاعلاته.(Foucault, 1969, p. 75)

الخلاصة التأليفية:

تؤسس هذه الشريحة لمنظور إبستيمولوجي يجعل من علم اللسان علمًا مركزيًا، لا فقط من حيث موضوعه (اللغة بوصفها ظاهرة عقلية–اجتماعية–منطقية)، بل من حيث **منهجيته المركّبة** التي تُحايث العلوم

الأخرى دون أن تُذوّب ذاتها فيها. إن اللسانيات تتبلور هنا **كجسر بين الأنظمة المعرفية**، وكحقل يطمح إلى بناء تفسير متعدد الأبعاد، قادر على التعامل مع تعقيد اللغة، دون إفقارها إلى بُعد واحد.

المراجع داخل النص:(APA)

- Benveniste, E. (1974). *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Bourdieu, P. (1982). *Ce que parler veut dire: L'économie des échanges linguistiques*. Paris: Fayard.
- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
- Montague, R. (1970). *Universal Grammar*. In *Theoria*, 36(3)

المبحث06: تحليل الشريحة السادسة:

"العلاقات البنائية بين علم اللسان والعلوم المحايثة – من التضمين إلى التقاطع"

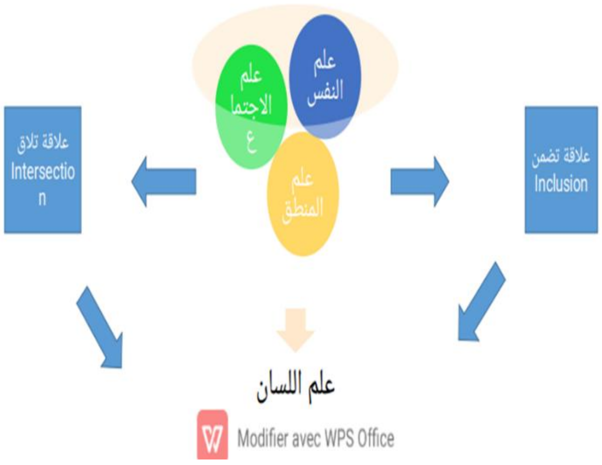

أولًا: بين التضمين (Inclusion) والتقاطع الثلاثي – (Intersection) نمطان من العلاقة المعرفية

تُظهر الشريحة تمثيلًا بصريًا عميقًا لعلاقة علم اللسان بالعلوم المحايثة الثلاثة :**علم النفس، علم الاجتماع، علم المنطق** .ويُقدِّم هذا التمثيل في شكلين إبستيمولوجيين مختلفين:

- **علاقة التضمين** :(**Inclusion**) حيث يُنظر إلى علم اللسان كمجال معرفي يشتمل على مكونات من العلوم الثلاثة الأخرى، لكنه يُعيد تأطيرها ضمن نظام تحليلي خاص به. هذه العلاقة تُشير إلى أن علم اللسان ليس مجرد مستفيد من هذه الحقول، بل هو قادر على إعادة إنتاج منطقها داخل بنيته الخاصة، أي أنه يشملها دون أن يُختزل فيها.(Foucault, 1969)
- **علاقة التقاطع الثلاثي** :(**Intersection**) وهي أكثر دقة من "التداخل" العادي، لأن التقاطع لا يعني مجرد مشاركة في المفاهيم، بل **اشتغال مشترك في منطقة معرفية مركزية**، وهي "اللغة بوصفها فعلاً

ذهنيًا—اجتماعيًا—منطقيًا" في آن. وهنا يصبح علم اللسان نقطة التقاء استراتيجية بين الحقول الثلاثة، ويؤسس بذلك لرؤية متعددة التكوينات المعرفية.

إن هذا النموذج، من حيث دقته البنيوية، يُجسّد فعليًا مفهوم *"الحقل الوسيط* Champ " (Médianالذي تحدّث عنه *Pierre Bourdieu*، حيث يتشكّل العلم لا من خلال انفصاله عن غيره، بل من خلال قدرته على إنتاج "منطقة مشتركة للرهانات والرموز.(Bourdieu, 1982) "

ثانيًا: علم اللسان كحقل بؤري بين ثلاثة نظم معرفية

في التمثيل المعرفي للشريحة:

- **الدائرة الزرقاء** (علم النفس): تُحيل إلى الأبعاد الذهنية للغة: الاكتساب، المعالجة، الأداء، الفهم، التمثيل الذهني.(Chomsky, 1965)
- **الدائرة الخضراء** (علم الاجتماع): تُحيل إلى الأبعاد التفاعلية للغة: السلطة، التنوع، السياق، الهوية، الخطاب.(Labov, 1972; Bourdieu, 1982)
- **الدائرة الصفراء** (علم المنطق): تُحيل إلى الأبعاد التجريدية للغة: القواعد، الصيغ الرمزية، البنى النحوية، التحليل الصوري.(Montague, 1970)

أما **النقطة المركزية التي تلتقي فيها الدوائر الثلاث**، فهي ما يُشكّل **الجوهر الإبستيمولوجي لعلم اللسان** :نظام شامل يُفسّر اللغة بوصفها **بنية معرفية—اجتماعية—منطقية** متكاملة.

ثالثًا: التحوّل من الاستعارة المعرفية إلى التكامل البنيوي

يفترق هذا النموذج عن الرؤى السابقة التي كانت تعتبر اللسانيات فرعًا من هذه العلوم أو مستعيرة لأدواتها. ففي ضوء هذا التحليل، **لا يعود علم اللسان مجالًا هامشيًا**، بل يتحول إلى **بنية مركزية تتفاعل مع هذه الحقول بطريقة عضوية** .ولهذا:

- لا يمكن اختزال الظاهرة اللغوية في جانبها النفسي فقط (كما في بعض التوجهات النفس—سلوكية)،
- ولا في بعدها الاجتماعي (كما في النظريات الخطابية البحتة)،
- ولا في بُعدها المنطقي—الرمزي (كما في التحليلات الشكلانية الجافة).

بل لا بد من **جمع كل هذه الأبعاد ضمن نظام تأويلي–تفسيري–تجريبي مركّب**، كما هو حال أغلب المقاربات المعاصرة في علم اللغة المعرفي والتداولي.

خلاصة تحليلية:

تمثل هذه الشريحة قفزة إبستيمولوجية تُعيد تشكيل سؤال "ما هو علم اللسان؟" بعيدًا عن كونه فقط دراسة للبنية أو المعنى، ليصبح **علمًا للتفاعل المعرفي بين النفس، المجتمع، والمنطق** .ومن هنا، يُعاد تعريف علم اللسان كـ:

- **علم تقاطعي (Interdisciplinary)** بامتياز؛
- **نموذج عقلاني مركّب(Modèle rationnel composite)** ؛
- **منصة إبستيمولوجية لإعادة فهم الذات البشرية من خلال اللغة.**

المراجع داخل النص:(APA)

- Bourdieu, P. (1982). *Ce que parler veut dire: L'économie des échanges linguistiques*. Paris: Fayard.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
- Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. University of Pennsylvania Press.
- Montague, R. (1970). *Universal Grammar*. In *Theoria*, 36(3).

كلية الأدب العربي و الفنون

المبحث 07: تحليل الشريحة السابعة: "تعريف أندري مارتيني – من اللغة إلى اللسان كأداة تواصل وظيفي"

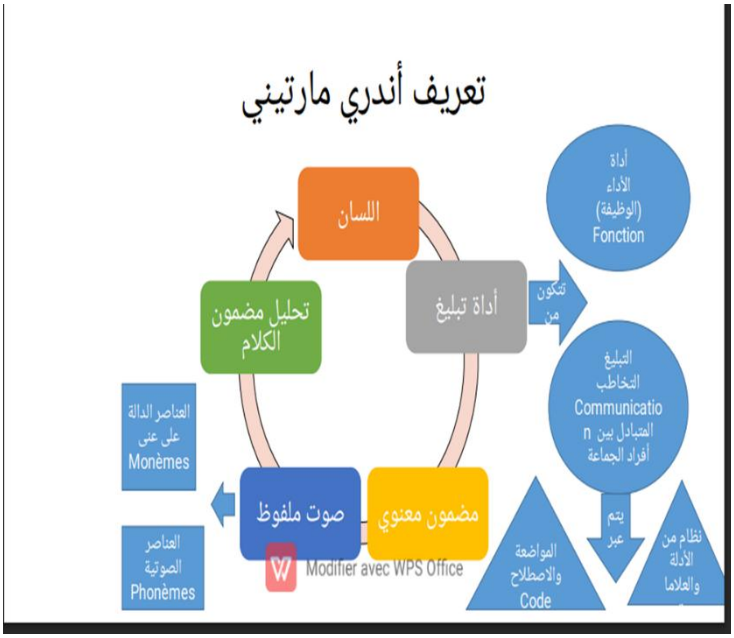

أولًا: المنظور الوظيفي للّسان – اللغة كأداة تبليغ

اللغة بوصفها أداة اجتماعية لا بنية مغلقة

ينتمي تعريف أندري مارتيني (André Martinet) للّسان إلى ما يُعرف في حقل اللسانيات المعاصرة بـ"التيار الوظيفي الأوروبي"، الذي يرى أن اللغة لا تُدرَس بوصفها نظامًا شكليًا مكتفيًا بذاته، بل باعتبارها أداة تواصل اجتماعي، أي باعتبارها "Fonction sociale". وقد عبّر مارتيني عن هذا التوجّه بوضوح في عبارته التأسيسية:

"La fonction essentielle du langage est la communication"
(Martinet, 1960, p. 12)

هذا المنظور يحوّل "اللسان" من كونه بنية شكلية (كما في المدرسة التوليدية) إلى كونه أداة عملية تُستخدم لأداء الوظائف المعرفية والاجتماعية للخطاب. وعليه، فإن اللغة ليست فقط نظامًا من الرموز، بل نظامًا وظيفيًا تواصليًا يسهم في نقل المعنى وضبط الفعل الكلامي داخل الجماعة.

من هنا، فإن مارتيني لا يفصل اللغة عن البُعد الجماعي الذي يحتضنها، بل يرى أنها تُولد وتُؤسس وتُستخدم ضمن نسق تواصلي–اجتماعي يتجاوز الأفراد. هذا ما يسمّيه بـ"الاتصال بين الأفراد (communication " interindividuelle)، أي أن اللغة تصبح وسيلة لإنتاج التفاهم الجماعي، وتجاوز الفروقات الإدراكية والثقافية بين المتكلمين.

2.تحليل الدورة التبليغية: من النسق إلى الصوت إلى المعنى

تُبرز الشريحة هيكلة دائرية تحاكي "دورة التواصل اللغوي" التي اقترحها مارتيني، وتنطلق من اللسان بوصفه مخزونًا اجتماعيا(Code) ، إلى استعماله كأداة تبليغ فعلي ,(Fonction) ثم توليد "مضمون معنوي " (Contenu Sémantique)يُترجَم صوتيًا(Phonation) ، قبل أن يُعاد تفكيكه وتحليله ضمن ما يُسمى "تحليل مضمون الكلام.(Analyse du Discours) "

يمثّل هذا النموذج ما أطلق عليه مارتيني مصطلح **"التحليل الثنائي**(Double articulation) "، أي أن اللغة تتوزع على مستويين وظيفيين:

- **المستوى الأول** :هو المستوى الصوتي (Phonèmes) الذي تُبنى فيه الكلمات من وحدات نطقية غير دالة بذاتها؛
- **المستوى الثاني** :هو المستوى الدلالي–التركيبي (Monèmes) الذي تُشكَّل فيه الرسائل من وحدات دالة قادرة على توليد المعنى.

وقد لخّص مارتيني هذه الرؤية بقوله:

"Le double articulation du langage permet d'exprimer une infinité de messages avec un nombre limité d’unités"
(Martinet, 1960, p. 39)

هذه المقاربة تُمكّن من تفسير القدرة التوليدية للغة رغم محدودية أدواتها، وتُعيد تشكيل النظام اللغوي في ضوء وظيفته التبليغية والتداولية، لا في ضوء بنائه الصوري فقط.

3.الفونيمات والمونيمات: من الأصوات إلى المعاني

يقف التحليل اللساني عند مارتيني على التمييز بين وحدتين أساسيتين:

- **الفونيمات** :(**Phonèmes**) وهي أصغر وحدة صوتية لا تحمل دلالة، لكن وظيفتها تمييزية. مثل الفرق بين [ب] و[م] في كلمتي "بيت" و"ميت"، حيث لا يتغير إلا فونيم واحد لكن المعنى ينقلب رأسًا على عقب.
- **المونيمات** :(**Monèmes**) وهي أصغر وحدة دالة في اللغة، وقد تتكون من جذر، أو لاحقة، أو بادئة. مثال: كلمة "مدرّسون" تحتوي على ثلاث مونيمات: الجذر (درس)، والمزيد (مدرّ)، وجمع المذكر السالم (ون)، وكل واحد منها يُضيف طبقة دلالية جديدة للكل.

في هذا السياق، فإن التحليل اللساني الوظيفي لا يكتفي بتوصيف البنية السطحية للكلمات، بل يسعى إلى فهم **وظائفها التراكمية داخل الخطاب**، ما يجعل المقاربة أقرب إلى تحليل الأنظمة (system analysis) منها إلى توصيف الجمل.(sentence grammar)

4.اللغة كنظام وظيفي مفتوح – مقارنة مع التداولية

في الجانب الأيمن من الشريحة، نُلاحظ تمثيلًا دقيقًا لعلاقة اللسان بمفاهيم:

- **الوظيفة** (Fonction)
- **الرمز والنسق** (Code)
- **التداول والخطاب** (Discours)

وهذا يتقاطع مع رؤية **Roman Jakobson**الذي شدد على أن الوظيفة المرجعية للغة (Referential Function)ليست الوحيدة، بل هناك وظائف انفعالية، تأديبية، تواصلية إلخ . (Jakobson, 1960).

كما يتقاطع تحليل مارتيني مع أطروحات **Dell Hymes**حول الكفاءة التواصلية (Communicative Competence)، والتي لا تُقاس فقط بالقدرة على إنتاج جمل سليمة نحويًا، بل بالقدرة على استخدام اللغة استعمالًا مناسبًا للسياق .(Hymes, 1974) وقد كان هذا التحول امتدادًا مباشرًا لمشروع مارتيني في تحويل التحليل اللساني من بنية مغلقة إلى فعل تواصلي وسياقي.

5.نحو لسانيات تداولية وظيفية: من Martinet إلىMalinowski

لا يمكن فهم إسهام مارتيني خارج تقاطعاته مع أعمال الأنثروبولوجي **Bronislaw Malinowski**، الذي اعتبر أن اللغة لا تؤدي فقط دور التسمية، بل هي **فعل اجتماعي** يُنجز ضمن بيئة ثقافية، وينطوي على **أبعاد رمزية ووظيفية** .(Malinowski, 1923)

فإذا كانت المدرسة التوليدية تدرس "ما يمكن قوله"، فإن المدرسة الوظيفية–التداولية (بقيادة مارتيني) تدرس "ما يُقال فعلًا، ولماذا يُقال، ولمن يُقال، وكيف يُقال."

الخاتمة التحليلية:

ينتمي تعريف مارتيني للّسان إلى منعطف إبستيمولوجي في اللسانيات الحديثة، يتمثل في الانتقال من النموذج البنيوي الصوري إلى النموذج الوظيفي التداولي. اللغة ليست فقط بناءً شكليًا، بل نظامًا من الوظائف الاجتماعية المنغرسة في الواقع الإنساني. من هنا فإن مارتيني:

- أعاد تعريف اللسان كأداة اجتماعية لا كمجرد نسق؛
- بنى التحليل على وحدة مزدوجة (فونيم/مونيم) تتوزع بين الصوت والمعنى؛
- أدخل مفهوم الوظيفة باعتباره عنصرًا جوهريًا في بنية اللغة؛
- أسّس لمنهج تحليلي يسمح بنقل اللغة من فضاء البنية إلى فضاء التداول.

الاستشهادات العلمية داخل النص:(APA)

- Martinet, A. (1960). *Éléments de linguistique générale*. Paris: Armand Colin.
- Jakobson, R. (1960). Closing Statement: Linguistics and Poetics. In *Style in Language*. MIT Press.
- Hymes, D. (1974). *Foundations in Sociolinguistics: An Ethnographic Approach*. University of Pennsylvania Press.
- Malinowski, B. (1923). The Problem of Meaning in Primitive Languages. In *The Meaning of Meaning*, Ogden & Richards.

المبحث 08: تحليل أكاديمي موسّع للشريحة الثامنة:

"العلامات، المواضعة، والاصطلاح: من النظام الرمزي إلى النظام الاجتماعي"

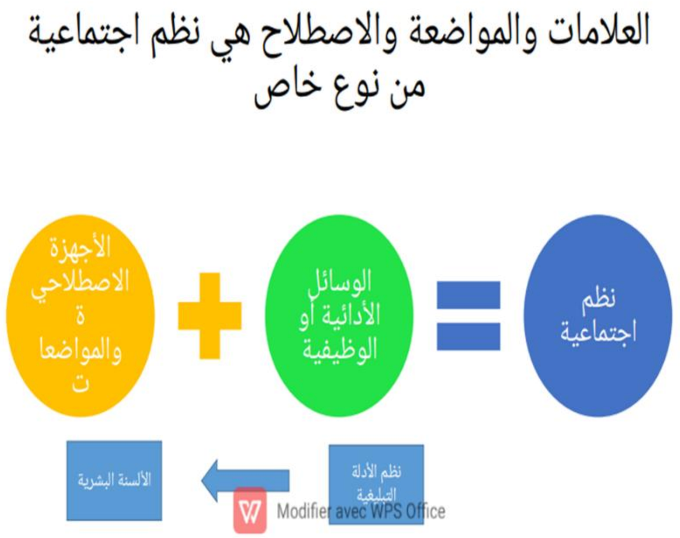

أولًا: الجهاز الاصطلاحي كنسق مواضعة اجتماعية

تؤكد الشريحة أن ما يسمى بـ"الجهاز الاصطلاحي (l'appareil terminologique) "ليس بنية لغوية محايدة، بل نسقٌ تداولي–اجتماعي يتشكّل داخل البنية الثقافية للجماعة. أي أن المصطلح ليس مجرّد تسمية اعتباطية، بل هو ثمرة توافق اجتماعي، وثقافي، وسياسي.

هذه الفكرة تعود جذورها إلى الأسس التي وضعها **فرديناند دي سوسير**، حين قرّر أن العلاقة بين الدال (le signifiant) والمدلول (le signifié) هي علاقة اعتباطية، لكنها تكتسب شرعيتها من **الاستعمال الجمعي والمواضعة الاجتماعية** .يقول:

"La langue est un système de signes exprimant des idées, et comparable à l'écriture, à l'alphabet, aux rites symboliques…" (Saussure, 1916, p. 32)

أي أن اللغة ليست انعكاسًا طبيعيا للواقع، بل نظامًا من العلامات التي تُستَعمل وفق تقاليد متوافق عليها داخل الجماعة الناطقة. ولهذا فإن المصطلحات التقنية، أو الأدبية، أو الفلسفية، لا تنشأ من المعنى بل من **الاتفاق الاجتماعي على تمثيل معنى معين داخل سياق معرفي معيّن.**

في هذا الإطار، فإن اختيار مصطلح مثل "فايروس" أو "فيروس"، أو "حوسبة" بدل "كمبيوتريّة"، ليس مسألة لسانية خالصة، بل قرار اجتماعي يتقاطع مع السلطة المعرفية، والهيمنة الثقافية، والتشريع اللغوي.

ثانيًا: الوسائل الأدائية – من الجسد إلى البنية التواصلية

تشير الشريحة إلى أن اللسان لا يتحقق فقط عبر الجهاز الاصطلاحي، بل أيضًا من خلال **الوسائل الأدائية أو الوظيفية** .(moyens fonctionnels ou performatifs)وهذه تشمل الصوت، الحركة، الإشارة، الوقفة، النبرة، وحتى الصمت، بوصفها **أدوات دالة** تستخدم لإنجاز الفعل اللغوي في سياق معيّن.

في هذا المستوى، يظهر تأثير **رومان ياكبسون**، الذي قسّم وظائف اللغة إلى ستة، من أبرزها:

- الوظيفة التعبيرية(émotive) ؛
- الوظيفة الإشارية(référentielle) ؛
- الوظيفة التوجيهية(conative) ؛
- الوظيفة الفاتحية(phatique) ، وهي التي يُفعّل من خلالها التواصل ذاته.

"**Toute communication verbale suppose six facteurs fondamentaux… chacun détermine une fonction de langage**" (**Jakobson, 1960, p. 350**)

الوسائل الأدائية إذًا، ليست زائدة عن البنية، بل هي ما يجعل البنية قابلة للتجسد والتأثير. وهذا ما يُبرزه **تشومسكي** حين يفرّق بين **الكفاية** (competence)كمعرفة ضمنية بالقواعد، **والأداء** (performance)كتحقّق فعلي مشروط بالسياق، الزمن، والبيئة التفاعلية.(Chomsky, 1965)

ثالثًا: من العلامة إلى الشرعية – اللغة كنظام اجتماعي منتج للسلطة

الجمع بين "الجهاز الاصطلاحي" و"الوسائل الأدائية" لا يُنتج مجرد نسق لغوي، بل يُنتج ما يمكن تسميته ب**النظام الاجتماعي للغة** .وهنا تنتقل اللغة من كونها "نظامًا رمزيًا" إلى كونها **جهازًا رمزيًا له سلطة.**

وقد طوّر هذه الفكرة **بيير بورديو** ضمن مفهوم "الرأسمال الرمزي(capital symbolique) "، معتبرا أن:

"La langue est aussi un instrument de pouvoir, de distinction, de légitimation" (Bourdieu, 1982, p. 45)

أي أن من يملك سلطة تحديد الجهاز الاصطلاحي، يملك سلطة إنتاج الشرعية الرمزية. مثلًا، الهيئات الأكاديمية أو المجامع اللغوية لا تنتج اللغة، بل تنتج **الاعتراف بشرعية شكل من اللغة على حساب شكل آخر** .وبالتالي، يصبح المعنى نفسه نتاجًا لصراع اجتماعي، لا مجرد ناتج عن تقابل دال–مدلول.

رابعًا: النظام الطبيعي في مواجهة النظام المصطنع

تُبرز الشريحة، أخيرًا، تمايزًا جوهريًا بين **الألسنة البشرية الطبيعية** و**الأنظمة المصطنعة** (systèmes artificiels). فاللغة البشرية لا تُحدَّد منطقيا فقط، بل هي نظام حي متحوّل، مرتبط بالثقافة، الإدراك، والممارسة الاجتماعية.

في المقابل، فإن لغات البرمجة، أو الأنظمة المنطقية الصورية (كالرموز الرياضية)، تمثّل أنظمة مصطنعة **مغلقة** تقوم على قواعد ثابتة لا تحتمل اللبس أو التأويل. وهو ما يُقصي، وفقًا **لأندري مارتيني**، البعد الوظيفي والتداولي للغة الطبيعية. يقول:

"La linguistique doit s'intéresser moins aux formes parfaites qu'aux formes utiles" (Martinet, 1960, p. 67)

أي أن العلم اللساني الحقيقي لا ينبغي أن ينشغل بـ"النموذج الكامل" بل بـ"النموذج القابل للاستعمال في الفعل والتواصل."

وهنا نصل إلى قلب الجدال بين اللسانيات الصورية (التي تبحث عن الكمال البنيوي)، واللسانيات الوظيفية (التي تبحث عن النفع التداولي). فاللغة، كما تشير الشريحة، ليست نظامًا مفارقًا عن الواقع، بل **نظام منخرط في الحياة الاجتماعية ومُشكِّل لها.**

خلاصة تحليلية تركيبية:

تضع هذه الشريحة حجر الأساس لإعادة فهم اللسان، لا بوصفه نسقًا مغلقًا، بل كبنية اجتماعية تداولية مركبة، يتقاطع فيها الجهاز الاصطلاحي مع الأداء السياقي لتشكيل نظام معرفي–تواصلي ذي شرعية.

- الجهاز الاصطلاحي ≠ بنية لغوية خالصة، بل توافق جمعي مُحمّل بالسلطة؛
- الوسائل الأدائية = الوسيط الديناميكي الذي يُفعّل البنية داخل السياق؛

- اللغة = جهاز تواصلي—اجتماعي—وظيفي يتجاوز الكود نحو التفاعل، السلطة، والتأويل؛
- الفرق بين اللغة الطبيعية والمصطنعة = ليس فقط في البنية، بل في **الوظيفة، السياق، والشرعية التداولية**.

الاستشهادات العلمية داخل النص

- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- Martinet, A. (1960). *Éléments de linguistique générale*. Paris: Armand Colin.
- Jakobson, R. (1960). *Linguistics and Poetics*. In *Style in Language*, MIT Press.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Bourdieu, P. (1982). *Ce que parler veut dire*. Paris: Fayard.

المبحث 09: **تحليل الشريحة التاسعة:**

"المجال المفهومي الدلالي للفظ اللسان – وفق منظور الحاج صالح"

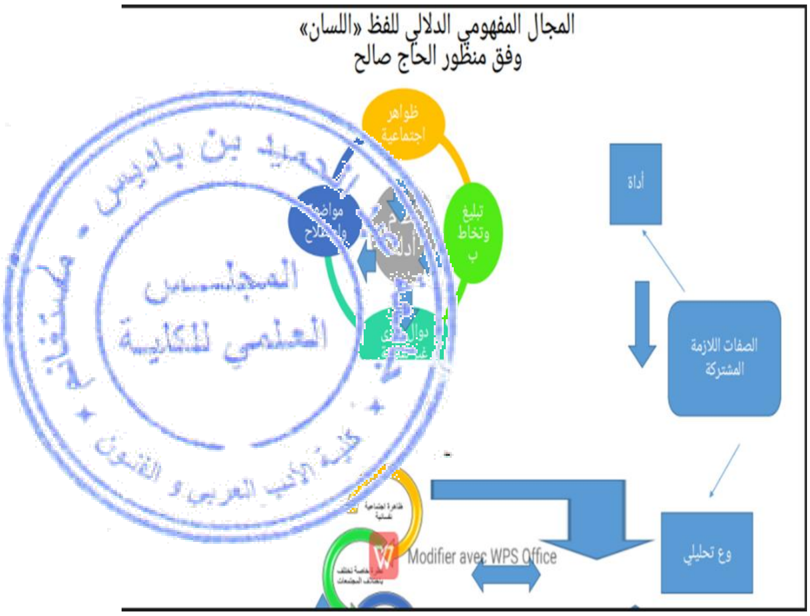

أولًا: تأصيل المفهوم ضمن البنية الثلاثية: الأداء، التخاطب، والمواضعة

تعرض الشريحة تمثيلًا بنيويًا–وظيفيًا لمفهوم "اللسان" كما بلوره المفكر اللساني **عبد الرحمن الحاج صالح**، ويقوم هذا التمثيل على **حقل مفهومي دلالي مركب** من ثلاث دوائر متداخلة:

1. **اللسان كأداة تبليغ وتخاطب:**

يتموقع "اللسان" في قلب الفعل التواصلي (acte de communication) لا باعتباره مجرد وسيلة تقنية لنقل المعلومات، بل باعتباره نظامًا حيويًا منتجًا للمعنى يتفاعل مع الشروط الاجتماعية والذهنية المحيطة بالخطاب.

يؤكّد الحاج صالح أن **اللسان أداة طبيعية–وظيفية** تُمكّن الذوات من تبادل المعنى في الزمن والمكان. وهو لا يقصر اللغة على النحو ولا على الصوت، بل يدمج الاثنين في إطار نسقي–توليدي شامل يعبّر عن القدرة (الكفاءة) ويُنجز الأداء في سياقات مختلفة (الحاج صالح، 2006).

2. **اللسان كمواضعة واصطلاح**: يظهر في الشريحة اللون الأزرق الذي يحيل إلى حقل "المواضعة والاصطلاح"، أي أن اللسان لا يُبنى فقط على التلقائية العضوية (الصوت) أو التلقائية المعرفية (التعبير)، بل أيضًا على **عقود اجتماعية ضمنية تُؤسس لشرعية العلامات**.

يُعيد هذا العنصر إلى الأذهان مقولة دي سوسير:

"**Le signe linguistique est arbitraire, mais il est fixé par la tradition sociale.**"
(**Saussure, 1916, p. 101**)

أي أن العلاقة بين الدال والمدلول وإن كانت اعتباطية، إلا أنها تستقر عبر المواضعة والاعتياد الجمعي، وهو ما يجعل **الجهاز الاصطلاحي اللساني مجالًا للتمايز الثقافي والمعرفي**.

3. **اللسان كدالّ رمزي على ظواهر اجتماعية:**

يمثل مفهوم "اللسان" — في تمظهره الاجتماعي–الثقافي — أكثر من كونه جهازًا داخليًا للتعبير أو التمثيل الرمزي، بل هو بنية مركبة تُنتج وتُعيد إنتاج التصورات الجماعية ضمن شروط تاريخية–اجتماعية معيّنة. وتذهب اللسانيات الاجتماعية (notamment chez Durkheim et Bourdieu) إلى أن اللغة ليست مجرد وعاء محايد للمعنى، بل هي **ظاهرة اجتماعية** مكتملة (fait social) تحكمها المواضعة، والعرف، والسلطة الرمزية.

وقد أشار **فرديناند دي سوسير** إلى هذه الطبيعة التوافقية–الاجتماعية للعلاقة بين "الدال" و"المدلول" عندما اعتبر أن اللغة هي : "نسق من العلامات، تعبّر عن أفكار، وهي نتاج اجتماعي للقدرة اللغوية عند الأفراد" *(Saussure, 1916, p. 32).*

أما **بيير بورديو** فقد ربط بين اللغة والهيمنة الرمزية، حيث تصبح اللغة أداة تفاوت اجتماعي، وقال:

"اللغة هي أداة تمثيل، ولكنها أيضًا أداة فرض تمثيلات، تُحدّد موقع المتكلم داخل علاقات السلطة".
(Bourdieu, 1982, p. 45).

وفي هذا الأفق، يلتقي تصور **عبد الرحمن الحاج صالح** حول اللسان العربي بوصفه **جهازًا لسانيًا وظيفيًا** يحمل آثار البيئة الحضارية التي أنتجته، مع تصور **مالك بن نبي** الذي — وإن لم يشتغل ضمن مجال اللسانيات رسميًا — قدّم رؤية نظرية عميقة حول اللغة بوصفها **بنية تكوّن الفكر والثقافة معًا**.

ففي كتابه "**شروط النهضة**"، يذهب مالك بن نبي إلى القول:

"إن اللغة هي الوسيط الذي تتشكل فيه الأفكار، وهي المفتاح الأول الذي يفتح أمام المجتمع أبواب الحضارة" .
(مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، ط4، 1986، ص. 41)

وهذه المقولة لا ترى اللغة أداة نقل أو تواصل فحسب، بل تعدّها **شرطًا إبستيمولوجيًا لتكوين الفكرة ذاتها، مما** يجعل اللغة تمثّل – في العمق" – **نموذجًا للتفكير (modèle de pensée)** "أكثر من كونها مجرد حامل للمعاني.

ومن هنا، تتجلى اللغة أو اللسان كمنظومة دالة على:

1. **تصنيف العالم وفق ثقافة الجماعة؛**
2. **تثبيت القيم والمفاهيم والمفاضلات؛**
3. **تحديد أفق التصور والنظر والتحليل.**

وهو ما يُفسّر لماذا تختلف "أنماط التفكير" من جماعة لغوية إلى أخرى، ليس فقط في بنيات الخطاب، بل حتى في الرؤية الكونية والوجودية.

وهنا يتقاطع تصور الحاج صالح مع أطروحات **بورديو** حول اللغة كأداة للسلطة الرمزية (Bourdieu, 1982)، ومع تصورات **مالك بن نبي** حول "قابلية اللغة للتشكيل الثقافي"، لأن اللسان لا ينقل فقط المعنى، بل ينقل **طريقة التفكير** .(modèle de pensée)

ثانيًا: البنية التحليلية للّسان وفق الحاج صالح – من البعد البيولوجي إلى البعد الإجرائي

المجال الرمادي في مركز الشريحة يمثل "**اللسان بوصفه أداة**"، أي أنه يجمع بين:

- **الطاقة الفطرية البيولوجية(organisme phonatoire)** ؛
- **النظام الرمزي المعجمي–التركيبي(système lexico-syntaxique)** ؛
- **والوظيفة التبليغية التداولية.(fonction communicationnelle)**

هذا الربط المنهجي بين العناصر الثلاثة يبرز أن الحاج صالح لا يُعرّف اللسان فقط بصفته أداة للبيان، بل بوصفه **مركبًا إدراكيًا–اجتماعيًا–أدائيًا**، يتكوّن من:

- **آلية نطق** (Physiologie)
-
  - **بنية تركيبية** (Structure)
-
  - **سياق تواصلي** (Situation)

يقول الحاج صالح:(1993)

"اللسان ليس مجرد ألفاظ، ولا هو صرف ونحو، بل هو نسق توليدي جامع يحاكي ملكة الإنسان في التعبير، ويحاكي حاجته في التبليغ داخل المجتمع".

ثالثًا: إعادة تعريف دلالة "اللسان" – خارج النموذج الغربي

تبرز الشريحة أن مشروع الحاج صالح في اللسانيات هو **تحرير المفهوم من التبعية للنموذج الغربي البنيوي أو التوليدي** .فاللسان، حسبه، لا يُفهم فقط بالعودة إلى التشخيص الغربي (سوسير، تشومسكي)، بل ينبغي أن **يُفهم من منطلق التراث اللغوي العربي ذاته.**

وفي هذا السياق، يستدعي الحاج صالح:

- مفاهيم الخليل الفراهيدي عن النظام؛
- وتحليلات ابن جني حول الخصائص والمواضعة؛
- ويقترح في المقابل مفهوم "اللسان العلمي" بدل "اللغة الطبيعية."

المجلس العلمي للكلية

هذا التوجه يؤسس لما يمكن تسميته **باللسانيات التجديدية الإسلامية**، التي تُعيد الاعتبار إلى المفاهيم العربية الأصيلة دون الوقوع في التقليد أو الإسقاط.

الخلاصة التحليلية التركيبية

الشريحة التاسعة تقدم لنا تصورًا مركّبًا وعميقًا لمفهوم اللسان عند الحاج صالح، يُمكن تلخيص أبعاده في النقاط التالية:

1. اللسان ليس أداة فقط، بل هو نسق رمزي–اجتماعي–وظيفي؛
2. يتشكّل من تداخل الأداء، التخاطب، المواضعة، والبيئة الاجتماعية؛
3. يتميّز عن المفهوم الغربي للغة بدمجه بين الجسد، العقل، والمجتمع؛
4. يُعيد تأسيس العلاقة بين العلم اللساني والهوية المعرفية للأمة؛
5. يمثّل خطوة أولى نحو بناء لسانيات عربية–إسلامية متحرّرة من التبعية النظرية.

المراجع العلمية داخل النصوص) نظام:(APA

- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- Bourdieu, P. (1982). *Ce que parler veut dire*. Paris: Fayard.
- Ben Nabi, M. (1986). Shurūt al-Nahda [شروط النهضة]. Damascus: Dār al-Fikr.
- Al-Hajj Saleh, A. R. (n.d.). Articles and Writings on Arabic Linguistics. [مقالات ودراسات في اللسانيات].
- Martinet, A. (1960). Éléments de linguistique générale. Paris: Armand Colin.

المحاضرة السادسة :الأنماط المعرفية للعلم اللساني ما قبل دي سوسير

(Les paradigmes épistémologiques des sciences du langage)

المبحث الأول: الأنماط المعرفية (Paradigmes cognitifs) في علم اللسان:

أولًا: التمهيد النظري – ما هو النمط المعرفي؟

في الفلسفة المعاصرة لعلوم الإنسان، لا يُنظر إلى المعرفة بوصفها مجرد **تراكم لمعلومات أو نتائج تجريبية**، بل بوصفها مُشكَّلة داخل "**نمط معرفي** "أو ما يُعرف بـ*Paradigme cognitif*، وهو الإطار المفاهيمي الذي يوجّه:

- **كيف نُحدّد موضوع العلم؟**
- **ما هي أدوات البحث؟**
- **ما هي طبيعة التفسير؟**
- **ما هي الحدود الإبستيمولوجية؟**

وقد اشتُهر هذا المفهوم مع **توماس كون** (**Thomas Kuhn**) في كتابه الكلاسيكي *The Structure of Scientific Revolutions* (1962)، حيث عرّف "النمط المعرفي" بأنه:

"شبكة التصورات التي تجعل من المعرفة العلمية ممكنة، وتحدد طبيعة الأسئلة الممكن طرحها ضمن العلم الواحد " (Kuhn, 1962, p. 24).

وبتطبيق هذا المفهوم على **اللسانيات**، يمكن القول: إن تطور علم اللسان لم يكن مجرد تطور في النظريات، بل **تحول في الأنماط المعرفية** التي يُبنى بها معنى "اللغة."

ثانيًا: من النمط الوضعي إلى النمط البنيوي – بداية التأسيس العلمي

1.النمط الوضعي(Paradigme positiviste)

يتأسس على مبادئ الوضعية المنطقية(Logical Positivism) ، كما عند **أوغست كونت** و**مجموعة فيينا**، ويرى أن:

- اللغة ظاهرة قابلة للرصد والتكميم؛
- التحليل اللغوي يجب أن يُعامل مثل الظواهر الفيزيائية؛
- لا اعتبار للسياق أو النية، فقط **العلامات الخارجية**.(**external signs**)

نموذج تطبيقي :اللسانيات البنيوية المبكرة (Bloomfield, 1933) التي ركّزت على **الوصف الصوري للأداء اللغوي** دون اعتبار للذهن أو السياق.

2.النمط البنيوي(Paradigme structuraliste)

ظهر مع **فرديناند دي سوسير** في محاضراته التأسيسية(Saussure, 1916) ، وارتكز على:

- الفصل بين "اللغة (langue) "و"الكلام(parole) "؛
- التركيز على "النسق" وليس "الحدث"؛
- إهمال البعد الاجتماعي–التواصلي لصالح **البنية الداخلية**.

هذا النمط أعاد تعريف اللغة بوصفها نظامًا سيميائيًا مستقلاً:

"اللغة نسق من الاختلافات دون قيم جوهرية.(Saussure, 1916, p. 166) "

وقد هيمنت هذه الرؤية على اللسانيات الأوروبية والأمريكية إلى حدود منتصف القرن العشرين.

ثالثًا: من النمط البنيوي إلى النمط الذهني – الثورة التوليدية

3.النمط التوليدي–الذهني(Paradigme génératif–mentaliste)

يبدأ هذا النمط مع أعمال **تشومسكي**، وخاصة كتاب *Aspects of the Theory of Syntax* (1965)، حيث أعاد تعريف اللغة بوصفها:

- **ملكة ذهنية(faculty of mind)** ، وليست نظامًا اجتماعيًا؛
- التركيز على "الكفاية اللغوية(competence) "، بدل الأداء؛
- تحليل القواعد العميقة (deep structure) القادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل.

وهنا انتقل علم اللسان من النمط الوصفي البنيوي إلى نمط **تفسيري استنباطي–صوري**، يقوم على **القياس العقلي والاستنباط الرياضي**.

"The goal of linguistic theory is to describe the mental reality underlying the use of language" (**Chomsky, 1965, p. 4**).

رابعًا: من الذهنية إلى التداول – النمط التداولي–الاجتماعي

4.النمط التداولي–الوظيفي(Paradigme pragmatique–fonctionnel)

ظهر كرد فعل على محدودية النمط التوليدي الذي **همّش السياق، والتواصل، والمتكلم**. في هذا النمط:

- اللغة تُدرَس بوصفها **فعلًا اجتماعياًcontextualisé**؛
- تُركز اللسانيات على النية، السياق، الفعل الكلامي، الخطاب.
- تظهر مقاربات مثل: تحليل الخطاب(Discourse Analysis) ، أفعال الكلام (Speech Acts)، التداولية.

نماذج بارزة:

- Dell Hymes: اللغة بوصفها أداءً ثقافيًا؛
- Austin & Searle: أفعال الكلام؛
- Martinet: اللغة كنظام وظيفي. double articulation.

"La langue n'est pas seulement un système, c'est un acte de communication" (Martinet, 1960, p. 33).

خامسًا: النمط التأويلي–الحفري(Paradigme herméneutique–archéologique)

يمثل هذا النمط التحول الأخير في علم اللغة نحو **التأويل النصي، والتحليل الأركيولوجي للخطاب**، كما في:

- Michel Foucault (1969): تحليل الخطاب كسلطة ومعرفة؛
- Paul Ricoeur: اللغة بوصفها تأويلاً مستمرًا؛

- اللسانيات النقدية: كشف الإيديولوجيا، السلطة، الهيمنة داخل اللغة.

هنا لم تعد اللغة موضوعًا للوصف أو التوليد، بل أصبحت **نصًّا مفتوحًا يُحلّل في علاقته بالبنى المعرفية والإيديولوجية.**

"**Le discours est un pouvoir**, **il est une pratique sociale**" (**Foucault**, **1969**).

خلاصة تحليلية للمبحث:

1. علم اللسان لم يعرف مسارًا خطيًا، بل **تحولًا متراكبًا في الأنماط المعرفية؛**
2. كل نمط معرفي أعاد تعريف "موضوع اللغة" بصورة مختلفة: كأداء، كنظام، كذهن، كفعل، كخطاب؛
3. لا وجود لنموذج "نهائي"، بل نعيش اليوم داخل **تعدد إبستيمولوجي** hybridité épistémologique؛
4. على الطالب أن يكون واعيًا بـ"أطر المعرفة" التي تشكل كل مقاربة تحليلية.

المراجع داخل النصوص) نُظمت بصيغة:(APA

- Bloomfield, L. (1933). *Language*. New York: Holt.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Foucault, M. (1969). *L'Archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
- Hymes, D. (1974). *Foundations in Sociolinguistics: An Ethnographic Approach*. University of Pennsylvania Press.
- Kuhn, T. (1962). *The Structure of Scientific Revolutions*. University of Chicago Press.
- Martinet, A. (1960). *Éléments de linguistique générale*. Paris: Armand Colin.
- Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.

المبحث الثاني: الحدس النحوي وكيفيات الدلالة عند النمطين – من الميثولوجيا إلى النمطية المعرفية

.1مقدمة: من الأسطورة إلى النمط المعرفي

تُفتتح هذه المقاربة بتحليل جذري لطبيعة المعرفة الأولى، حيث تُصوَّر ككلٍّ أسطوري غير قابل للتجزئة. فالإنسان، وفق هذه الرؤية الكونية، لا يُفهم إلا في تواشجٍ دائم مع الطبيعة والعناصر المحيطة به، واللغة . بوصفها تجليًا رمزيًا لهذه الوحدة . تُمثّل أداة تواصل عضوية لا يدخلها الانفصال أو التقسيم. وفي هذا السياق، يكون الكلام فعلًا كونيًا، منسجمًا مع نظام الطبيعة، بل يُعد خروجه عن هذا النظام "غضبًا من الآلهة" بحسب النظرة الإغريقية الأسطورية التي تفسر الكون من خلال صراع مستمر بين الإنسان والآلهة، كما توحي به أسطورة سيزيف والصخرة (*).

هذا التأليه للكلام، في بعض المراحل القديمة، لم يكن رمزيًا فحسب، بل أدّى وظيفيًا إلى صياغة الكلام أولًا في **هيئة الشعر دون النثر**، لاعتقاد راسخ بأن النثر تبديد وتحليل، والتحليل يُعد انتهاكًا لقدسية الكلمة، بينما الشعر، بوصفه متناغمًا تلقائيًا، يعبّر عن انسجام الكون ذاته.(**)

هذه التصورات المبكرة تؤسس لما يمكن تسميته **النمط الحدسي–الكوني في المعرفة اللغوية**، حيث تُرى اللغة كامتداد للانسجام الكوني، لا كنسق اصطلاحي خاضع للتجريب العقلي.

.2أفلاطون وتأسيس الكلمة كمعرفة

في هذا المسار، يشكل أفلاطون منعطفًا حاسمًا؛ ففي *الكراتيل* و*الرسالة السابعة*، تُمنح الكلمة مكانة مركزية في بناء المعرفة الجدلية. ليست الكلمة مجرد اسم اعتباطي، بل هي تمثيل للمثال العقلي، أي أن هناك طبقات للمعنى : **الفكرة – الاسم – المثال**، تعكس مستويات الإمساك بالحقيقة. يقول أفلاطون في

Cratyle:
"Le mot n'est pas un simple signe, mais une imitation de l'essence de la chose nommée."

أي أن الكلمة تمثّل في جوهرها صورة ذهنية للموجود، وليست مجرد علامة خارجية.

ويُعدّ أفلاطون أول من **كشف عن إمكانيات علم القواعد** بحسب رواية ديوجان لارس (Diogène Laërce)، مما يبرر القول إن النحو بدأ كنظرية في **التمثيل العقلي**، لا كقواعد تركيبية.

.3أرسطو والرواقيون: من المنطق إلى الأصوات والمعاني

مع أرسطو، تتحول هذه الرؤية الحدسية إلى نظرية في المقولات، حيث تُربط اللغة بمقولات الكينونة، وتُصبح الجملة صورة منطقية للفكر. لكن الرواقيين، خاصة في أعمال *دينيس داتراس* (Denys de Thrace)، أعادوا اللغة إلى جذورها الطبيعية، وفضّلوا **الاشتقاق** على **القياس،** لأن الاشتقاق قائم على التجربة (empeirià) بينما القياس، وإن كان منطقيًا، يظل معيارًا نظريًا غير دائم الصلاحية.

وقد أشار Denys de Thrace إلى أن:

"L'expérience dans la langue, c'est la dérivation, non la mesure formelle."

وهذا ما جعل الصرف عنده علمًا اختباريا أكثر من كونه معيارًا صوريًا، وهو ما يعلّق عليه صالح الكشو بالقول إن "التأثير الأرسطي كان الأقوى، لكنه لم يكن دائمًا الأجدى"، لأنه حين يُفصل اللغة عن طبيعتها، يفقدها وظيفتها الحية.

الرواقيون رأوا كذلك أن **الشذوذ اللغوي** ليس عيبًا بل أثر طبيعي لكون اللغة ملكة إنسانية حيّة، وهو ما يُبرر أن **الحدس مقدم على القياس** في الممارسة اللغوية.

.4من Port-Royal إلى :Chomsky استمرار التقليد الحدسي

يمتد هذا الإرث حتى نحو *Port-Royal* حيث يُعامل النحو كإسقاط مباشر للفكر، ومرآة للبنية العقلية المجردة. في هذا النحو، يُفهم الكلام بوصفه **تمثيلًا عقليًا مسبقًا** لا تركيبًا آليًا.

هذا التقليد سيُعاد بعثه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مع **Wilhelm von Humboldt**، الذي رأى في اللغة *energeia* أي طاقة عقلية خلاّقة، لا مجرد) ergon نتاج ثابت.(

وفي العصر الحديث، أعاد **Noam Chomsky** صياغة هذه الفكرة في مفهوم *competence/performance*، أي أن **الكفاءة اللغوية** فطرية وعقلية، تُنتج بنى لا نهائية، بغض النظر عن الأداء الظاهري. وقد أشار إلى ذلك بقوله:

"A grammar is a device that specifies the infinite set of well-formed sentences of a language."
(Chomsky, 1965, p. 4)

إذن، يمتد **النمط الحدسي–العقلي** من أفلاطون إلى تشومسكي، باعتباره تصورًا يرى اللغة كمنظومة عقلية قبل أن تكون نظامًا تداوليًا أو اجتماعيًا.

.5النمطيون :(**Modistes**) فلسفة أنماط الدلالة

في العصور الوسطى، وُلد اتجاه فلسفي نحوي أطلق عليه *modisme,* نسبة إلى النحاة الذين درسوا **أنماط الدلالة**. وقد ميزوا بين:

- modi essendi: نمط وجود الأشياء؛
- modi intelligendi: نمط إدراكها؛
- modi significandi: نمط التعبير عنها.

هذه النظرية تستبق فلسفة اللغة الحديثة، وتضع اللغة في قلب العمليات العقلية، لا بوصفها بناءً سطحيًا بل **فعلاً إدراكيًا معرفيًا**.

وبذلك، يُعتبر النمطيون أول من وضع نظرية لسانية فلسفية متكاملة حول العلاقة بين اللغة والفكر والكينونة، وهو ما يجعلهم روادًا لفهم **اللغة كنمط معرفي** cognitive paradigm سابق لأوانه.

الخلاصة التحليلية

يكشف هذا المبحث عن تطور **النمط الحدسي–المعرفي** في التفكير اللغوي من الأسطورة إلى العقل، ومن الكلمة بوصفها مقدسة إلى الكلمة بوصفها تمثيلًا عقليًا. ويُظهر:

- كيف تطورت نظريات "الكلمة–المعنى–الفكر" من أفلاطون إلى النمطيين؛
- أن فكرة الحدس النحوي ليست غيبية، بل هي تصور إدراكي–عقلي له جذور فلسفية؛
- أن هذه الفكرة عادت بقوة في اللسانيات التوليدية الحديثة وفي اللسانيات الإدراكية.

الاستشهادات العلمية) نمط:(APA

- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Cratyle / Lettre VII, Platon.
- Diogène Laèrce. *Vies, doctrines et sentences des philosophes illustres.*
- Martinet, A. (1960). *Éléments de linguistique générale*. Armand Colin.
- Denys de Thrace. *La téchné grammatiké.*
- Humboldt, W. von. (1836). *Über die Verschiedenheit des menschlichen Sprachbaues.*
- Port-Royal Grammar. (1660). *Grammaire générale et raisonnée.*
- Bursill-Hall, G.L. (1971). *Speculative Grammars of the Middle Ages: The Doctrine of Partes Orationis of the Modistae*. Mouton.
- الكشو، صالح .(2012). النحو التحويلي العربي، تونس.

المبحث الثالث :النمطيون – من أنماط الدلالة إلى أُسس النحو الفلسفي

.1مقدّمة: جدل الدال، الفكر، والصوت

يقوم التصور المعرفي للنمطيين(Les Modistes) ، وهم نحاة–فلاسفة من العصور الوسطى المدرسية (XIIIe siècle)، على بنية ثلاثية تُعيد ترتيب العلاقة بين الأشياء، والفكر، واللغة. فكل عملية دلالية تنبني لديهم على التراتب التالي:

- **الشيء** :(**Res**) الموضوع الموجود خارج الذات، وله صفاته الذاتية المميزة؛
- **العقل** :(**Intellectus**) الفاعلية الإدراكية التي تؤلف صورة ذهنية عن الشيء؛
- **الصوت** :(**Vox**) الأداة الرمزية التي تُشير إلى هذا التصور الذهني وتنقله عبر العلامة.

«Res – Intellectus – Vox»: هي الثلاثية التي يقوم عليها علم الدلالة عند النمطيين، وهي البنية التحتية لما أسموه *modi significandi*، أي "أنماط الدلالة."

وقد عبّر النمطي **Siger de Courtrai** عن هذه العلاقة بقوله:

"**Grammatica est scientia loquendi**, **cuius materia est oratio cum suis mutationibus**, **et finis exprimere formas cogitationis sine vitio compositionis**"
(Siger de Courtrai, *Summa modorum significandi*, XIIIe s.)

.2مشروع نحوي فلسفي: من الصرف إلى النحو

في مقابل التقليد النحوي اللاتيني الكلاسيكي، الذي بلغ ذروته مع **Priscien** حيث تمحور علم النحو حول الصرف والتصريف (*Priscien, Institutiones grammaticae*), منح النمطيون موقعًا مركزيًا للنحو بوصفه علمًا فلسفيًا للمعنى.

هذا التحول لم يكن شكليًا فقط، بل نابع من رؤيتهم للغة بوصفها جهازًا إدراكيًا–دلاليًا، حيث الدلالة ليست نتيجة تصنيف صرفي، بل نتيجة تركيب منطقي–معرفي.

وقد أشار (**Bursill-Hall (1971**إلى أن هذا المشروع يسبق النحو التوليدي في جوانب جوهرية، منها تخصيص الوظيفة النحوية انطلاقًا من بنية المعنى.(*Bursill-Hall, 1971, p. 33*)

.3أنماط الدلالة: بين الشكل والوظيفة

من بين أهم ما أسّسه النمطيون هو نظريتهم في *modi significandi*، أي "طرق الدلالة". وقد رأوا أن كل كلمة تُحيل إلى نمط دلالي خاص، يُحدد وظيفتها داخل الجملة:

- كلمة **dolor** تدل على الألم بوصفه حالة دائمة.(*durative*)
- كلمة **doleo** تدل على الألم كحدث مستمر.(*processual*)

(راجع: Bursill-Hall, 1971, pp. 52–55)

وبذلك، فإن كل صيغة لغوية ليست شكلًا صرفيًا فقط، بل تعبير عن "نمط" إدراكي–وظيفي.

.4تشكيل الصيغ: الإعراب مقابل الاشتقاق

ميز النمطيون بين طريقتين لتشكيل الصيغ اللغوية:

- **الإعراب** :(**Cas**) التركيب النحوي داخل الجملة؛
- **الاشتقاق** :(**Dérivation**) التحويلات الصرفية التي تكشف عن بنية الكلمة الأصلية.

ويُلاحظ هذا التمييز جليًا في كتاب:

La téchné grammatiké ل**Denys de Thrace**، حيث أكّد أن *l'empeiria*, أي "المعرفة الاختبارية"، تتحقق عبر الاشتقاق وليس بالقياس وحده

(Denys de Thrace, *La téchné grammatiké*).

.5المقولات وتفريعها: النواة والهوامش

يفرق النمطيون بين:

- **المقولات المطلقة** :(**Catégories absolues**) مثل الأسماء والأفعال، وتكون نواة للجمل؛
- **المقولات المتبادلة** :(**Catégories relatives**) مثل الصفات والظروف، وتستمد وظيفتها من علاقتها بالمطلقات.

⊠وقد استخدموا هذا التفريع لتفسير البناء التركيبي القائم على العلاقة بين "التسمية" و"الدلالة"، وهو ما يؤسس – بشكل مبكر – لتصور **sous-catégorisation** و**modification syntaxique** كما ورد في أعمال التحليل البنيوي المتأخر) راجع: Chomsky, 1965, pp. 150–152).

.6حدود التبعية: نظرية العامل والعلاقة

حلل النمطيون العلاقات بين مكونات الجملة استنادًا إلى "العامل وما يتعلّق به(regens/regendum) "، وهي النظرية التي ستشكل لاحقًا نواة **نظرية الهيمنة** (**Domination**) في النحو التوليدي.

وقد سبقت تصوراتهم هذه ما جاء عند **Chomsky** حول *Binary branching and dominance in syntax*، بما في ذلك الشجيرات التحليلية التي استعملوها لتمثيل العلاقات النحوية (Chomsky, 1965).

.7القبولية: بين النحو والدلالة

في تحليلهم لشرعية الجملة، ميّز النمطيون بين:

- **القبول النحوي** :(**Acceptabilité syntaxique**) بمعنى صحة التراكيب شكلًا؛
- **القبول الدلالي** :(**Acceptabilité sémantique**) بمعنى الانسجام المنطقي للمعنى.

ومن بين الأمثلة التحليلية لديهم:

- *La pierre aime le fils*
- *Le bonnet catégorique* (*Coppa catégorica*)

وهما مثالان على "التراكيب المقبولة نحويا، المرفوضة دلاليا"، وهي إشكالية ظهرت لاحقًا بوضوح في قضية **Contraintes de sélection** عند التوليديين (راجع.(Chomsky, 1965, pp. 97–98 :

.8الاختبارية: اللغة تفكّر ذاتها

يقترح النمطيون معالجة اختبارية للغة، أي أنها تُحلل نفسها من داخلها، عبر أمثلة مركّبة.

- مثلاً *Michel de Marbais est modiste* :
- أو *Le blanc Socrate court bien*

هذه الجمل ليست مستخلصة من corpus لغوي، بل "مختبرة" قصدًا. وقد اعتبر **Michel de Marbais** نفسه هذا النوع من الأمثلة كاشفًا عن خصائص البنية العميقة التي يمكن تفعيلها عبر الصيغة الاختبارية

(Bursill-Hall, 1971, pp. 88–90).

الخاتمة التحليلية

تمثل نظرية النمطيين ثورة حقيقية في تاريخ الفكر النحوي لأنها:

- تؤسس نحوًا فلسفيًا للمعنى، لا مجرد نحو وصفي شكلي؛
- تدمج **الوجود والفكر والصوت** ضمن بنية دلالية متكاملة؛
- تميّز بدقة بين **الأنماط الدلالية والنحوية للكلمات؛**
- تُمهّد نظريًا لمفاهيم حديثة في **النحو التوليدي، التحويل، التبعية، التمثيل البنيوي؛**
- تعيد اللغة إلى موقعها كوسيط بين **الفكر والمعنى**، لا كجهاز ترميزي فقط.

ولذلك، فإن العودة إلى النمطيين اليوم لا تُعد تأريخًا أكاديميًا فحسب، بل استعادة حيوية لنموذج فكري–معرفي ما يزال حيًا في أنماط التفكير اللساني المعاصر (الكشو، 2020، ص. 191).

المراجع:(APA)

- Bursill-Hall, G. L. (1971). *Speculative Grammars of the Middle Ages: The Doctrine of Partes Orationis of the Modistae*. Mouton.

- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. MIT Press.
- Denys de Thrace. *La téchné grammatiké*.
- Priscien. (6e s.). *Institutiones grammaticae*.
- Siger de Courtrai. (13e s.). *Summa modorum significandi*.
- الكشو، صالح .(1985) .مدخل في اللسانيات .الدار العربية للكتاب، تونس.

المبحث الرابع: الهيمنة اللغوية في اللاتينية – من السلطتين الزمنية والدينية إلى التفكك اللغوي والاجتماعي

قراءة في أعمال:

Bertil Malmberg و S. Pinekaers و Philippe Wolff و Valérie Bonnet

.1اللغة بوصفها سلطة زمنية ودينية

يرى Valérie Bonnet أن التحول الحاسم في موقع اللغة اللاتينية حدث مع **الهيمنة الرومانية في القرن الخامس الميلادي (حوالي 400 م)**، حيث أصبحت اللاتينية **لغة رسمية للإدارة والجيش والقضاء**، أي أنها كانت لسان الدولة والسلطة الزمنية. غير أن ما زاد من تكريسها هو دعوتها، لاحقًا، مجال القداسة حين تبنتها الكنيسة كلغة للكتاب المقدّس بدءًا من سنة 391 م، في سياق ما يُعرف بـ"موجة دين الدولة"، فغدت **اللغة الرسمية المشتركة لكل من الحكم السياسي والديني** .(Bonnet, 2005, p. 12)

وهكذا، تحوّلت اللاتينية إلى **لغة "الخاصة"**، أي لغة **رجال الدين والنبلاء وقادة الجيوش**، مقابل منعها أو تهميشها لدى العامة. لقد أصبحت أكثر من مجرد وسيلة تواصل: إنها **أداة هيمنة رمزية وطبقية**، تمنح أصحابها حق التحكم في الخطاب والمعنى، وتقصي من لا يتكلمها عن فضاء الفهم والسلطة.

.2التسمية بوصفها فعلًا سلطويًا – آدم والعبد

في قراءته الأنثروبولوجية–اللاهوتية، يوضح Bonnet أن **المصطلحية (Terminologie)** في سياقها الكنسي ليست مجرد عملية تسمية، بل **فعل رمزي–سلطوي** .فهي تعود إلى آدم الذي، بحسب الرواية التوراتية، **"أعطى الأسماء لجميع الأشياء"**، فكان بذلك **أول من مارس سلطة التسمية (nomination)** (Bonnet, p. 17).

أما في التقييد السلطوي الزمني، فالتسمية تعود للعبد الذي يُبلغ سيده بالأسماء التي عليه أن يُحيّي أصحابها، ما يجعل من اللغة **طقسًا تراتبيًا**، يُمارس من الأعلى إلى الأسفل. وهو ما يعكس تحول اللغة إلى أداة سياسية–طبقية، تحدد موقع المتكلم في الهرم الاجتماعي.

.3تفكك المشهد اللغوي: من الترجمة إلى القطيعة

مع تحول الكنيسة إلى الجهة التي ترعى التعليم وتُشرف على الثقافة، بدأت اللاتينية تتحول من لغة رسمية—زمنية إلى **لغة مقدّسة حصرية** .لقد تم **ترجمة النصوص المقدسة من الإغريقية إلى اللاتينية عام 391 م**، وبهذا أُقصيت الإغريقية، و**أُعيدت صياغة اللاتينية في شكلها المسيحي**، من خلال تحويرات وإنشاءات أصيلة ذات طابع "رعوي" أو "شعبي" لكنها محصورة ضمن قوالب دينية صارمة.(Bonnet, pp. 20–21)

وبهذا، فإن **اللاتينية الدنيا** (**le latin vulgaire**) لم تعد قادرة على استيعاب المضامين الإنجيلية، مما عزل شريحة كبيرة من الناس عن النص الديني.

.4الرهبان واللغة العالِمة

في الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى الخامس الميلاديين، أسس الرهبان **أسلوبيتهم اللغوية الخاصة**، مما منح للاتينية المسيحية **caractère savant**، أي "الصفة العالِمة". وقد أدى هذا إلى **فصل صارم بين اللغة المكتوبة واللغة الشفهية** .وهو ما عبّر عنه Bonnet حين وصف كتابات Claudien و Sidoine Apollinaireبأنها:

“Langue artificielle, poétique, inaccessible au peuple.”
(Bonnet, p. 17)

أي أنها **لغة اصطناعية شعرية لا تُفهم من قبل العامة**، باستثناء قلة من القساوسة المثقفين المنحدرين من طبقة أرستقراطية.

.5ثلاثية اللاتينية: الانقسام الطبقي واللغوي

أدى هذا المسار إلى ولادة **ثلاثة أنماط من اللاتينية**:

1. **اللاتينية الكلاسيكية** :لغة ثقافية راقية لا توجد إلا في النصوص المرجعية العليا.
2. **اللاتينية الدنيا** :(**Bas Latin**) لغة العلماء والرهبان.
3. **اللاتينية العامية** :(**Latin Vulgaire**) لغة التواصل الشعبي، لكنها دون مكانة كتابية.

"Trois types de latin : classique, bas, vulgaire."
(Bonnet, pp. 20–21)

وقد أفضى هذا التقسيم إلى **قطيعة لغوية كاملة بين النخبة والعامة**، إذ أصبحت اللغة أداة احتكار معرفي، وجزءًا من نظام اجتماعي طبقي.

6.موت اللاتينية: من الازدهار إلى الجمود

مع ظهور الإمارات الجرمانية، بدأ نظام جديد يطغى على بقايا النظام الروماني. هذه الإمارات كانت تحكمها **سلطة مشيخية قبلية**، لا دولة مؤسسات. لذلك، لم تهتم هذه الطبقة الحاكمة الجديدة باللاتينية، ولم تتبنّ الثقافة الكلاسيكية أو المسيحية، ما أدى إلى **دخول اللاتينية في طور الاحتضار** ما بين القرنين الخامس والثامن الميلاديين.(Bonnet, p. 21)

وقد أصبح المجتمع ينقسم إلى:

- **Lettrés:** المتعلمون القادرون على فهم اللاتينية.
- **Semi-lettrés:** أنصاف المتعلمين الذين يتقنونها جزئيًا.
- **Illettrés:** الأميّون الذين لا يفقهون منها شيئًا.

وانتشرت الشفاهية بدل الكتابة، وتحولت اللاتينية إلى **لغة مغلقة مخصصة فقط للبيروقراطية والطقوس**.

7.المصطلح، التصنيف، والنبذ الرمزي

يرى Bonnet أن من لا يتحدث اللغة الرسمية يُقصى عن سلطة الخطاب والمعرفة. فا**لملحد (Athée)** أو **اللائكي (Laïc)** هو ببساطة **من لا يتكلم اللغة اللاتينية، بل يقتصر على اللغة الشفهية** (Bonnet, p. 40).وهذا ما يؤكد أن **اللغة كانت أداة للهيمنة الرمزية، ومعيارًا للانتماء إلى النخبة** أو الإقصاء عنها.

8.اللغة المدرسية: نحو عقلانية نحوية وفلسفية

بحسب Philippe Wolff ، فإن القرن الثاني عشر شهد انبعاثًا معرفيًا يتمثل في **إعادة اكتشاف أرسطو عبر الترجمات العربية**، واحتكاك الغرب بالعلوم الإسلامية. وقد أدى هذا إلى **ظهور ما يُعرف بـ"اللغة المدرسية "**

(**Langue scolastique**)، وهي شكل من **اللغة العقلانية التقنية** الخاصة بالعلوم البرهانية (Wolff, 1971, p. 178).

وقد حددها S. Pinekaers كما يلي:

1. لغة مجردة، تُظهر الجوهر السامي للكلمات.
2. لغة تحليلية، تعود إلى جوهر الشيء.
3. لغة غير تاريخية.
4. لغة غير شخصية.
5. لغة وجودية مقابل النفسية.

(S. Pinekaers, cité in Bonnet, pp. 39–40)

ويؤكد Bertil Malmberg أن هذه السمات هي ذاتها ما يميز **اللغات العلمية** (Mutatis mutandis)، إذ إنها نتاج العقلانية المدرسية التي **تسعى إلى صياغة خطاب لا يعكس بل يبتكر الواقع وفق منطقه الداخلي** (Malmberg, 1991, pp. 118–119).

الخاتمة التحليلية:

- **اللغة اللاتينية تحوّلت من أداة تعبير إلى أداة تصنيف وهيمنة**، بفعل ارتباطها بالمؤسستين الزمنية والدينية.
- **المصطلحات لم تكن محايدة**، بل محكومة بموقع المتكلم في الهرم الرمزي والاجتماعي.
- **موت اللاتينية كان نتيجة قطيعة معرفية** عمّقتها الكنيسة من جهة، والنظام القبلي الجرماني من جهة أخرى.
- **اللغة المدرسية** تمثل محاولة عقلانية لإعادة بناء اللغة العلمية، لكنها ظلت بدورها حكرًا على النخبة.

المجلس العلمي للكلية

- Bonnet, V. (2005). *La construction d'une langue savante en Europe du Ve au XIXe siècle: Le latin et le grec dans les sciences*. CNRS Éditions.
    - p. 12 ،pp. 12–13 ،p. 17 ،pp. 20–21 ،pp. 39–40 ،p. 40.
- Wolff, P. (1971). *L'éveil intellectuel de l'Europe*. Paris: Le Seuil, p. 178.
- Malmberg, B. (1991). *Histoire de la linguistique. De Sumer à Saussure*. Paris: PUF, pp. 118–119.
- Pinekaers, S., cité in Bonnet, pp. 39–40.

المبحث الخامس: القطيعة الإبستيمولوجية في مواجهة الفجوة المنهجية بين النحو واللاهوت

.1إشكالية التداخل بين النحو واللاهوت: مقدمة معرفية

عرف الفكر الأوروبي في العصور الوسطى تداخلاً شديدًا بين الخطاب اللاهوتي والخطاب النحوي، إلى حدّ أنّ **النحو لم يكن يُدرّس خارج الأطر الكنسية**، مما جعل كل تحليل لغوي خاضعًا لسلطة العقيدة، لا لآليات اللسان ذاته. وقد عبّر عن هذا التداخل كثير من الفلاسفة والنحاة المعاصرين لتلك المرحلة، مشيرين إلى أن النحو كان في جوهره **أداة لفهم الكتاب المقدس** أكثر مما كان أداة لفهم اللغة.

وقد لاحظ **جون لوك** John Lockeفي معرض نقده لاستعمال اللغة في المجال اللاهوتي أن الكلمات تحوّلت إلى **رموز باهتة لمعانٍ غير مُحددة**، ما أدى إلى **تضخم المصطلحات اللاهوتية على حساب الدقة المفهومية**، حيث يقول:

"Men's words are generally unintelligible because they have no determined ideas attached to them"
(*An Essay Concerning Human Understanding*, 1690, Book III, Ch. IX)

.2ميلاد الحاجة إلى قطيعة منهجية

مع نهاية القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر، بدأت تتشكل بذور التفكير في **قواعد جديدة للغة منفصلة عن التصور اللاهوتي** .وقد أشار **Philippe Wolff**إلى أن **القرن الثاني عشر شهد ميلاد اتجاه جديد يبحث عن لغة قادرة على التعبير عن العلوم البرهانية** لا النصوص المقدسة فقط، خاصة مع **احتكاك أوروبا بعلوم الإغريق والمسلمين**:

"...une nouvelle forme de réflexion grammaticale s'est développée, nourrie par la redécouverte d'Aristote à travers les traductions arabes."
(*L'éveil intellectuel de l'Europe*, p. 178)

.3المقاربة النمطية (Les Modistes) والخروج من أسر اللاهوت

ظهرت حركة **النمطيين** (Les Modistes)في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، وهم جماعة من النحاة–الفلاسفة حاولوا **بناء نحو معرفي مستقل عن اللاهوت**، بالاعتماد على عناصر ثلاثية:

1. الشيء(**la chose**)
2. الفكر(**l'intellect**)
3. الصوت(**la voix**)

وقد رأوا أن **الدلالة اللسانية لا تتأسس على النصوص الدينية، بل على العلاقة الطبيعية بين الفكر واللغة** .
ولعلّ أبرز من عبّر عن هذا التوجه هو **Siger de Courtrai**، حين قال:

"La grammaire est la science de la parole, son champ est la phrase et ses variations, son but est l'expression des formes de la pensée dans des énoncés structurés."

(انظر: صالح كشو، *مدخل إلى اللسانيات*، ص31–35)

وهذا التصور يُعتبر محاولة أولى لصياغة نحو "علماني" يعتمد على **أنماط التفكير والدلالة**، بدل التفسير اللاهوتي.

.4من اللاهوت إلى الأنطولوجيا: اللحظة الديكارتية

مع **رينيه ديكارت** (1596–1650) René Descartes، ظهرت **قطيعة إبستيمولوجية صارمة** بين الخطاب النحوي والخطاب اللاهوتي. حيث رأى أن **اللغة تنبع من العقل**، وليس من الوحي، وأن **النحو هو تنظيم للقدرة العقلية على التعبير**، لا تأويل لرسائل إلهية.

وقد تجسدت هذه الرؤية في مشروع **"النحو العام المعقول Grammaire Générale et Raisonnée"** الذي أسسه كل من **أرنو Arnauld** و**لانسلو Lancelot** سنة 1660، والذي اعتبر:

"La grammaire est une représentation des opérations de l'esprit humain dans la production des discours."

أي أن **النحو صورة معرفية للعمليات الذهنية، وليس فقط تصنيفًا شكليًا للكلام.**

5. تجسير الهوة بين اللاهوت والنحو: الصراع والتجاوز

لم يكن هذا التحول سهلاً، فقد اصطدم **الخطاب العقلاني الجديد** بمقاومة قوية من المؤسسة الكنسية، التي اعتبرت أن اللغة "مقدّسة" لأنها **وعاء للوحي** .ولهذا، فإن محاولة عقلنة اللغة وتأويلها خارج النص الديني عُدّت في بعض السياقات نوعًا من **الهرطقة الفكرية**.

ولكن، كما يقول :**Bertil Malmberg**

"Le passage de la langue sacrée à la langue rationnelle a nécessité une transformation complète de la conception du langage."
(*Histoire de la linguistique*, p. 119)

وهذا ما تحقق تدريجيًا، مع ظهور **نحو فلسفي حديث** يُعنى باللغة كظاهرة ذهنية—اجتماعية، لا ميتافيزيقية.

الخلاصة:

- حصلت قطيعة إبستيمولوجية جوهرية بين النحو القديم المرتبط باللاهوت، والنحو الحديث المرتبط بالعقل والفكر.
- بدأت هذه القطيعة تدريجيًا منذ القرن 12، وبلغت ذروتها مع ديكارت ومدرسة.Port-Royal
- حركة النمطيين كانت محاولة مبكرة لإعادة التفكير في اللغة كنسق دلالي—تركيبي مستقل.
- كان للترجمات العربية لأرسطو والفكر الإسلامي التأثير الأكبر في إذكاء هذا التحول.

قائمة المراجع:

1. Philippe Wolff (1971). *L'éveil intellectuel de l'Europe*. Paris: Le Seuil.
2. Bertil Malmberg (1991). *Histoire de la linguistique. De Sumer à Saussure*. PUF.
3. Arnauld, Antoine & Lancelot, Claude (1660). *Grammaire Générale et Raisonnée*. Paris.

4. صالح كشو .(1985) *مدخل إلى اللسانيات* .الدار العربية للكتاب، تونس.

5. John Locke (1690). *An Essay Concerning Human Understanding*. Oxford: Clarendon Press.

المبحث السادس: اللسانيات الديكارتية – من العقل إلى اللغة في ضوء فكر ديكارت والمدرسة الديكارتية

أولًا: ديكارت وأزمة اللغة في الفكر الفلسفي

رغم أن **ديكارت** (René Descartes, 1596–1650)لم يُخصّص مشروعًا فلسفيًا مستقلاً للغة كما فعل لاحقوه، إلا أن حضوره في **تاريخ الفكر اللساني** كان محوريًا. والسبب لا يعود إلى دراسة لغوية مباشرة، بل إلى **التحول الإبستيمولوجي العميق** الذي أحدثه في علاقة الإنسان بالفكر واللغة، حيث **أعاد تأسيس التفكير على مبدأ "العقل" بدل "السلطة" أو "الوحي"**، واضعًا بذلك **لبنة تأسيسية لنحو عقلي جديد**.

وقد اعتبرته **الجامعات الفرنسية** في القرن السابع عشر بمثابة **أرسطو عصر النهضة**، لما له من أثر على النحو والمنطق والعلوم العقلية عمومًا. وقد تبنّى فكره في مجال اللغة رموزٌ هامة مثل:

- الأب لامي(*Le père Lamy*)
- جورج دو كور دوموي(*Georges de Cordemoy*)
- جماعة *بور روايال* (Port-Royal)

"Descartes ne s'est pas préoccupé directement du langage, mais sa méthode rationnelle a profondément influencé la réflexion grammaticale de son temps."
(Malmberg, 1991, p. 118)

ثانيًا: عن اللغة الشاملة والعقلانية – رسالة إلى مرسان

في رسالته إلى **مرسان** (*Mersenne*)، يتخيل ديكارت إمكان وجود **لغة عقلانية كونية**، تقوم على قواعد عامة شبيهة بالرياضيات، بحيث **تُحوّل الفكر إلى رموز لغوية دقيقة وقابلة للتعميم**:

"Une langue universelle devrait fonctionner comme l'arithmétique : à partir de peu d'éléments, générer une infinité de combinaisons."
(Lettre à Mersenne, 20 novembre 1629)

يؤمن ديكارت أن **مشكلة اللغة تكمن في التباسها وتعددها لا في بنيتها المفهومية**، ولهذا اقترح أن تتبع اللغة النموذج الرياضي في بنيتها:

"Comme les nombres dans l'arithmétique, les éléments du langage devraient permettre de former toute pensée sans ambiguïté."
(Ibid.)

وقد كان مرسان، في تلك المرحلة، أحد أبرز من تبنوا فكرة **اختراع لغة فلسفية جديدة**، تساعد البشر على التعبير عن أفكارهم دون التباس، وهي فكرة سبقه إليها لاحقًا **جون ويلكينز** (John Wilkins)في إنكلترا، ضمن ما سُمي بمشاريع *اللغات الفلسفية المثالية*.

ثالثًا: نقد الإسمانية – Nominalisme رد على هوبز

في رده على **توماس هوبز** (Thomas Hobbes)، يقدّم ديكارت تمييزًا دقيقًا بين **الفكر** و**اللغة**، مؤكّدًا أن **الفكر سابق على اللغة**، وأن الكلمات ليست سوى **أدوات لتعيين المفاهيم** لا لصنعها:

"Il n'y a pas de doute qu'un Français et un Allemand puissent avoir les mêmes pensées, bien qu'ils emploient des mots différents pour les exprimer. Ce n'est pas l'union des mots, mais celle des idées qui constitue la pensée."
(Descartes, Méditations métaphysiques)

هذا النقد يضرب في عمق الإسمانية(nominalisme) ، ويعزز فكرة **الكلّي العقلي المشترك بين البشر** .وقد استفاد **نحاة بور رويال** من هذا الطرح لإرساء **نظرية العلامات**، معتمدين على أن **الكلمات هي علامات للأفكار، لا العكس**:

"Les mots sont les signes des idées, et non des choses."
(Port-Royal Grammar, 1660)

رابعًا: الأسس المفهومية للفكر الديكارتي في اللسانيات

رغم أن ديكارت لم يُنظّر بشكل منهجي للغة، فإن **منظومته العقلانية** تركت أثرًا جوهريًا على الفكر اللساني، ومن أبرز المفاهيم التي تسربت من فلسفته إلى اللسانيات:

1. **الآلية الحيوانية** :(*l'animal-machine*)أي أن الحيوان لا يتكلم لأنه يفتقر إلى العقل، لا إلى جهاز النطق.
2. **الأفكار الفطرية** :(*les idées innées*)وهو ما سيؤثر لاحقًا على نظرية **تشومسكي** حول **القدرة الفطرية على اللغة**.

كما تُسجّل الإشارة التي وردت عند الأب لامي (*Le Père Lamy*) بخصوص الكينونة الجوهرية للمادة، مستشهداً بـ"الجث:(*la cire*) "

"كائن الشيء ككائن الجث مثلا، هو بمثابة الجوهر له، أما ما ينعت به فهو كالدائرة أو المربع من الجث قد يتحول إلى أشكال أخرى دون أن يمس ذلك من جوهر مادته."
)عن صالح كشو، مدخل في اللسانيات، ص 36(

خامسًا: ديكارت وظهور نحو فلسفي جديد

أثّرت هذه المفاهيم مباشرة في **مدرسة بور روايال** (Arnauld & Lancelot)، حيث رأوا أن **النحو ليس مجرد قواعد للصرف والبناء، بل تمثيل مباشر لعمليات الفكر العقلي** .وهذا ما سيُؤسس لما يُعرف بـ:

النحو العام المعقول (*Grammaire générale et raisonnée*)

ويقول **أرنو** في المقدمة:

"Les règles de la grammaire sont les mêmes que celles de la logique : elles sont des lois de la pensée humaine."
(Grammaire de Port-Royal, 1660)

الخلاصة التحليلية:

- لم يكن ديكارت نحويًا، لكنه **غيّر نظرتنا إلى اللغة** من خلال **إعادة مركزتها داخل العقل**.
- رؤيته للعلاقة بين الفكرة واللفظ أسّست لفهم جديد للغة يقوم على **التماثل العقلي بين البشر**.
- أفكاره حول **اللغة الكونية، والأفكار الفطرية، والتمييز بين الفكرة واللفظ** أثّرت في تطور اللسانيات حتى القرن العشرين.
- ما بدأ مع ديكارت كـ"تفكير عقلاني" سيصبح لاحقًا أساسًا لنظريات **النحو التحويلي، واللسانيات الفطرية، ونحو بور رويال**.

الهوامش والمراجع:

1. Descartes, René. (1641). *Méditations Métaphysiques*. Paris.
2. Descartes, René. (1629). *Lettre à Mersenne*, 20 novembre 1629.
3. Arnauld, A. & Lancelot, C. (1660). *Grammaire générale et raisonnée*. Port-Royal.
4. Malmberg, Bertil. (1991). *Histoire de la linguistique. De Sumer à Saussure*. PUF, pp. 118–119.
5. Wolff, Philippe. (1971). *L'éveil intellectuel de l'Europe*. Paris: Le Seuil, p. 178.
6. صالح كشو .(1985) .*مدخل في اللسانيات* .الدار العربية للكتاب، تونس، ص 31–36.

المبحث السابع: دو كور دموي و"المقال الطبيعي في الكلام" – نحو فلسفة جسدية–روحية للغة

1.الجسد والروح: التفكير في الكلام من خارج الآلة

في مؤلفه **Discours physique de la Parole**(المقال الفيزيائي في الكلام)، يقترح **Géraud de Cordemoy**منظومة تفسيرية عميقة للغة تنطلق من ثنائية **الجسد/الروح**، لتدحض المقاربات الآلية الخالصة. إذ يتساءل كور دموي:

"L'homme ne serait-il qu'un corps qui se meut ?"
(Cordemoy, *Discours physique de la parole*, 1668)

إن الحركات الجسدية – الأكل، التنفس، الحركة – ليست، بحسبه، سوى تعبير عن انسجام ميكانيكي بين الأعضاء، لكنها **لا تفسر حقيقة اللغة أو الكلام** .فالمحاكاة الآلية – كما يفعل الببغاء – لا تدل على وعي أو روح.

"كذلك ترجيع الصدى هو ترجيع لا غير، كذلك الببغاء في محاكاته للأصوات"
)صالح الكشو، *مدخل في اللسانيات*(

إن **الكلام الواعي لا يُنتج إلا بوساطة الروح**، فالروح هي التي تضبط العلاقة بين الأقوال والمعاني، بحيث لا يكون للكلام معنى **إلا إذا تطابق مع السياق والمعنى المقصود** لدى المتلقي. ويطرح كور دموي بأن الآلة لا تفعل هذا:

"Les corps ne peuvent s'accorder de cette manière : il faut donc des âmes qui les meuvent."

2.العلامات والمواضعة والإرادة

يرى كور دموي أن الكلام هو في جوهره:

"Rien d'autre qu'un moyen pour faire connaître à autrui ce que nous pensons par des signes convenus"
(*Discours physique*, p. 42)

المجلس العلمي للكلية

أي أن اللغة **علامات مواضعية** تنقل الأفكار بين العقول. وهذه العلامات ليست بحد ذاتها مطابقة للأفكار، لكنها تتوافق معها ضمنيًا بفضل الإرادة البشرية والاتفاق الاجتماعي.

ويضيف:

“Rien n’est plus éloigné de la pensée que les signes qu’on a choisis pour la représenter.”
(*Discours physique*, p. 44)

أي أن العلامات في حقيقتها **لا تُشبه الأفكار**، ولكن رغم هذا البعد، فإنها تؤدي وظيفتها **بفضل ما تملكه الإرادة من حرية ووعي داخلي** يسمح بتوجيه العلامة نحو مدلولها الصحيح. فاللغة إذًا **نتاج مواضعة واعية وإرادة حرة**.

3التعلّم والاكتساب والملكة الطبيعية

يذهب كور دموي إلى أن الطفل **يولد كامل الإدراك**:

“L’enfant naît avec un sens complet.”
(*Discours physique*, p. 52)

ويتعلم اللغة **من خلال التمرين والتكرار**، وليس بمجرد التلقين الخارجي. أي أن الاكتساب هو القاعدة، والتمرين هو وسيلة الفعل. وهو ما سبق أن أشار إليه صالح الكشو بقوله:

".فكرة التمرين انطلاقًا من الاكتساب فكرة مستمرة في تاريخ الفكر اللساني"
(صالح الكشو، *مدخل في اللسانيات*)

ويتجاوز كور دموي النظريات الشكلية عندما يربط تعلّم اللغة بما أسماه بـ **"مفاهيم أولية أزلية"**، فهذه المفاهيم توجد **في أعماق الروح**، وهي التي تسمح للطفل بالتقاط العلاقات اللغوية تلقائيًا.

ويضيف:

“Nous associons l’idée d’une chose au son qui la désigne dès la première langue apprise.”
(*Discours physique*, p. 54)

وهو بذلك يربط بين **التصور الداخلي (الفكرة)** و**المثير الخارجي (الصوت)**، مشيرًا إلى أن الفعل اللغوي ليس جسديًا فقط، بل **تعبير عن توافق بين الصوت والفكر مصدره الروح**.

.4محورية المفاهيم الأولية والملكة العقلية

في تنظيره للعلاقة بين الفكر واللغة، يميز كور دموي بين:

- **الطبقة الأولى** :مفاهيم فطرية أولية تحرك الحس.
- **الطبقة الثانية** :العقل الذي ينسق بين الحس والمعنى.
- **الطبقة الثالثة** :المحسوسات الخارجية التي تولد الصوت والحركة.

وهذا التمييز يتيح تصورًا عن **اللغة كنتاج ثلاثي مركب**، لا يمكن اختزاله في مجرد أصوات أو إشارات. فالمتحدث لا يعبر عن إحساس فحسب، بل عن **معنى داخلي**، **يتحقق بنيةً وتركيبًا وإرادةً**.

.5الميراث المعرفي والمقارنة مع ديكارت

يتقاطع هذا التصور بشدة مع فلسفة **ديكارت** في العلاقة بين العقل واللغة، إلا أن كور دموي **أولى اهتمامًا مباشرًا بالفعل اللغوي** باعتباره أثرًا من آثار **الروح العاقلة**، في حين ظل ديكارت يُرجئ النقاش اللغوي لحساب العقل المجرد.

إن تحليل كور دموي لمظاهر اللغة يستبق من جهة عديدة النقاشات الفلسفية–اللسانية الحديثة (كفكرة **intentionality**عند هوسرل و**l’esprit linguistique** عند هامبولت).

الخلاصة التحليلية

1. **الكلام ليس آليًا** :لا يكفي وجود أعضاء صوتية، بل يلزم روح عاقلة تنظم الدلالة.
2. **اللغة علامات ومواضعة** :لا علاقة جوهرية بين العلامة والفكرة، لكن الإرادة تقيم التوافق.
3. **التعلم فطري–اجتماعي** :الطفل يملك استعدادًا داخليًا لاكتساب اللغة عبر الحس والعقل.

4. **الفكر سابق للكلام** :لا تُبنى اللغة إلا على تمثل داخلي واعٍ لموضوعها ومعناها.
5. **اللغة ليست جسدًا فقط، بل روح، ونظام، وحرية.**

المراجع والاستشهادات) نمط:(APA

- Cordemoy, G. de. (1668). *Discours physique de la parole*. Paris.
- الكشو، صالح .(1985). *مدخل في اللسانيات*. تونس: الدار العربية للكتاب.

عبد الحميد بن باديس
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

المبحث الثامن: بور روايال – النحو المعقلن العام

(**Port–Royal ou La Grammaire Générale et Raisonnée**, 1660)

.1الخلفية الفلسفية للنحو المعقلن: تلازم العقل واللغة

لقد كانت لحظة بور روايال لحظة حاسمة في تاريخ الفكر اللساني الأوروبي، ليس فقط لأنها قدمت ما يمكن اعتباره أول محاولة لصياغة نحو كوني، بل لأنها ربطت اللغة بالعقل في علاقة تأسيسية جوهرية. ففي مشروع *La Grammaire Générale et Raisonnée*، الذي ألّفه كل من Antoine Arnauld وClaude Lancelot، نجد أطروحة مركزية مفادها أن اللغة، بوصفها نظامًا للتعبير، ليست إلا تمظهرًا مباشرًا للقدرة العقلية الطبيعية لدى الإنسان.

هذه الأطروحة ترتكز على فرضيتين متكاملتين:

- أولًا، أن العقل يُولد مع الإنسان، باعتباره ملكة فطرية مشتركة بين جميع البشر.(Arnauld)
- ثانيًا، أن اللغة أيضًا تُولد معه، أي أنها ملكة ملازمة لوجوده البيولوجي والاجتماعي.(Lancelot)

من هذا التلازم، ينبثق نموذج النحو المعقلن العام، الذي لا يقتصر على توصيف الأداء اللساني الواقعي أو ما يُعرف في المصطلح الحديث بـ *la performance*، بل يسعى إلى بناء تصور نظري للقدرة اللسانية المجردة *la compétence*، بوصفها انعكاسًا مباشرًا للعقل.

وهنا تبرز أهمية الجمع بين صفتين هما "العام" و"المعقلن"، فهما لا يتنازعان بل يتكاملان. فكل تنظير يُراد له أن يبلغ مرتبة "العام"، لا بد أن يكون مبررًا عقلًا. كما أن كل مقاربة عقلانية، إذا أرادت أن تحيط بالظاهرة اللغوية في كليتها، لا يمكن إلا أن تصبو نحو استجلاء ما هو مشترك وكلي. ويؤكد أرنو ولانسولو هذه الرؤية في تصدير الكتاب:

> «La grammaire est l'art de parler, fondée sur les principes communs à toutes les langues.»
>
> *(Arnauld & Lancelot, 1660, p. 1)*

أي أن الغاية من النحو ليست فقط وصف اللغات، بل الكشف عن القواعد المشتركة التي يُفترض أنها تسكن في أعماق جميع اللغات، تمامًا كما يسكن المنطق في بنى الفكر الإنساني.

2.الانعكاف على الأسس: من الوصف الخارجي إلى التأسيس الكوني

يُعتبر مفهوم "الانعكاف على الأسس (la réflexion sur les fondements) "في مشروع بور روايال من أهمّ مرتكزات النحو المعقلن العام، حيث لا يُعنى المؤلفان بوصف اللغة كما تُستعمل، بل بالسعي لتقعيد المبادئ العامة التي تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية. وتظهر هذه النزعة التأسيسية بشكل صريح في عدة مواضع من *Grammaire Générale et Raisonnée*، منها قولهم:

«Il est bon de s'arrêter à quelques règles générales qui se retrouvent dans toutes les langues.»

(Arnauld & Lancelot, 1660, p. 150)

كما يضيفان عند الحديث عن أدوات الربط والجر:(*prépositions*)

«Nous ne donnerons ici que les principales, ou les principales relations qu'elles marquent, sans en faire l'énumération exacte, car cela relève de la grammaire particulière.»

(Ibid., p. 62)

أي أن الغاية ليست جرد خصائص اللغة الفرنسية أو أي لغة بعينها، بل الانطلاق من هذه اللغات نحو ما هو مشترك بينها، وهو ما يسمّيه أرنو ولانسولو :**إعمال الفكر حول اللغات** (*faire penser sur les langues*)، كما جاء في قولهم:

«Nous nous proposons d'étudier tout ce qui peut faire réfléchir sur les langues.»

(Ibid., p. 57)

هذا التأكيد على التأسيس العقلي للنحو يجعل من بور روايال مرحلة انتقالية عميقة من النحو التقليدي الوصفي – ذي النزعة السكولاستيكية الشكلانية – إلى نحو نظري قائم على وحدة العقل. إنهم لا يهدفون إلى إحلال اللغة الفرنسية محلّ غيرها، بل يستعملونها كأداة استقرائية للكشف عن الكليّات الذهنية التي تشتغل خلف اللغات، بما يسمح بتجاوز التنوع السطحي للوصول إلى بنية "نحو كوني.(*grammaire universelle*) "

كما أن استعانتهم باللغة الفرنسية لا تأتي بصفتها معيارًا، بل باعتبارها **أداة استدلال** على ما يمكن أن يكون مشتركًا في اللغات كلها. ولذلك نجدهم، كلما تحدثوا عن اللغة الفرنسية، يستعملون ضمير المتكلم *nous*) أو (*notre langue*لا بوصفها نموذجا معياريًا، بل مادة للفحص التجريبي النظري. وقد صرّحوا بذلك ضمنيًا عندما قالوا:

«Ce que nous disons ici de notre langue ne doit être pris que comme un exemple, et non comme une règle universelle.»

(Ibid.)

وهكذا يصبح النحو عند بور رويال أشبه ببرنامج معرفي قائم على **اختبار مدى إمكان تأسيس اللسانيات على العقل وحده** .وقد سار على هذا النهج "ورثة بور رويال" في القرن الثامن عشر، الذين سعوا إلى تحليل اللغات انطلاقًا من مبدأ موحّد يجعل من العقل قاعدة مرجعية لصياغة نحو عام، بل إن بعضهم – كما في كتاب *Mémoire sur l'origine des langues*لروسو – ذهب إلى محاولة الكشف عن "أصل اللغة الواحدة" من خلال النحو العام.

وهنا تتجلى الطبيعة الابستيمولوجية العميقة لهذا المشروع، فهو لا يكتفي بصياغة مقولات حول البنية اللغوية، بل يفتح المجال أمام **فلسفة لغوية عقلانية** تنظر إلى اللغة كمجال تعبير عن الفكر، وتعتبر النحو جهازًا رمزيًا يمثل تلك البنية العقلية الداخلية.

.3عقلنة الاستعمال: من التوارد إلى سلطة العقل المعياري

تشكل مسألة "الاستعمال (l'usage) "إحدى النقاط الفاصلة التي يواجه فيها مشروع بور رويال التيارات اللسانية التقليدية التي سبقتهم، بل وحتى المعاصرة لهم، وخصوصًا تلك التي تتبنى مقولة أن اللغة هي ما يستعمله الناس، وأن القواعد تنبع من التوارد وتكرار الاستعمال، لا من العقل. هذا الموقف يتجلى، على سبيل المثال، في الطرح الذي تبناه **فوجلا** (*Claude Favre de Vaugelas*)، أحد أبرز أعضاء الأكاديمية الفرنسية (*l'Académie Française*)في القرن السابع عشر. حيث عرّف "الاستعمال الحسن" بأنه استعمال النخبة، وتحديدًا:

«Le bon usage est celui de la Cour et de la meilleure partie des auteurs de ce temps.»
(Vaugelas, Remarques sur la langue françoise, 1647, p. 5)

أي أن المعيار اللغوي، في نظره، لا يُستقى من العقل، بل من أفواه رجال البلاط وصفوة الكُتّاب. أما **روبير إيتيان** (*Robert Estienne*)، فقد سبقه بقرن تقريبًا، وربط معيار اللغة بكلام أهل القضاء والعلم، مما يدل على أن التوارد في الاستعمال لم يكن فقط سمة وصفية، بل معيارية مقررة داخل البنية الاجتماعية للسلطة الرمزية.

في مقابل ذلك، ينقض أرنو ولانسولو هذا التصور من أساسه، ويعيدان تأسيس مفهوم "الاستعمال" على قاعدة عقلية صارمة. إنهما لا ينكران أن اللغة تُستعمل، ولا أن الناس هم من ينطقون بها، ولكنهم يرفضون أن يكون التكرار أو التقليد هو مصدر المشروعية، بل يرون أن:

»**العقل هو من يصحح الاستعمال، لا العكس**«.
(«La raison doit corriger l'usage, et non l'inverse.»)
(Grammaire Générale, p. 61)

وهنا يكمن عمق التحول الإبستيمولوجي الذي أحدثه بور روايال: لم يعد النحو وصفًا لما يقوله الناس، بل معيارًا لما ينبغي أن يُقال وفق منطق الفكر. ومع ذلك، لا يقف أرنو ولانسولو عند حد التنظير المجرد، بل يذهبان إلى الاعتراف بالحدود العقلية التي تواجههم أحيانًا في تفسير بعض الظواهر، كما في قولهم عند تناول مسألة الضمائر:

«Il y a ici une difficulté sur laquelle nous ne nous sommes pas assez arrêtés pour en dire davantage.»
(Ibid., p. 47)

ويظهر هذا التوجه العقلي أيضًا في تعاملهم مع التراكيب اللغوية التي تتناقض – في ظاهرها – مع منطق العقل. ففي أحد المواضع، يعترفان بأن طريقة معينة في التعبير "قد تكون جيدة أو سيئة"، دون أن يُصدرا حكمًا نهائيًا بشأنها، ما يكشف عن **نظرة دينامية للاستعمال اللغوي**، غير متحجرة، بل منفتحة على التطور والمعاينة العقلية المستمرة:

«Et cette façon de parler, bonne ou mauvaise, …»
(Ibid., p. 61)

ورغم ذلك، فهما لا يذوبان في هذه النسبية، بل يُصرّان على ضرورة مساءلة الاستعمال انطلاقًا من قدرته على تمثيل الفكر بوضوح ومنطق. ومن هنا نفهم لماذا اعتبرا بعض الاستعمالات حجّة تُردّ على القائلين بها، لا لهم، كما هو الحال في انتقادهما لفوجلا نفسه، إذ يقتبسون أقوالًا لشيشرون (Cicéron) ضد رأي فوجلا:

«Cicéron nous fournit plusieurs exemples contraires à ce que Vaugelas considère comme le bon usage.»
(cf. Grammaire, p. 65)

وهذا الاستشهاد ليس اعتباطيًا، بل يكشف عن رغبة في **ردّ السلطة الرمزية إلى مرجعيات عقلانية كلاسيكية**، تتجاوز معيار البلاط الفرنسي، إلى منطق البلاغة الفلسفية عند فلاسفة اللاتينية، كشيشرون، حيث يُعتبر "البيان" فعلاً من أفعال العقل لا تقليدًا اجتماعيًا.

بذلك، لا تنكر مدرسة بور روايال وجود "الاستعمال"، بل تعيد تأويله على أساس **تماهيه مع القدرة العقلية على إنتاج المعنى**، بحيث لا يُقبل من التوارد إلا ما يُمكن تبريره منطقيًا. ومن هذا المنظور، يمكن فهم طموحهم إلى "عقلنة الاستعمال (rationalisation de l’usage) "ليس باعتباره تنقيحًا لغويًا، بل إعادة تأسيس للشرعية اللسانية على قاعدة الفكر.

.4الخلفية المنطقية للنحو عند بور روايال: من "فن الكلام" إلى "فن التفكير"

لا يمكن مقاربة النحو عند بور روايال دون التوقف عند ما يسميه المؤلفان بـ"المنطق(*la logique*) "، ليس فقط بوصفه خلفية نظرية داعمة، بل بوصفه **أساسًا مفهوميًا يؤطر تصوراتهم النحوية برمّتها** .ورغم أن كتابهم الشهير في المنطق (*La Logique ou l’art de penser*) نُشر بعد "النحو المعقلن" بسنتين (1662)، فإن حضور المنطق في *Grammaire Générale et Raisonnée* سابق من حيث التصور والأثر، بل هو – كما سنبيّن – **متجذر في كل قسم من أقسام النحو**، لدرجة يمكن القول معها بأن مشروع بور روايال هو مشروع "نحو–منطقي" بامتياز، يعيد رسم حدود اللغة في ضوء عمليات الفكر.

ففي مقدمة *La Logique*، يصرح أرنو ونيكول بأنهم يقصدون بالمنطق:

«l’art de diriger sa raison dans la connaissance des choses, soit pour les découvrir soi-même, soit pour les enseigner aux autres.»

(Logique, p. 3)

وهذا التعريف، وإن كان موجّهًا للبحث المعرفي عامة، فإنه يجد امتداده المباشر في تصورهم للنحو، حيث يصبح **النحو فنًا لتوجيه اللغة على نحو يعكس التنظيم العقلي للأفكار**. ولا يُفهم "فن الكلام" هنا على النحو البلاغي أو الأدبي، بل على أنه **فن تعبير العقل عن ذاته بواسطة رموز موضوعة بالاتفاق**.

ويؤكدان في أكثر من موضع أنّ:

«Le langage est l’expression volontaire de la pensée à l’aide de signes institués par l’homme.»

(Logique, p. 4)

أي أن اللغة ليست استجابة تلقائية، بل وسيلة عقلية مقصودة للتعبير، تُصاغ من خلال *علامات موضوعة* بمحض الإرادة. هذه الفكرة تُعيد ضبط العلاقة بين الفكر واللغة، بحيث لا تكون الأخيرة انعكاسًا سطحيًا للأول، بل بنيته التحتية وشرطه الضروري.

ومن هنا، يُثار سؤال إبستيمولوجي حاد: ماذا لو لم يكن للغة وجود؟ هل يمكن للفكر أن يوجد؟ وهل من الممكن التفكير في معزل عن الكلمات؟

يناقش أرنو ونيكول هذا الإشكال بشيء من السخرية المضمرة، قائلَين:

«Si les choses n’étaient conçues que pour nous-mêmes, il suffirait d’y penser sans y attacher aucun signe.»

(Logique, p. 5)

أي: "لو أن جملة الآراء التي نبدي بها أفكارنا لا تعني سوانا، لاكتفينا بالنظر للأفكار في ذاتها دون أن نُصبغ عليها صفة الكلام أو أي علامة أخرى." وهذا يبيّن أن **اللغة ليست مجرد وسيلة تواصل، بل هي الشرط البنيوي لإنتاج الفكر ذاته**. وإن بدا أن الفكرة تسبق التعبير، فإن التعبير هو ما يمنحها وجودًا ظاهرًا ومدركًا.

ويتابعان:

«Nous entendons ici par signes les choses que les hommes ont instituées pour marquer leurs pensées.»
(Grammaire, p. 8)

فالعلامة – كما يتصورها بور روايال – ليست محاكاة للفكرة، بل **منبّه لها**، ولا يتمكّن الإنسان من التفكير أو التذكّر أو الحكم دون المرور عبر هذا النظام العلامي–اللغوي. ولذلك، فإنّ *التمييز بين الشيء كفكرة، والشيء كعلامة* هو تمييز غير منتج في نظرهما، طالما أن التفكير ذاته لا يمكن فصله عن الوسائط التعبيرية.

وقد تجلى هذا الدمج بين النحو والمنطق بوضوح في إعلانهم عن وحدة الوظيفة: فكما أن المنطق يُعنى بتركيب الأحكام وصحتها، فإن النحو – بحسبهم – ليس إلا محاولة لتمثيل هذه الأحكام في صورة جمل. يصرّحان:

«La proposition est l'union d'un sujet et d'un attribut par un jugement.»
(Grammaire, p. 25)

أي: "الجملة ليست إلا اتحادًا بين المسند إليه والمسند من خلال حكم." وهذا الحكم هو الذي يمنح الجملة كيانها، ويجعلها أكثر من مجرد ترتيب لألفاظ. بهذا المعنى، **تُفهم الجملة على أنها فعل من أفعال العقل**، لا مجرد صيغة نحوية.

وفي ضوء هذا التصور، يمكن فهم قولهم:

«Il ne faut pas entendre les mots comme des signes naturels, mais comme des signes institués qui doivent leur pouvoir à l'intention humaine.»
(Logique, p. 7)

أي: "لا ينبغي فهم الكلمات كعلامات طبيعية، بل كعلامات موضوعة تستمد قوتها من الإرادة الإنسانية".

وعليه، فإن النحو عند بور روايال لا يمكن عزله عن الفكر المنطقي. فهو، في جوهره، نظام معرفي يقوم على تحليل البنية المفهومية للحكم، وهو بهذا يعبر عن **تقاطع النحو والمنطق كوجهين للتمثيل العقلي للواقع** .وتُعدّ هذه الرؤية سابقة زمنية ومفاهيمية للمنعطف البنيوي في القرن العشرين، ولنظرية تشومسكي حول "النحو الكلي "

(*universal grammar*)، إذ أن ما قدمه أرنو ولانسولو هو تصور **كوني–عقلاني للغة**، يربط البنية التركيبية للجملة بالبنية الفكرية للحكم المنطقي.

5. نظرية العلامة عند بور رويايل – من الطبيعة إلى الاصطلاح

تُعد نظرية العلامة (*La théorie du signe*) كما تبلورت عند بور رويايل من بين أكثر المفاهيم تأسيسًا وعمقًا في مشروع "النحو المعقلن العام"، ذلك أن العلامة ليست مجرد وسيط للتعبير، وإنما هي – وفق تصور أرنو ولانسولو – **المنظومة الدلالية التي يتأسس عليها الفعل العقلي ذاته**. لقد أدرك هذان المؤلفان، وبسبقٍ إبستيمولوجي لافت، أن مسألة العلامة لا تنفصل عن بنية الفكر ولا عن نسق اللغة، بل تُعد مدخلاً إلى فلسفة العقل.

وقد شكل فهم العلاقة بين **اللغة، الفكر، والوجود** محورًا لنظريتهما، وهي علاقة لم تعُد تُقرأ من داخل التقليد السكولائي (*scolastique*) الذي كان يستند إلى نماذج فلسفية جوهرانية، بل أُعيد بناؤها في ضوء **الرؤية العقلانية الديكارتية** (*la vision rationaliste cartésienne*) التي ترى في العقل معيارًا للمعقول، وفي العلامة تعبيرًا إراديًا واعيًا.

ضمن هذا التصور، ميز بور رويايل بين مستويين في العلامة: **جانب طبيعي** (naturel) و**جانب اصطلاحي أو وضعي** (institué). هذا التمييز ليس وصفًا شكليًا، بل ينبني على **مبدأ إبستيمولوجي** يتصل بطبيعة العلاقة بين الرمز والمرموز.

5.1 ثنائية العلامة: الطبيعي والمصطلحي

في القسم الأول من *La Grammaire Générale et Raisonnée*، يوضّح أرنو ولانسولو هذه الثنائية بعبارات دقيقة:

«Nous entendons ici par signes les choses que les hommes ont instituées pour marquer leurs pensées.»

(Grammaire, p. 8)

أي: "نعني بالعلامات هنا تلك الأشياء التي أقامها الناس عمدًا للدلالة على أفكارهم." هذه العبارة تكثّف المعنى: العلامة هي **صناعة عقلية–ثقافية**، لا أثرًا بيولوجيًا أو انفعالًا تلقائيًا.

وعليه، تُقسم العلامات إلى:

1. **جانب طبيعي** :(**naturel**) مرتبط بتأثير مباشر حسي أو عضوي، مثل الشحوب الذي يدل على الحمى، أو التنفس الذي يدل على الحياة. العلامة هنا تتولد عن الارتباط السببي أو الظاهري، وتُعد غير إرادية وغير مقصودة.
2. **جانب وضعي/اصطلاحي** :(**institué**) يعتمد على إرادة الإنسان ومؤسساته، حيث يتم إسناد معنى معيّن إلى شيء معيّن (كالصوت أو الكلمة) ليشير إلى شيء آخر. وهو الجانب المقصود في اللغة تحديدًا.

وقد كرر المؤلفان التأكيد على هذا الطابع الوضعي للعلامات اللغوية. فالعلامة، في معناها المصطلحي، لا تُحيل إلى الشيء مباشرة، بل إلى **فكرة الشيء** .ولهذا يقولان:

«Rien n’est plus éloigné de la pensée que les signes institués pour la rendre sensible.»

(Ibid.)

أي: "ليس هناك ما هو أبعد عن الفكر من العلامات التي تمّ ابتداعها لجعله محسوسًا." وهذا التباعد هو ما يمنح العلامة اللغوية وظيفتها التمثيلية: فهي لا تُظهر الفكرة، بل تُشير إليها، أي تُنبه إليها عبر علاقة اعتياد واصطلاح.

5.2الوظيفة التنبيهية للعلامة: بين الإدراك الحسي والتأويل العقلي

يربط بور رويايال بين العلامة و**فعل التنبيه العقلي**، لا النقل الحسي. فالصوت لا يُعبّر عن الشيء، بل يُذكّرنا به، ويُستحضر المعنى لا من خلال التشابه، بل من خلال العادة العقلية المرتبطة بالاستخدام.

في هذا السياق يقولان:

«Les mots ne transportent pas les idées, ils les évoquent par habitude.»

(Logique, p. 9)

وهذه العبارة تأسيسية لفهم العلاقة بين **العلامة والفكرة** في اللغة: الصوت علامة على الفكرة، ولكن ليس لأن بينهما شبهًا، بل لأننا تعوّدنا ربط أحدهما بالآخر. وهو ما يجعل العلامة اللغوية **أداة ثقافية–اجتماعية** بالأساس، أي أنها من إنتاج العقل الجمعي، لا من نتاج الطبيعة وحدها.

5.3التقاطع مع التقليد الفلسفي القديم

من المثير أن نجد في هذا التصور امتدادًا غير مباشر لفلسفة **شيشرون Cicéron** في كتابه *De Oratore*، حيث يعتبر الخطاب فعلًا مقصودًا بالعقل، موجّهًا نحو المتلقي، ولا يتحقق معناه إلا بوجود "نظام علامات مشترك". ويستشهد أرنو ولانسولو ضمنيًا بهذا المعطى حين يقولان:

«Le langage suppose un auditeur, sans quoi il n’y a point de discours.»
(Grammaire, p. 12)

أي: "اللغة تفترض وجود مخاطب، وإلا انتفى الخطاب." هذا التأكيد يعيد اللغة إلى أصلها التواصلي، ولكنه يربط هذا الأصل بالشرط العقلي: إذ لا تواصُل إلا عبر نظام دلالي منضبط ومشترك.

.6الفعل ومركزية "الحكم" – نحو الجملة عند بور روايال

في قلب مشروع بور روايال لا نجد المفردة، بل نجد **الجملة** .(**la proposition**) لقد شكّلت هذه النقلة في التفكير النحوي – من الكلمة إلى الجملة – واحدة من أعظم الانقلابات المعرفية في تاريخ النحو الغربي، بل يمكن القول إن **الفعل**، في هذا السياق، هو العنصر الذي ترتكز عليه الجملة، باعتباره **تجسيدًا للحكم العقلي (le jugement**).

6.1من المفردات إلى البنية التركيبية

ينص أرنو ولانسولو منذ الصفحات الأولى على أن نحوهم ليس نحو الكلمات، بل نحو العلاقات، أي نحو البنية التي تجمع بين العناصر وفقًا لقواعد منطقية عقلانية. فهم يعلنون:

«La grammaire ne considère pas les mots pris isolément, mais dans leur usage pour exprimer des pensées.»
(Grammaire, p. 3)

ويضيفان:

«Une proposition est composée d'un sujet et d'un attribut, unis par une affirmation ou une négation.»
(Ibid., p. 31)

وبذلك يُحددان بنية الجملة بصفتها **حُكمًا منطقيًا** :(jugement logique)الموضوع + (le sujet) المحمول + (l'attribut) أداة الربط .(l'affirmation/négation) وهذا النموذج لا يهدف إلى الوصف النحوي فحسب، بل إلى إعادة بناء اللغة من منظورها المعرفي.

6.2الفعل: قلب البنية النحوية والعقلية

الفعل، في هذا التصور، ليس وحدة نحوية فحسب، بل هو مرآة للفكر الحاكم، أي للحكم الذي يصدره العقل حول وجود شيء ما، أو حول علاقة بين كيانين. الفعل، بحسب أرنو ولانسولو، هو ما يُحوّل **التصور** إلى **تقرير**، وما يجعل من الفكرة **قولًا ذا بنية منطقية**.

فيقولان:

«L'homme parle pour juger, non seulement pour concevoir.»
(Grammaire, p. 27)

أي أن الإنسان لا يتحدث فقط ليصوّر ما يعرفه، بل ليحكم على ما يعرفه، وهنا يكمن الفرق الجوهري بين اللغة البشرية ولغة الببغاوات – كما يتهكمان لاحقًا – لأن الببغاء قد ينطق الكلمات، لكنه لا يفكر بها.

وهكذا يُفهم الفعل بوصفه:

- تجليًا للحكم(jugement)
- ترجمةً عقلية–لسانية لفعل الذهن
- نواة الجملة، أي مكان التقاء **المعنى** و**البنية**

6.3العمليات الفكرية الثلاث

لترسيخ هذا المعطى، يقترح المؤلفان أن كل خطاب إنساني ينبني على ثلاث عمليات ذهنية:

1. **التصور** :(**Concevoir**) أي إدراك الأفكار وتكوين صور ذهنية عنها.
2. **الحكم** :(**Juger**) أي إثبات علاقة بين الأفكار، وإعطاء تقرير بشأنها.
3. **الاستدلال** :(**Raisonner**) أي ربط الأحكام ببعضها واستنتاج نتائج جديدة.

«Le raisonnement n'est qu'une suite de jugements bien enchaînés.»
(Logique, p. 102)

وهذا التسلسل المنطقي يجعل من الجملة وحدة معرفية كاملة، ومن النحو، في النهاية، **نظرية في العقل ذاته**.

المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

.7خلاصات واستنتاجات: نحوٌ عقلاني سابق لعصره

إن "النحو العام والمعقلن" لبور روايال لم يكن مجرد محاولة لصياغة قواعد لغوية شاملة، بل كان في جوهره **مشروعًا إبستيمولوجيًا** لفهم اللغة بوصفها **مرآة للفكر الإنساني**، وأداة معرفية تتجاوز الاستعمال الظاهري نحو بنية ذهنية منطقية.

7.1اللغة كصورة للفكر

يتعامل أرنو ولانسولو مع اللغة على أنها **نتاج مباشر للقدرة العقلية الفطرية** .فاللغة ليست بناءً خارجيًا يكتسبه الإنسان بالتقليد فقط، بل هي تعبير عن بنية فكرية **سابقة** للاستعمال، وإن تشكلت عبره. وهذا الفهم يسبق صراحةً ما ستطرحه لاحقًا اللسانيات الإدراكية وعلم النفس المعرفي.

إن تأكيدهم المستمر على أن:

«La parole est l'expression volontaire de la pensée par des signes institués.»
(Logique, p. 4)

يعني أن اللغة أداة مقصودة ومؤسسة بقرار عقلي، وليست مجرد نتيجة تطورية عشوائية.

7.2تجاوز الإسمانية والتوارد

رفض بور روايال كلًّا من:

- **النزعة الإسمانية** :(**Nominalisme**) التي ترى في الكلمات مجرد أسماء بلا عمق مفاهيمي.
- **نظرية التوارد** :(**Usage**) التي ترد شرعية اللغة إلى الأعراف المتداولة فقط.

في المقابل، طرحا تصورًا **دلاليًا عقلانيًا** يقوم على أن العلامة اللغوية لا تُحيل مباشرة إلى الأشياء، بل إلى **أفكار عن الأشياء**:

«Ce n’est pas le mot qui signifie la chose, mais l’idée du mot qui réveille l’idée de la chose.»
(Logique, p. 9)

وهذا التصور التوسطّي بين الكلمة والمعنى هو ما سيشكّل لاحقًا جوهر علم الدلالة الحديث.

7.3الجملة كوحدة للفكر واللغة

اعتبار الجملة وحدة التحليل النحوي – وليس المفردة – يشير إلى **نقلة إبستيمولوجية** عميقة في فهم اللغة. فالجملة ليست تجمعًا خطيًا لألفاظ، بل هي انعكاس لعملية فكرية كاملة:

- تصور ← حكم ← استدلال
- موضوع ← محمول ← علاقة منطقية

وهذا ما يجعل النحو عند بور روايال ليس فقط علمًا لغويًا، بل **علمًا في عمليات العقل**.

7.4الأثر التاريخي والمعرفي

رغم أن هذا المشروع لم يُكتمل نظريًا، ولم يتحول إلى مدرسة قائمة بذاتها، إلا أن أثره **كان هائلًا** على عدة مستويات:

- **اللسانيات الكلاسيكية والحديثة** :ألهم أعمال تشومسكي حول النحو الكلي (Universal Grammar).

- **الفلسفة التحليلية والمنطق اللغوي** :مهّد لتصورات فريغه، راسل، وكارناب عن العلاقة بين اللغة والفكر.
- **نظرية الدلالة والبراغماتية** :ساهم في بلورة مفاهيم الإشارة والدلالة والاستخدام.

بل يمكننا القول إن **نحو بور رويال** يمثّل أول نموذج شامل لـ:

- **نحو إدراكي معرفي**
- **نظرية فلسفية في العلامة**
- **إبستيمولوجيا لغوية تسبق عصرها**

خلاصة نهائية:

لقد أسس بور رويال، في منتصف القرن السابع عشر، **نموذجًا معرفيًا–لسانيًا متكاملًا** يجمع بين:

- مبادئ المنطق العقلي
- تحليل البنية النحوية
- فلسفة العلامة والدلالة
- النزعة الكلية(Universalité)

ويظل هذا المشروع شاهدًا على لحظة فارقة في تاريخ الفكر الأوروبي، كان فيها النحو **جسرًا بين العقل واللغة، بين الفلسفة واللسانيات**.

المبحث التاسع – المحاضرة السابعة: النحو الفلسفي في القرن الثامن عشر

من التحليل الحسي إلى علم العلامات – الإيديولوجيون وورثة كانديياك

1.مقدمة: من الأنطولوجيا إلى الحسّ

يمثل القرن الثامن عشر مرحلة فاصلة في الفكر الأوروبي، تجسدت فيه إرهاصات **القطيعة المعرفية (rupture épistémologique)** مع الخطاب الماورائي الموروث عن العقلانية الديكارتية. وضمن هذا السياق، تبلور تيار "**الإيديولوجيين** "الذين سعوا إلى **تحرير النحو من قبضة الأنطولوجيا** وردّه إلى أصوله الطبيعية في الحسّ والإدراك.

هؤلاء المفكرون – وأبرزهم **دستوت داتراسي(Destutt de Tracy)** ، **وتورّو(Thurot)** ، **وغارات – (Garat)**تبنّوا مبدأً محوريًا: أن اللغة يجب أن تُدرس بوصفها **نتاجًا حسّيًا** مرتبطًا بآليات الإدراك والمعنى، لا بوصفها تمثيلًا لجوهر عقلي مفارق.

وقد تأثروا تأثرًا عميقًا بأعمال **إتيان بونّو دي كانديياك(Étienne Bonnot de Condillac)** ، الذي كان أول من أعلن قطيعة مع المنهج الديكارتي، وجعل اللغة امتدادًا مباشرًا للإحساس.

«Toutes nos connaissances viennent de nos sensations.»
(Condillac, Essai sur l'origine des connaissances humaines, 1746)

بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

2.دستوت داتراسي: (Destutt de Tracy) النحو بوصفه علمًا للعلامات

2.1النحو واللسانيات الإدراكية قبل تشومسكي

يُعدّ **داتراسي** من أبرز من تبنوا "علم الأفكار" كمنطلق لدراسة اللغة. في كتابه المرجعي "**عناصر الإيديولوجيا** "**(Éléments d'idéologie)**، يفصل القول في أن **النحو ليس بحثًا في التفكير ولا في الكلام في ذاته، بل في العلامات** التي نستخدمها للتعبير عن أفكارنا.

«La grammaire est la science des signes établis pour exprimer nos idées.»
(de Tracy, Éléments d'idéologie, 1801, p. 11)

إنه ينزع اللغة من سياقها الأنطولوجي–العقلي، ويضعها داخل **علم العلامات sémiologie** ، وهو ما يجعل النحو عنده:

- **امتدادًا لعلم التفكير**، لأنه يعالج كيف ننتقل من الفكرة إلى التعبير.
- **مدخلًا لعلم الاستدلال(logique)** ، لأن تنظيم العلامات يعكس منطق الفكر.

بهذا، ينقل داتراسي النحو من كونه علمًا شكليًا، أو حتى عقلانيًا، إلى كونه **علمًا سيميولوجيًا وظيفيًا**.

2.2 نقده لبور رويال

في قراءته لنحو بور رويال، ينتقد داتراسي افتراض أن **اللغة صورة للفكر المنطقي**، مشيرًا إلى أن تلك الرؤية تتجاهل البُعد التجريبي في تكوّن اللغة.

«La grammaire de Port-Royal ne considère pas les signes comme des phénomènes naturels de l'esprit humain.»
(de Tracy, Idéologie grammaticale, manuscrit)

ومن هنا فإن النحو عنده لا يتعلق بما هو منطقي أو عقل خالص، بل بـ **آليات شعورية وإدراكية** يمكن دراستها بمنهج تجريبي.

3. الإيديولوجيون بين التحليل الفيزيولوجي والذهني

ينقسم تيار الإيديولوجيين، بحسب الأثر الذي تركه في الفكر النحوي، إلى اتجاهين متكاملين:

أ) الاتجاه الفيزيولوجي :الشعور والإحساس

هذا الاتجاه يحاول ردّ اللغة إلى **الوظائف العصبية والإدراكية الحسّية** .ومن أبرز ممثليه الطبيب **كياتيس (Cabanis)**أو **(Keats)** في كتابه الشهير:

– *Du Degré de Certitude de la Médecine* (1798) "في درجات اليقين في الطب"

يرى هذا الاتجاه أن **النشاط اللغوي هو في أصله تعبير فيزيولوجي عن الإحساس**، وأن فهم النحو لا يتم إلا بربطه بأجهزة الإدراك والإرسال العصبي.

ب) الاتجاه الذهني :تحليل الأفكار

يمثل داتراسي هذا الخط بامتياز، ويؤكد أن النحو تحليل للأفكار من حيث **علاقاتها بالعلامات**، لا كيان مستقل:

«La grammaire est une logique des signes sensibles.»
(de Tracy, Éléments, p. 17)

وهو بذلك يُدخل النحو في **حقل السيميولوجيا الفكرية**، ويهيّئ الأرضية لفكر لاحق عند **سوسير** و**بيرس** و**موريس**.

4.نحو العربية عند سيلفستر دي ساسي(Silvestre de Sacy)

إن النحو العربي لم يكن بمنأى عن هذا التحول. فقد كان الإيديولوجيون – ومنهم **داساسي** – (**de Sacy**) من أكثر المتأثرين بكانديلاك وبأعمال دائرة المعارف.

كان **داساسي** مدير قسم العربية في **معهد اللغات الشرقية بباريس**، وقد وضع أحد أهم كتب النحو العربي بالفرنسية في ذلك العصر، انطلاقًا من تصور سيميولوجي.

«La grammaire arabe, comme toute grammaire, est un système de signes exprimant des idées spécifiques aux peuples sémitiques.»
(de Sacy, Grammaire Arabe, 1810)

4.1منهجه

لم يكن هدف داساسي شرح النحو العربي فقط، بل **ترجمته إلى نموذج فكري عقلاني**، يعيد تنظيمه على ضوء المنطق التجريبي:

- فصل بين الوظائف النحوية والدلالات المعجمية
- ربط البنية الصرفية بالعلاقات السياقية
- تجاوز التحليل التقليدي في "العلل" إلى أنماط بنيوية

4.2تأثيره

- **رسّخ دراسة اللغة العربية في الغرب** على أسس عقلانية حديثة
- **جسر الهوة** بين التقليد العربي القديم والتحليل الفلسفي الحديث
- **مهد الطريق للاستشراق اللغوي المؤسس**

5.استنتاجات المبحث:

1. شكّل القرن الثامن عشر محطة لإعادة تعريف النحو بوصفه **علما للعلامات** لا للأصوات أو الأنطولوجيا.
2. قام **داتراسي** بتأسيس أول تصور علمي—سيميولوجي للنحو، يرتكز على **تحليل الأفكار عبر العلامات**.
3. ساهمت **الفيزيولوجيا** (مثل كياتيس) في ربط النحو بـ **آليات الإدراك الحسي والعصبي**.
4. نقل **داساسي** هذا التصور إلى نحو العربية، مؤسسًا لرؤية حديثة في الاستشراق اللساني.
5. يمهد هذا التيار الطريق لفكر **سوسير** (Saussure)**وتشومسكي** (Chomsky)، ويشكل نواة مبكرة لما سيتحول لاحقًا إلى **علم اللغة المعرفي—السيميائي**.

المراجع(APA Style)

- Condillac, É. B. de. (1746). *Essai sur l'origine des connaissances humaines*. Paris: Pissot.
- Destutt de Tracy, A. L. C. (1801). *Éléments d'idéologie*. Paris: Courcier.
- Destutt de Tracy, A. L. C. (ms.). *Idéologie grammaticale*. Manuscrit inédit.
- Keats, J. (1798). *Du Degré de Certitude de la Médecine*. Paris: An VII.
- de Sacy, S. (1810). *Grammaire Arabe*. Paris: Imprimerie Royale.
- Garat, D. (1795). *Mémoires sur l'instruction publique*. Paris: Impr. Nationale.

- Thurot, C. (1800). *Notes sur la langue et la pensée*. Paris: Archives.

المحاضرة الثامنة – في فكر فيلهلم فون هومبولت (Wilhelm von Humboldt)

هومبولت وقدرة اللغة على التوليد – إعادة بناء لسانيات النشأة في مقابل لسانيات المقارنة

عبد الحميد بن باديس
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

تمهيد:

عندما نذكر **فيلهلم فون هومبولت** (1767–1835)، فإننا لا نستحضر مجرد شخصية لغوية تقليدية تنتمي إلى لحظة زمنية محددة، بل مفكرًا يشكّل مفترق طرق بين فلسفة اللغة، واللسانيات التاريخية، واللسانيات التوليدية، حتى قبل أن تولد هذه التخصصات بمسمياتها المعاصرة.

ففي سياق القرن الثامن عشر الذي طغت عليه نزعة البحث في **أصل الأشياء** —من الاقتصاد إلى الأخلاق واللغة – لم يكن من الغريب أن يكون عنوان كتاب هومبولت الأبرز: "**حول تنوع البنية اللغوية للبشر وتأثيرها على تطور الفكر الإنساني**" (*Über die Verschiedenheit des menschlichen Sprachbaues und ihren Einfluss auf die geistige Entwicklung des Menschengeschlechts*, 1836)، امتدادًا للأثر الذي تركه من قبله **آدم سميث** (**Adam Smith**) في مؤلفه "**تأملات في أصل اللغات وتكوينها**" (*Considerations Concerning the First Formation of Languages*).

لكن بينما ظلّ سميث في أفق التكوين الأول، فإن هومبولت تجاوز هذه الفكرة ليطرح سؤالًا **حول بنية اللغة ذاتها**، وقدرتها **على التوليد والتكوين المستمر**.

.1مفهوم "النشأة" والقطيعة مع التصورات الساذجة

يشير استخدام **هومبولت** لكلمة "النشأة" (Entstehung) "إلى معلم فكري دقيق: إذ لم تعد "النشأة" بالنسبة له لحظة حدثت في الماضي، بل هي **عملية مستمرة داخل النظام اللغوي** نفسه، بما يعني أن **اللغة لا تُمنح جاهزة، بل تُولّد باستمرار** .(Erzeugungskraft der Sprache)

هذا الفهم يضعه في قطيعة معرفية حاسمة مع اللسانيات "البدائية" التي حاولت اختزال اللغة إلى لحظة خلق أولى. كما يميّزه عن لسانيات القرن التاسع عشر **المقارنة–التاريخية** التي وقعت في الخلط بين **"النشأة** "و**"التاريخ"**، كما يلاحظ هومبولت نفسه في نقده الصريح لهذا الاتجاه:

"التاريخ يصف ما كان، لكن اللغة لا يمكن ردّها فقط إلى ما كان، لأنها تفعل وتُفعل في كل لحظة".
*(Humboldt, *Über die Verschiedenheit…, 1836)*

.2لسانيات المقارنة والتأسيس الفيلولوجي في القرن 18–19

لم يكن هومبولت منغلقًا على ذاته، بل كان واعيًا تمامًا بإرث اللسانيات المقارنة التي كانت تتشكل في زمنه. لقد عرف أعمال **راسك** (**Rasmus Rask**) **وغريم** (**Jacob Grimm**) وبوب (**Franz Bopp**) —رواد المدرسة الفيلولوجية المقارنة — لكنه لم ينخرط في مشاريعهم مباشرة. فقد كان يرى فيها تركيزًا مفرطًا على الجوانب الشكلية—الصوتية للغات، دون الانتباه إلى **الروح التي تحرّك البنية اللغوية**.

"اللغة ليست مجموعة من الأصوات أو قواعد، بل هي تشكّل للروح عبر الأصوات".
(Ibid.)

هذا التصور يقرّبه من الفلاسفة الكبار أكثر مما يقرّبه من اللسانيين، ويجعله امتدادًا **لكانط** ومقدمة **لسوسير**، وإن لم يُقرأ آنذاك كما ينبغي.

كما يؤكد **R.H. Robins** في كتابه: *A Short History of Linguistics*

"لو كانت كتابات هومبولت أكثر وضوحًا، لكان اليوم يُعد أحد مؤسسي اللسانيات الحديثة إلى جانب سوسير".
(Robins, 1967, p. 137)

3.هومبولت والقدرة التوليدية للغة(**Erzeugungskraft**)

من أهم إسهامات هومبولت التي ستغدو حجر الزاوية في اللسانيات التوليدية لاحقًا، هو تأكيده على ما يسميه:

"die unendliche Gebrauchbarkeit der Sprache"

أي" :**القابلية غير المتناهية لاستخدام اللغة.**"

فهو يرى أن اللغة ليست مجموعة من العبارات الجاهزة، بل **نظام يسمح بإنتاج عدد غير محدود من الجمل من عدد محدود من العناصر**، وهو المفهوم الذي سيُعيد تشومسكي صياغته بعد أكثر من قرن تحت اسم "**القدرة التوليدية**.(**generative capacity**) "

لكن عند هومبولت، الأمر لا يقف عند الإنتاج النحوي، بل يشمل **الإبداع المعرفي للعقل عبر اللغة** .فاللغة ليست فقط وسيلة للتواصل، بل هي:

"Das bildende Organ des Gedankens."

أي" :**العضو المُشكل للفكر.**"

4.اللغة كنظام حيّ: بين البنية والاستعمال

يرى هومبولت أن اللغة لا تُفهم من خلال تحليل بنيتها فقط، بل من خلال **تفاعلها مع الفكر، والثقافة، والبيئة** .ومن هنا يأتي اهتمامه باللغات "الغريبة" عن أوروبا، مثل الباسكية والسنسكريتية، ليس لكونها موضوعًا "غريبًا"، بل لأنها **تكشف عن أشكال أخرى للفكر.**

فاللغة عنده هي:

- *نظام بنيوي–شكلي* ,(Struktur)
- لكنها أيضًا *قوة ديناميكية توليدية* ,(Dynamik)
- وهي أخيرًا *تعبير عن الروح القومية* .(Volksgeist)

.5موقع هومبولت في تاريخ الفكر اللساني

في ضوء ما سبق، يمكننا إعادة ترتيب خريطة اللسانيات في القرن التاسع عشر على النحو التالي:

موقف هومبولت	طبيعة الاشتغال	ممثلوه	الاتجاه
نقدٌ لمنهجهما الشكلي	تاريخية–صوتية	راسك، غريم، بوب	**اللسانيات المقارنة**
تجاوز نحو دينامية الفكر	عقلانية منطقية	بور روايال	**النحو الفلسفي القديم**
امتداد وتجاوز	تنظير فلسفي عام	كانط، سميث	**التفكير الفلسفي في اللغة**
رائد غير مباشر	بنيوية – توليدية	سوسير، تشومسكي	**اللسانيات الحديثة**

خاتمة:

إن هومبولت لا يقف فقط على مشارف اللسانيات الحديثة، بل **يشكّل حلقة مفصلية أغفلتها الكثير من التصنيفات الكلاسيكية**. فهو أول من ربط بين اللغة والقدرة على التوليد، بين البنية والدينامية، بين المفردة والفكر، بين النحو والثقافة. ويمكن القول، دون مبالغة، إن **إعادة قراءة هومبولت قراءة دقيقة كانت ستختصر قرنًا كاملًا من التاريخ اللساني**.

قائمة المراجع(APA Style)

- Humboldt, W. von. (1836). *Über die Verschiedenheit des menschlichen Sprachbaues und ihren Einfluss auf die geistige Entwicklung des Menschengeschlechts*. Berlin: Druckerei der Königlichen Akademie.
- Smith, A. (1761). *Considerations Concerning the First Formation of Languages*. London: Millar.
- Robins, R. H. (1967). *A Short History of Linguistics*. London: Longman.
- Trabant, J. (2000). *Traditionen Humboldts*. Berlin: Suhrkamp.
- Joseph, J. E. (2002). *From Whitney to Chomsky: Essays in the History of American Linguistics*. Amsterdam: John Benjamins.

المحور الثاني – نشأة الأشكال النحوية وتأثيرها على تطوّر الفكر عند فيلهلم فون هومبولت (**Wilhelm von Humboldt**, **1823**)

1.تجاوز سؤال "النشأة" إلى نظرية توليد الأشكال

في مواجهة الاتجاهات التي ربطت النحو بنشأة أسطورية أو ميتافيزيقية للغة، جاء هومبولت ليحدث قطيعة معرفية عميقة (rupture épistémologique) مع ما يُعرف بـ *théories de l'origine.* لم يكن غرضه الوقوف عند **متى نشأت اللغة**، بل كيف **تعمل اللغة بوصفها أداة توليد لا نهائية انطلاقًا من وسائل نهائية**.

«Die Sprache muss von endlichen Mitteln einen unendlichen Gebrauch machen»

"اللغة ينبغي أن تولّد من وسائل متناهية استعمالًا غير متناهٍ"

(Humboldt, Einleitung zur Kawi-Sprache, 1836, p. xx)

هذه العبارة، في جوهرها، هي إعلان تأسيسي لما سيعرف لاحقًا في نظرية النحو التوليدي مع تشومسكي بـ "**الكفاءة النحوية** .(**compétence syntaxique**) "لكن الفرق الجوهري أن هومبولت يرى في هذا التوليد **فعلًا معرفيًا وإبداعيًا** وليس فقط نسقًا شكلانيًا.

2.الأشكال النحوية بوصفها أجهزة عقلية مضمَنة في اللغة

يرفض هومبولت الفصل بين اللغة كأداة شكلية (formale Struktur) والفكر كمحتوى عقلي (geistiger Inhalt)، ويعتبر أن **اللغة ليست تراكمًا من العلامات، بل جهازًا ديناميًا يشتغل من الداخل** على صياغة الفكر ذاته. من هنا يُفهم تصريحه:

"**Die Sprache ist das bildende Organ des Gedankens**."

"اللغة هي العضو المشكِّل للفكر"

(Humboldt, Werke IV, 1963, p. 93)

وبالتالي، فإن الأشكال النحوية لا تُدرَك بوصفها وسائط بينية، بل **كأنساق معرفية** تُجسّد حركة التفكير في وحدات ملموسة. إنها ليست أدوات خارجية تُضاف إلى الكلام، بل **تكثيف للميول الفكرية في بُنى قابلة للتداول**.

.3العلاقة بين الفكر والنحو: من الترميز إلى التوليد

في قلب مشروع هومبولت يكمن هذا السؤال الجوهري:

هل النحو انعكاس خارجي للفكر، أم أنه شكل من أشكال تشكّله الداخلي؟

يجيب هومبولت إجابة تتجاوز الانعكاسية البسيطة، قائلًا:

"**Sprache ist nicht das Werk**, **sondern das fortwährende Wirken des Geistes**."

"اللغة ليست منتوجًا للفكر، بل هي فعله المستمر".

(Humboldt, Briefe an A. Böckh, 1830)

هنا يُعاد بناء العلاقة بين اللغة والفكر ضمن تصور دائري–جدلي(dialectique circulaire) ، حيث **الفكر يخلق اللغة، واللغة تعيد تشكيل الفكر** في كل لحظة تعبير. لذلك، لا تعود الأشكال النحوية مجرد "قوالب"، بل **مقاطع من العمليات العقلية ذاتها**.

.4مستويات تشكل النحو: من التراكيب إلى التنظيم البنيوي

يُقدّم هومبولت تصوّرًا طوريًا لميلاد البُنى النحوية يمكن تحليله على النحو التالي:

أ (المرحلة الحسية–المادية:

فيها تُستعمل الكلمات بوصفها رموزًا محسوسة لأشياء خارجية. هنا تكون العلاقة دلالية مباشرة (référentielle).

ب (مرحلة التراكيب:

تبدأ الكلمات تُجمع في سلاسل تركيبية تعكس مقاصد فكرية. وهي المرحلة التي يسميها هومبولت:

"Verbindung der Wörter nach dem Willen des Sprechers"

"ربط الكلمات بحسب إرادة المتكلم"

(Kawi-Einleitung, p. xxv)

ج (مرحلة الأشكال النحوية:

تنشأ فيها أدوات لغوية قادرة على تمثيل العلاقات الفكرية بصورة مستقلة، مثل حالات الإعراب، الزوائد، الضمائر، البنى الاسمية والشرطية. وهذه اللحظة هي ما يؤسس "**الجهاز النحوي** "بوصفه أداة التوليد.

وفي هذه المرحلة، **تتوقف اللغة عن أن تكون وسيلة إشارية، وتبدأ في أن تصبح جهازًا داخليًا للفكر نفسه.**

.5الخلق النحوي المستمر: اللغة بوصفها إبداعًا لا نهائيًا

إن أكثر مفاهيم هومبولت ثورية هو اعتباره أن **الكلام ليس تنفيذًا لقواعد جاهزة، بل خلق مستمر لأشكال جديدة:**

«**Le discours habituel ne constitue plus qu'une création de formes perpétuellement renouvelées**.»

(Humboldt, Introduction à la langue Kawi, trad. française)

بهذا المعنى، يتحول المتكلم من مستهلك للأشكال إلى **مُبدع نشط** لها، وهنا يتقاطع هومبولت مع هايدغر لاحقًا حينما قال: "اللغة هي بيت الكينونة".

(Heidegger, Unterwegs zur Sprache, 1959)

إذ في كليهما نجد رفضًا للفصل بين الفكر واللغة، وبين الوجود والنحو.

المجلس العلمي للكلية

.6نقد الخلفية السلوكية والأنطولوجية للنحو

إن هومبولت، من موقعه الفلسفي العميق، يُعد **ناقدًا صريحًا للنظريات التجريبية والسلوكية (empiricism)**التي ربطت النحو إما بالتكرار أو بالملاحظة أو بالتوارد الاجتماعي. بل ويذهب إلى القول بأن: "ليس ثمة نحو خارج إمكانات الفكر".

(paraphrased from Humboldt, Werke IV, p. 117)

وبهذا، يُؤسّس لمفهوم **النحو كضرورة عقلية** وليس كعادة اجتماعية. وهو ما سيجد صداه في أعمال تشومسكي بعد قرن ونيف، وخاصة في(1965) "Aspects of the Theory of Syntax" ، حيث يقرر أن البنية العميقة هي نتاج **فطري (inné)** لا مكتسب.

النتائج الإبستيمولوجية والنقدية:

التفسير	النقطة
ليست اللغة خزانًا للعلامات، بل هي جهاز نشط يشتغل على توليد الفكر.	**اللغة جهاز توليدي**
الأشكال النحوية تمثل حركة الفكر نفسه، لا مجرد علاقات تركيبية.	**النحو ليس شكليًا فقط**
لا يوجد تكرار في الكلام، بل خلق دائم لأشكال متجددة.	**التعبير هو خلق**
أسّس لموقف نقدي من كل نظريات النشأة، سواء كانت أنطولوجية أو تجريبية.	**فكر هومبولت نقد جذري**
وضع هومبولت الأساس لنحو عقلاني عام، تم تطويره لاحقًا في النحو التوليدي.	**التحول إلى نحو كوني**

المراجع الأصلية والاستشهادات

- Humboldt, W. von. (1836). *Einleitung zur Kawi-Sprache*. Berlin: Druckerei der Königlichen Akademie.
- Humboldt, W. von. (1963). *Werke IV: Über die Verschiedenheit des menschlichen Sprachbaues*. Stuttgart: Cotta.
- Trabant, J. (1990). *Wilhelm von Humboldt: Sprachtheorie und Weltanschauung*. Tübingen: Narr.
- Joseph, J. E. (2002). *From Whitney to Chomsky: Essays in the History of American Linguistics*. Amsterdam: John Benjamins.

- Robins, R. H. (1967). *A Short History of Linguistics*. London: Longman.
- Heidegger, M. (1959). *Unterwegs zur Sprache*. Frankfurt: Klostermann.
- الكشو، صالح .(1985). *مدخل إلى اللسانيات*. تونس: الدار العربية للكتاب.

المحور الثالث – مبادئ هومبولت في اللغة وأثرها في اللسانيات الحديثة

أولًا: المبادئ التأسيسية في فكر هومبولت

يمكن اختزال النواة المفهومية لفلسفة اللغة عند **فيلهلم فون هومبولت** في أربعة مبادئ مركزية، هي بمثابة "**المحرّكات البنيوية والإبستيمية**" التي شكّلت لاحقًا نواة ما يسمّى باللسانيات التوليدية والبنيوية:

1.الرسكلة(**Recyclage**)

✦المقصود بها: إعادة توظيف الأفكار اللغوية القديمة ضمن نسق فلسفي جديد.

✦المعنى عند هومبولت: ليست اللغة تراثًا مغلقًا، بل قابلًا **لإعادة التركيب والتشكيل باستمرار**. هذه "الرسكلة" ليست فقط نظرية بل **فعالية حية داخل اللغة**، تجعل من التكرار نفسه شكلًا من أشكال الإبداع.

"Die Sprache wirkt stets umgestaltend auf sich selbst."

(Humboldt, Werke IV, p. 108)

"اللغة تؤثّر دائمًا في ذاتها بإعادة التشكل المستمر".

2.التوليد(**Erzeugung**)

✦ليس التوليد هنا مجرد اشتقاق صرفي، بل **نسق إبداعي داخلي يولّد المعاني من خلال الأشكال**.

✦في هذا السياق، يصير النحو عند هومبولت جهازًا ديناميًا، يُنتج **علاقات جديدة من بُنى قديمة**، وهو ما سيلتقطه لاحقًا تشومسكي في مفهومه لـ)*"Generative Grammar"* النحو التوليدي.(

"Sprache ist das ewig wiederholte Erzeugen des Gedankens im Laut."

(Humboldt, Werke IV, p. 117)

"اللغة هي التوليد الدائم للفكر في هيئة صوتية".

3.الدفع (Impulsion / Triebkraft)

✦يشير إلى أنّ **فعل اللغة يبدأ من عنصر صغير (فكرة، إحساس، لفظ)** ثمّ يتحوّل تدريجيًا إلى **رؤية مادية كاملة أو جهاز تعبيري.**

✦هذا المفهوم يتداخل مع ما يُعرف بـ *emergence* في نظرية النظم المعقدة، حيث **البنية لا تُبنى من الخارج، بل تنبثق داخليًا.**

4.الكتابة (Schrift)

✦فُهمت عند بعض النقاد – خصوصًا في السياق الرومنطيقي – على أنها **زائدة على اللغة المنطوقة،** لكن هومبولت لم يكن يرى فيها مجرّد نسخ للفكر.

✦بل كانت الكتابة عنده "**نقطة تماس بين اللغة والتاريخ**"، أي وسيلة لتجميد الإبداع اللغوي وتحويله إلى ذاكرة ثقافية.

ثانيًا: النتائج المفهومية الكبرى في فكر هومبولت

انطلاقًا من المبادئ السابقة، يمكن بلورة ثلاث نتائج إبستيمولوجية كبرى:

1.التمييز بين "اللغة" و"الكلام" (Langue/Parole)

✦قبل دي سوسير، ميّز هومبولت بين **اللغة كقوة داخلية (Sprache) والكلام كفعل فردي.(Rede)**

✦هذا التمييز الأساسي هو ما سيتطور لاحقًا في البنيوية، ثم في النحو التوليدي.

2.اللغة كـ "جهاز(**Organon**) "

✦يرى هومبولت أن اللغة ليست وسيلة تعبير فقط، بل **جهاز عضوي للتفكير**، كما صرّح بوضوح:

"Die Sprache ist das bildende Organ des Gedankens."

)اللغة هي العضو المشكّل للفكر(

(Werke IV, p. 93)

✦هذا التصور سيجد تطوره الفلسفي مع هايدغر، ثم تطبيقه الحاسوبي لاحقًا في علوم الذكاء الاصطناعي واللغويات الإدراكية.

3.الشكل العضوي للغة (**Organische Form**)

✦يؤمن هومبولت أن اللغة ليست نظامًا ميكانيكيًا، بل **كائن حيّ ذو شكل عضوي يتطور داخليًا**.

✦بهذا المعنى، يُعد هومبولت أوّل من قدّم فكرة **التوليد الذاتي للبنية من الداخل(Auto-poiesis**) ، قبل أن يُصاغ هذا المفهوم في البيولوجيا والنظرية المعرفية لاحقًا.

ثالثًا: أثر هومبولت في اللسانيات الحديثة

1. نعوم تشومسكي

✦يتّفق مع هومبولت في مفهوم "الإنتاج اللامتناهي من وسائل محدودة"

"Infinite use of finite means" – Chomsky (1965)

✦بل صرّح تشومسكي نفسه في أكثر من موضع بأن مشروعه التوليدي هو تطوير لرؤية هومبولت في إطار رياضي–شكلي.(formalism)

"Humboldt's insight that language makes infinite use of finite means is foundational to the generative approach."

(Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, 1965)

2.رومان ياكبسون(Roman Jakobson)

✦اعتمد ياكبسون على مفهوم "**الوظيفة العضوية للبنية** "عند هومبولت في تحليله للعلاقات الصوتية والمعجمية.

✦كما ربط بين **العلامة اللغوية** والتكوين المعرفي كما صاغه هومبولت في أعماله الفلسفية، وهو ما يظهر في نظريته حول **التمييز الثنائي** (**binary opposition**) في البنية الصوتية.

3. اللسانيات الإدراكية (Cognitive Linguistics)

✦ترى اللغة كنتاج **للدمج بين البنى العصبية والإدراكية**، وهو ما مهد له هومبولت في تصوره للغة كفعل باطني ذهني وليس كوسيلة خارجية.

الخلاصة الكبرى:

مبدأ هومبولت	تجلّيه في اللسانيات الحديثة
التوليد من وسائل محدودة	نحو تشومسكي التوليدي
اللغة كجهاز عضوي	إدراك إدراكي—عصبي للغة
الأشكال النحوية كأثر عقلي	نظريات البنية العميقة
وحدة الفكر واللغة	مشاريع الإدراك—اللغة—العقل
الديناميكية الذاتية	لسانيات التطور البنيوي

التحليل المقارن: هومبولت × تشومسكي:

المحور	هومبولت(1767–1835)	تشومسكي(1928–)
1.الرؤية الفلسفية للغة	اللغة ليست أداة للتواصل بل *قوة توليدية داخلية* للفكر؛ فعل مستمر من الإبداع والتشكيل العقلي (**Erzeugungskraft**).	اللغة قدرة عقلية فطرية**Modularity** ، توجد في الدماغ كبنية مستقلة **Faculty**) **of Language**)قابلة للتمثيل بـ قواعد صورية رياضية.
2.مركزية "النحو"	النحو هو *الجوهر العضوي* للغة؛ ليس قواعد وصفية بل نظام ديناميكي يعكس حركة الفكر، يتشكل بشكل غير واعٍ لدى المتكلم.	النحو هو *نظام قواعدي توليدي* (**Generative Grammar**)يُنتج عددًا لا متناهٍ من الجمل الصحيحة انطلاقًا من بنية عميقة.**Deep Structure**
3.العلاقة بين اللغة والفكر	اللغة *تشكّل الفكر* وتمنحه وجودًا؛ بدون اللغة لا فكر متماسك **"Die Sprache ist das bildende Organ des Gedankens"**. :	اللغة والفكر مرتبطان عبر "مكوّن مفاهيمي–إدراكي" (**Conceptual–Intentional Component**)، ولكن الفكر سابق وواسع أحيانًا عن اللغة.
4.مبدأ التوليد	اللغة تصنع من وسائل محدودة (العلامات) عددًا غير محدود من المعاني:	
«**Die Sprache muss von endlichen Mitteln einen unendlichen Gebrauch machen.**»	المبدأ نفسه تمامًا يُشكّل قاعدة النحو التوليدي:	
"The language faculty allows infinite use of finite means."* – *Chomsky (1965)		
5.التصور حول الكونية اللغوية	لكل اللغات *بنية مشتركة عميقة* تعكس العقل الإنساني، ولكنها تتشكل ثقافيًا وتاريخيًا.	جميع اللغات تشترك في "نحو كوني" (**Universal Grammar**)موروث جينيًا، وهو ما يحاول تشومسكي نمذجته رياضيًا.
6.العلاقة مع النشأة	رفض النظر الغيبي لنشأة اللغة، وركّز على الأشكال النحوية كبنية عقلية–ثقافية تتطور.	تبنّى لاحقًا فرضية "القفزة البيولوجية" لنشأة اللغة، مع ظهور ***mutation***خاصة بترميز **FOXP2**، ثم نحو فطري متكامل.
7.المقاربة المعرفية	مقاربة فلسفية–أنثروبولوجية، تعتبر اللغة شرطا للوجود الإنساني الواعي والتاريخي.	مقاربة ذهنية–بيولوجية، تعتبر اللغة وحدة معالجة داخل الدماغ تُدرس كعلم طبيعي (**Science of Mind**).

.1هومبولت = مؤسس الرؤية الظاهراتية Phenomenological للغة

هومبولت لا يفصل بين اللغة ووعي الإنسان بذاته. فكل ممارسة لغوية عنده هي **تموضع للفكر في الوجود**، واللغة بهذا تصير **نمطًا للكينونة** (على طريقة هايدغر لاحقًا). إنه يُعيد مركز اللغة إلى داخل "التجربة الذاتية" و"الحس الداخلي"، وليس إلى نظام خارجي أو تاريخي فقط.

.2تشومسكي = تأسيس العقل اللغوي كمجال طبيعي

تشومسكي، بتأثره بالتحليل المنطقي، قام **بفصل اللغة عن التجربة التاريخية والثقافية**، وأعاد بناءها في **شكل صوري قابل للتمثيل الحاسوبي** .بهذا تكون اللغة أقرب إلى "الذكاء الاصطناعي" منها إلى "الوجود الإنساني المتكلم."

.3الفرق الجذري: اللغة كـ "وجود" مقابل اللغة كـ "نظام"

- عند هومبولت:

اللغة = خلق مستمر، وجود متجدد، أثر عضوي للتفكير.

- عند تشومسكي:

اللغة = مجموعة قواعد ضمن نظام معزول (black box) في الدماغ.

هذا الاختلاف هو ما يجعل هومبولت قريبًا من **اللسانيات الإدراكية–الظاهراتية** (Lakoff, Johnson)، بينما تشومسكي أقرب إلى **اللسانيات الشكلية–الرياضية** .(Montague, Pinker)

المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

أثر هومبولت غير المباشر في التيارات المعاصرة:

كيف استلهمت من هومبولت؟	المدرسة
ربط اللغة بالتجربة، التمثيلات الذهنية، والبيئة الحسية–الحركية.	**اللسانيات الإدراكية(Cognitive)**
اللغة كبنية ثقافية–رمزية تتطور تاريخيًا(Sapir–Whorf)	**اللسانيات الأنثروبولوجية(Anthropological)**
اللغة كأداة انكشاف للوجود(Heidegger, Merleau-Ponty)	**الفينومينولوجيا اللسانية**
الخلق المستمر للأشكال كمبدأ لتصميم النماذج التوليدية.	**الذكاء الاصطناعي اللغوي**

خلاصة التحليل المقارن:

إجابة تشومسكي	إجابة هومبولت	السؤال
قدرة بيولوجية فطرية لمعالجة الرموز	فعل إبداعي داخلي – توليد شكلي لمعاني العقل	**ما هي اللغة؟**
نظام قواعدي صوري يولد جمل صحيحة	انعكاس للمنطق العقلي في شكل لغوي	**ما هو النحو؟**
بالتشفير الجيني لنحو كوني فطري	بالبحث المشترك بين الفكر والصوت في التاريخ	**كيف تتشكل اللغة؟**
متلقٍ للنظام – لا يبدع خارجه	مبدع مستمر للغة – يتجاوز القواعد	**ما دور المتكلم؟**
من البنية الصورية للجمل داخل العقل	من العلاقة بين الشكل والفكر	**ما مصدر المعنى؟**

أهم المراجع المقارنة:

- Humboldt, W. von (1836). *Einleitung zur Kawi-Sprache.*
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax.* MIT Press.
- Trabant, J. (1990). *Wilhelm von Humboldt: Sprachtheorie und Weltanschauung.*
- Robins, R. H. (1967). *A Short History of Linguistics.*
- Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). *Metaphors We Live By.*
- Cowan, N. (2008). *The Magical Mystery Four: How is Working Memory Capacity Limited, and Why*

المحور الرابع – نهاية نظرية العلامات :من ديكارت إلى هومبولت وما بعدهما

.1من ديكارت إلى بور رويايال: التأسيس الأنطولوجي لنظرية العلامة

رغم أن *رينيه ديكارت* لم يقدّم "نظرية علامات" بالمعنى التقني كما سيفعل لاحقًا بيرس (Peirce) أو دوسوسير، إلا أن مشروعه المعرفي – الذي يبتدئ من *الكوجيطو* وينبني على يقين داخلي للذات المفكّرة – كان حاسمًا في تمهيد الأرضية لتصوّر جديد عن اللغة باعتبارها **أداة إجرائية لتوصيل الأفكار** وليست مجرد محاكاة للأشياء.

في **ردّه على هوبز**، يفرّق ديكارت بين **وصل الأسماء** و**وصل الأشياء**، مؤكدًا أن العقل لا يعمل بتركيب الألفاظ، بل:

"بربط الأشياء بواسطة الأسماء التي تدلّ عليها"،
لأن **"الأفكار تسبق الكلمات، والمقولات تتناول الأشياء المدلول عليها قبل الألفاظ"**.
)راجع: صالح كشو، ص 36(

إنها نزعة عقلانية **ما قبل تداولية** ترى في الفكر مضمونًا شفافًا يُصاغ في لغة عقلانية مثالية. وهذا ما سيتطوّر لاحقًا إلى فكرة "**اللغة المثالية** (langue parfaite) "أو "اللغة العالمية(langue universelle) "، كما في مشاريع **ليبنيتز** و**بور رويايال**.

.2كور دموي: الروح، الجسد، والوظيفة المقصدية للعلامة

يرى **غييوم دو كور دموي** (*G. de Cordemoy*)في مقاله الشهير **"Discours physique de la Parole"**أن اللغة ليست مجرد نتاج لحركة جسدية ميكانيكية، بل:

".وراء الجسد فاعل غير مادي: هو **الروح**، وهي المسؤولة عن المعنى والمقصد"
(الكشو، ص 36–37)

ويضيف أن:

- **الكلام هو: إعلام العاقل بما يفكر فيه بواسطة علامات معينة.**
- العلامة **اعتباطية** (*arbitraire*)لكنها فاعلة بفضل *الاتفاق* بين المتكلمين.

- لا توجد علاقة تماثل بين **الصوت والفكرة**، بل العلاقة مواضعية نفعية، مما يُمهّد لنظرية **الاعتباطية** عند دوسوسير لاحقًا.

إضافة هامة :كور دموي يُعدّ أول من بلور – قبل قرنين من دوسوسير – مفهوم **الثنائية الدلالية**:

الصورة السمعية / الفكرة (*image acoustique / idée mentale*)

وهذا ما سيُصبح لاحقًا محور نظرية العلامة عند دوسوسير ⟵.

3.بور روايال: تفكيك العلامة بين طبيعة ودلالة

يقدّم **أرنو ولانسولو** في *النحو العام والمعقلن* (1660)تأصيلًا مفاهيميًا أكثر تنظيرًا لطبيعة العلامة، حيث قسّماها إلى:

التعريف	النوع
كالصورة في المرآة أو التنفس يدل على الحياة.	**طبيعية**
مثل الشحوب قد يدل على الحمل.	**ممكنة**
مثل أعراض المرض.	**متصلة**
مثل القربان الذي يرمز إلى صلب المسيح.	**غير متصلة**
كالكلمات التي تدلّ على الأفكار.	**موضوعةConventionnelle**

هذا التصنيف المنطقي يعكس تقاطعًا عميقًا بين اللسانيات والمنطق، وهو ما مهّد لـ:

- ربط العلامة بالقدرة العقلانية.
- بروز **التصور الدلالي الوظيفي للغة.**
- نقل العلامة من كونها رمزًا طبيعيًا إلى **أداة فكرية مركبة**، أي أنها لا تُحاكي بل تُصنَع.

وهم يؤكدون أن:

"العلامة ليست تمثيلًا للفكر، بل فعله التمثيلي ذاته".

.4نحو نهاية نظرية العلامات: من البُنى إلى العمليات

رغم كل هذه الجهود الكلاسيكية، برز تطوّر اللسانيات في القرن التاسع عشر وبداية العشرين، خاصة مع هومبولت وسوسير، **أنهى المفهوم التقليدي للعلامة ككيان ثنائي ثابت**، وبدأ في تحطيم بنيتها المغلقة:

- **هومبولت** :العلامة فعل إبداعي مستمر، لا بنية سكونية.
- **سوسير** :العلامة لا تُفهَم إلا داخل نظام العلاقات (البنية).
- **بياجيه وباشلار** :لا وجود لعلامة خارج نسق المعرفة والبناء المفاهيمي.

خلاصة إبستيمولوجية:

1. **نظرية العلامات التقليدية** انتقلت من كونها "مقابلة بين الشيء والدال" إلى "فعل ذهني—تداولي."
2. **كور دموي وبور روايال** مثّلا الجسر الفلسفي—المنطقي بين ديكارت ودوسوسير، لكنهما لم يدركا أن اللغة **ليست فقط علامة على الفكر، بل هي شرط وجوده وتكوينه.**
3. **نهاية نظرية العلامة الكلاسيكية** جاءت مع تحولين مفصليين:
   - *هومبولت* :العلامة = خلق دينامي مستمر.
   - *تشومسكي وسوسير* :العلامة = عنصر بنيوي ضمن شبكة علاقات.

المراجع المعتمدة:(APA style)

- Bonnet, V. (2004). *La construction d'une langue savante en Europe du Ve au XIXe siècle*. Paris: CNRS.
- Cordemoy, G. de. *Discours physique de la parole*. (rééd. chez Vrin, 1996).
- Arnauld, A., & Lancelot, C. (1660). *Grammaire générale et raisonnée*. Paris.
- الكشو صالح .(1985). ,*مدخل إلى اللسانيات*. تونس: الدار العربية للكتاب.

Saussure, F. de. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.

المحاضرة التاسعة – المحور الأول حول الاتجاه الفلليلوجي من خلال أعمال إيرنيست رينان،

يمثل إيرنيست رينان، عهد الدراسات الاستشراقية الأوروبية التي سادت القرن التاسع عشر، والتي كانت مواكبة لحركة الاستعمار الأوروبي الحديث، هذا من جهة ومن جهة ثانية تمثل دراسته نموذجا من الدراسات اللغوية السائدة في أيامه، أي عهد الدراسات الفلليلوجية للغات الشرقية، وفي هذا الإطار وضع كتابه HISTOIRE GENERALE et SYSTEME COMPARE des LANGUES SEMITIQUES؛ فما هو تعريفه لها وما مفهومه لدلالاتها ؟؟

يؤسس الباحث الفرنسي رينان، أطروحته حول اللغات السامية انطلاقا من الكتاب الأول في الفصل الأول، باعتبار أن اللغات السامية هي عائلة واحدة، لفئة من الجنس البشري، عرف بالجنس السامي، وأطلقت على شعوبه تسمية الشعوب السامية. ويربط بين الجنس السامي وظهور الديانات السماوية، ومن ثم علاقة اللغات السامية بالديانات السماوية، مثل اليهودية والإسلام. وإن كان قد ركز في الفصل الأول على الحديث عن الفرع اليهودي والعربي بصورة ملفتة للنظر. وينهي الفصل الأول إلى أطروحة أن اللغات السامية ذات نموذج لغوي واحد[1]. ثم في الفصل الثاني من الكتاب الأول، يرى أن اللغات السامية قلما تغادر مجالها الجغرافي الأصلي، وهذا يعني أنها لغات منغلقة على غيرها مكتفية بذاتها، وهذا ما حقق لها نقاءها اللغوي، وهذا ما جعل العبرية مثلا تبقى محافظة على خصائصها اللهجية واللسانية الأولى، وكذا الأمر بالنسبة للعربية التي لم تختلط قط باللغات الأخرى وهو ما حافظ على فصاحة العرب وسلامة لسانهم من اللحن والرطانة، ولذا تميزت لغتهم بالعراقة والسليقة. فاللغات السامية ذات

[1]Ernest Renan : HISTOIRE GENERALE et SYSTEME COMPARE des LANGUES SEMITIQUES, pp 18 – 25 .

مكوّن جغرافي genèse géographique وليست ذات مكون ثقافي[2]. ثم يعرج للحديث عن الهجرات السامية ليدل على تواصل اللغات السامية مع العائلات اللغوية غير السامية في كريت ومصر وشمال أفريقيا[3].

كما يؤكد على أن اللغات السامية هي لغات ذات نظام كتابي وأنها كتبت من طرف متحدثيها والناطقين بها[4]. وهذا كله ليؤسس فيما بعد لفرضيات النظرية الفللیلوجية العامة للغات السامية، بسبب التماثل الحاصل بين لغات العائلة السامية[5].

وقبل شروعه في شرح أطروحاته ونظرياته حول اللغات السامية، يشترط:

أولا، أن تلغى كل فكرة مسبقة، بخصوص وجود تتابع أو سلسلة أو وحدة خطية (série linéaire)، والتي بها يقرر إن كانت هناك واحدة من اللغات السامية هي اللغة (الأم) (mère)، والباقية فرع (dérivées)منها[6]. فمثلا لو نقارن بين العبرية والعربية، أيهما أقدم وأسبق، سنقول بأن

---

[2] Ernest Renan : Ibid, pp 26 – 42 .

[3]Ernest Renan : Ibid, pp 43-55.

[4]Ernest Renan : Ibid, pp 56 – 79 .

[5] من بين تلك الأطروحات والنظريات الفللیلوجية للغات السامية، والتي اعتمدها إيرنيست رينان ، أطروحة التماثلات أو الأقيسة السامية analogies sémitiques ، والتي نادى بها الباحث الألماني شبيغال Spiegel ، والتي نشرها بتاريخ 26 سيبتمبر 1856 ، وما سبقها من تعليقات في الجريدة الآسيوية le journal asiatique ، بتاريخ ماي 1838 في الصفحة 442 ، متبوعة بمذكرات المستشرق الفرنسي ميمو كوارتر مارMemo quatremère ، في الصفحات 126 – 129 . وكذلك أطروحة الباحثين م. لايرد M. Layardوم. فريزنM. Fresne والتي تدور حول مقولة أن اللغات السامية كتبت بها نصوص مصرية قديمة، في حين يذهب اللغويان م. لاسن M. Lassen وم. لافارد M. Lavard إلى نظرية أن النظام الكتابي للغات السامية كان الأسرع في الشرق كله، ولذا يخلصان إلى أن اللغات السامية كتبت من طرف متحدثيها بفضل ابتكار النظام الأبجدي لها، وقد نشرت أعمال هؤلاء كما أشار إيرنست رينان بالنسبة للباحث لايرد في. Dicoveries in the ruins of ninveh and babylon. P 509 et suivi، وأما دراسة لاسن Lassen، نشرت في :

Zeitschrift fur die kunds des Morgenlands, I.VI (1845); p56 .، **ودراسة Layar، نشرت في :**

. Discoveries, pp . 155 – 346 .

أنظر بخصوص هذه المعلومات التاريخية والهامة :

Ernest Renan : Ibid, pp 72 - 79.

[6] Ernest Renan: Ibid, p 91.

العبرية هي الأقدم وهذا ليس اعتمادا على التسلسل التاريخي، ولكن من خلال الملاحظات التي نسجلها؛ فالعبرية أقل تطورا من حيث شكل كتابتها ونظامها النحوي وقواعدها الصرفية بخلاف العربية، وهذا يعني أنه كلما كان **النظام اللغوي بدائيا** دل على قدم اللغة[7]. ومن بين النظريات التي حرص على التأكيد عليها هي **نظرية البساطة والتعقيد** التي تميز اللغات السامية، وهو في هذا المقام يرتكز على آراء كل من: ميخائيل Michaelis، وأدلينغ Adelung، وكلابروث Klaproth ، وجسينيوس Gesenuis، وغيليوم Guillaume، وهيمبولدت Humboldt، وهؤلاء كانوا يمثلون صفوة الباحثين الفلليلوجيين الألمان، الذين وضعوا قواعد علم الفلليلوجيا المقارنة [8].

---

[7] Ernest Renan: Ibid, p 92 .

[8] **إن إيرنيست رينان يستثمر ما نشر من أعمال الفلليلوجيين الألمان، فهو يعتمد أعمال ميخائيل المنشورة تحت إسم:**
J. D. Michaelis, Supplem. Ad lex. Hebr. P. 345 et 145. et aussi voir : J. D. Michaelis, notes au traité de la poésie des Hébreux de Lowth, leçon .،
وكذلك دراسة أدلينغ تحت إسم:

, Mithr.I, : **وكلابورث**،Klaporth, Observations sur les racines des langues sémitique, à la suite des Principes de Merian, p. 209 ..

وأيضا أبحاث جسينيوس:

Gesenius, Lehrgebauds der hebr. Spr. P. 183 et suiv . Gesch. Der hebr. Spr. P. 15, et préface de son Dictionnaire (édit. Allemande), p. 4.

وأبحاث لزاتو:

S. Luzzato, Prolegomeni ad una gramm, ragionata della Lingua abraica, p. 81

وأبحاث همبولدت:

G. de Humboldt, Uber die Verchiedenheit des menschlichen Sprachbaues (introduct.à l'Essai sur le Kawi, p. cccxxvi-cccxxvii)._ J. Furst, Librerum sacrer .concord. (Leipz. 1840), praef._ Delitesch, Jesurun, p. 158

وأبحاث ديتريش:

_ Dietrich (de Marbourg), Abhandlungen fur semitishe Wortforschung; Leipzig, 1844 ._ P. Boetticher, Wurzelforschungen; Halle, 1852, et On the

ومن بين تلك القواعد العامة التي كانت تحكم دراسة اللغات السامية أن **المفردات ذات جذر ثلاثي صحيح**، بل يذهب إيرنيست رينان إلى نظرية أن اللغات السامية قد يكون جذر كلماتها ثنائيا وهو أبسط صورة وأقصى ما يمكن أن يمثل الوحدة الصغرى في تركيبة الكلمة في اللغات السامية. ويقدم بذلك مقارنة بين العربية والعبرية[9].

وهو بهذا ليدل على صحة نظرية المقطع الأحادي أو أحادية المقطع في اللغات السامية. وهذا ما **هو إلا استثمار من إيرنيست رينان لنظرية هيمبولدت**، والتي يخلص من خلالها إلى اشتراك اللغات السامية في أصولها اللغوية والتي لم تتغير منذ مئات السنين.

---

classification of semitic roots, appendice B au t. II des Outlines de M. de Bunsen.

Le docteur (depuis cardinal) Wiseman a développé d'excellentes vues sur ce sujet dans son second discourse sur l'étude compare des langues, ou des conséquences bien hasardées sont tirées de principes en général très-finement aperçus. ‹

أنظر :

Ernest Renan : Ibid, p. 93.

[9]أنظر نموذج المقارنة الذي قدمه رينان بين العربية والعبرية :

Ernest Renan : Ibid, p. 94.

المحاضرة العاشرة : الاتجاه الطبيعي ونشأة المدونة الاصطلاحية العلمية

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

الاتجاه الطبيعي: نسجل هنا في المحور الدياكروني أن الاتجاه العلمي أو الطبيعي الذي بدأ يشق طريقه هو أيضا في مجال البحوث اللسانية، كانت دوافعه مبنية على كل نتائج الاتجاهات ذات المنزع القومي أو الوطني مثل ما هو الحال عند المدرسة الألمانية (النزعة الجرمانية) والمدرسة الفرنسية (النزعة الوطنية)، والمقاربة السياسية الاجتماعية لدى هوبز (مبدأ الاتفاقية والوضع)، ثم المقاربة السيميائية لكونديياك والتي مفادها أن اللغة (مصدر المعرفة) على أساس أن اللغات جميعها ما هي إلا أدوات تحليل وأدوات معرفة (أساس / أداة)، وأن آلية الفكر (التحليل) مشتركة بين كافة اللغات باعتبارها ثمرة (الإثارة) ، وباعتبارها مميزا للفكر الإنساني من خلال التحليل والتركيب لعناصر الواقع. وأيضا من البواعث المؤدية إلى نشوء هذا الاتجاه الطبيعي هو تلك المقاربات الماورائية والتي تتحدث عن أسبقية الفكر على الوجود والتي رعاها جون لوك حيث غدت اللغة لديه ركيزة للمعرفة ودعامة تستند عليها، ولا ننسى المقاربة الأناسية التي قام بها دافيد هيوم باعتباره (الذاتية) تستمد جذورها من الأنثروبولوجيا من خلال إجراءاته الإثنولوجية الأمبريقية.

ومع تنامي أفكار جيمس هاريس Harris James[10] ودان هارميس Dans Hermès[11] و

---

[10] يعتبر جيمس هاريس **J. Harris** من الذين تأثروا بما ذهب إليه كونديياك وكان يعرف بمبادئ النحو الوصفي التعليلي، وكذلك ما جاء به دي ساسي بخصوص النحو العربي، ومن بين ما جاء به من أفكار لغوية، أن (الكلمات) هي (علامات) على (الفكر) الفردي، وهو بهذا يوجه الدراسات اللغوية إلى الاهتمام بالجانب الذاتي من اللغة، وقد صرح :" أن ما يهمه، عند قراءة أحداث منعزلة حول الحاسية والانعكاس بخصوص تكوين سيرورة عامة تقدم ميلاد الأفكار، فأنا لدي دوما انطباع يوجب علي النظر مليا إلبالروح الإنسانية بمثابة بوتقة تنصهر فيها كافة الحقائق بواسطة كيمياء منطقية، وهذا شبيه بأي حبة عقار أو مثل أي إكسير، ينظر إليها مثل اختراعاتنا الصميمة"، أنظر في الأصل:

« En ce qui me concerne (…), quand je lis des faits particuliers sur la sensation et la réflexion qu' on veut ainsi m' instruire du processus général qui donne naissance à mes idées, j' ai toujours l' impression qu' il faudrait que je

هاردرHerder[12]، هذا الأخير والذي من خلال أطروحة النموذج والمثال في سياق المقاربات الإجتماعية

---

considère l' âme humaine comme un creuset dans lequel, par une sorte de chimie logique, on produirait des vérités, qui, comme n' importe quelle pilule ou n' importe quel élixir, devraient être regardées comme nos propres créations ». (Harris, *Hermès*, III, 5, 1771 (3e édition) : 404 ; cité par Cassirer, *La philosophie des formes symboliques* –I : *Le langage*,Paris : Minuit, 1991, p. 90.

[11] دان هرميس **Dans *Hermès*** من بين أعماله :

Recherche philosophique sur la grammaire universelle نشرها سنة**1751**، وترجمت

سنة 1796 من طرف شخص يدعى ثوروت Thurot حيث يرى بأن كل لغة تأسست على مبدأ (الاتفاق)، لا توجد في الوضع الطبيعي. الكلمات لا تستطيع الرجوع إلى العالم، بحيث تصير أسماء مصدر للأشياء، مما يمنعها من أي تعميم ومن أي تواصل؛ فهو يقول: "إذا لم تكن الكلمات علامات على الأشياء الخارجية الفردية؛ فهذا يستلزم تبعا، أنها بالضرورة دوال على أفكارنا، إذ من البديهي إذا لم تكن تمثل أشياء خارجة عنا؛ فهي لا يمكنها أن تمثل غير أشياء بداخلنا". أنظر الأصل:

« Si les mots ne sont pas les symboles des objets extérieurs individuels, il suit, en conséquence, qu' ils sont nécessairement les signes de nos idées ; car il est évident que s' ils ne représentent pas des choses hors de nous, ils ne peuvent représenter que des choses au-dedans de nous ». (Harris, Hermès, III, 1751 : 318-337) ; cité par JACOB A. : Genèse de la pensée linguistique, Paris : Armand Colin, 1973, pp. 70-71

[12] **يعتبر هاردر Herder (1744-1803)، هو أول من أظهر الاهتمام بوضع أسس الدراسة المقارنة التاريخية للغات، وأيضا نظرية العلاقة بين بنية اللغة الخاصة بقوم وبين مميزاتهم الخلقية، حيث ركز بوصفه ينتمي عرقيا للأمة الألمانية ركز على إثبات صحة هذه النظرية وبأن المميزات العرقية ذات صلة وطيدة بمباني اللغة، وبها تحدد هوية القوم وتؤسس نزعتهم الوطنية،كما يرى أن اللغة هي أداة للفكر وليست نتيجة له حيث يقول:**

« Nous pensons dans la langue ; nous aimons avoir une explication de ce qui est présent, ou chercher ce qui ne l' est pas encore. Dans le premier cas, nous transposons des sons perceptibles en mots intelligibles et des mots intelligibles en concepts distincts. Une chose peut être décomposée pour autant qu' on dispose de mots pour rendre ces concepts partiels et une idée peut être expliquée pour autant que de nouvelles combinaisons de mots la placent clairement en lumière. Dans le deuxième cas qui concerne la découverte de nouvelles vérités, celle-ci est une suite souvent improvisée de différentes combinaisons de mots ». (Herder, *Sur la nouvelle littérature*

والفردية، السياسية والسيكولوجية للغة القومية للأمة الألمانية، جعل من التفكير اللغوي ليس تفكيرا تكوينيا Génétique فقط بل يقوم بوضع رابط ما بين السيكولوجي والأناسي والتاريخي-(علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم التاريخ) – وهذا كله في النهاية يقود إلى بلورة رؤية نحو هذا العالم، وهذا يكون الثقافة التي هي (صورة) عن (حالة) (وعي) (الأمة). وبهذا تغدو اللغة خزانا للذاكرة على محوري التعاقب والتزامن فيما بين المتكلمين Locuteurs. كما لا يجب أن نغفل دور الكنيسة وإن كان يتناقص تدريجيا أمام تعاظم التيارات الوطنية الجديدة في أوروبا، في الإشراف على ترجمة النصوص المقدسة الخاصة بها على أساس الحماية من المساس بقدسية النص الديني من طرف اللائكية.

كل هذا الزخم التاريخي والمعرفي دفع بأصحاب الاتجاه العلمي وبهدف تيسير حياة الناس والمجتمعات من خلال تيسير سبل البحث العلمي وترقية المعرفة البشرية من خلال ابتداع طرائق جديدة في الاكتشاف والابتكار، كانت الحركة العلمية الفرنسية تعيد إنتاج المثال الكلاسيكي للوضوح وللانضباط الفرنسي الذي افتقد في القرن الثامن عشر 18 الميلادي، وذلك من خلال مقولة عالمية اللغة الفرنسية التي نادى بها ريفارول Rivarolوفولتير Voltaire كسياسة لغوية موجهة لترقية لغة (فريدة) و(كاملة)[13] ، إذ بناء إنسان جديد في مجتمع مثالي لابد أن يمر عبر إنشاء لغة جديدة على أنقاض اللهجات المحلية، بواسطة فكرتين أساسيتين هما: فكرة اللغة اللامتغيرة (عقيدة لغوية ثابتة) من أجل الحفاظ على الهوية

---

allemande, 1767) ; in CAUSSAT P., ADAMSKI D., CRÉPON M., – La langue source de la nation, Liège : Mardaga, 1996, p. 87.

وانظر أيضا: عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، القرن التاسع عشر، عصر التاريخ (الداروينية اللغوية والايجابية التاريخية)، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، المجلد الثاني، 1972، ص 7 والهامش رقم 2.

[13]Seguin Jean- pierre : 1999 – « La langue française aux XVII^{e} et XVIII^{e} siècles – De la Renaissance à l' âge classique », in Chaurand J., Nouvelle histoire de la langue française, Paris : Le Seuil, p. 263.

الوطنية، وفكرة غياب مفردات اللغة L'alibi vocabulaire أو ما أطلق عليه "الأزمة التوليدية" La crise néologique، وهذا دليل تطور البحث في المعجمية ما بين 1789 و1793 من طرف التوليديين الثوريين والعلميين néologismes revolutionnaires Scientifiques[14].

وهذا تحول في الاهتمام اللغوي على شكل نظرية للمعرفة مؤيدة لنظريات لوك وكونديياك؛ فاستبدال تعليم البلاغة بعلم النحو التحليلي لدست دي تراسي Destutt de tracy، يتيح أن يوضع في مكانه لنمذجة الأساليب والمناهج المعرفية التخمينية العالمية، إنها إيديولوجيا للعقلانية لإزاحة التنوع الثقافي هذا هو سقف (العالمية)[15]. وهكذا أعادت كل من فرنسا وألمانيا شرعنة رؤيتيهما القوميتين من أجل إستراتيجية لغوية وطنية، ففرنسا أرجعت الاهتمام للنموذج الكلاسيكي في حين ألمانيا أحيت نظرية الخصائص الأصلية للغة الجرمانية. هذه الأخيرة أي ألمانيا لعبت على نشر معياري واسع ولكن من مشروعية لعدم تحدره من الشجرة اللاتينية. لغة عضوية تكونت من شعب الفولغا ، أمة قامت بصناعة لغة وطنية على أسس عقلانية بهدف الإقرار والاتصال مع البنى السياسية والتي هي الأمة الألمانية، حيث تلمح في فكرة ألمانيا البداية كانت اللغة والثقافة، وفي فكرة فرنسا، اللغة ليست سوى أداة توحيد سياسي وثقافي وعلى أبعد تقدير توحيد حضاري[16].

هذا التعارض في الأفكار، يفسر تناظرية التطبيقات، هناك علم يستوحى من تحليل للغة (الكلام)، وعلم لغة ينسخ عن العلم. فالنموذج الفرنسي هو بناء متصل بالعلم وبلغته على أسس منهجية أمبريقية

---

[14] Seguin Jean- pierre : La langue française aux XVII^{e} et XVIII^{e} siècles – De la Renaissance à l'âge classique, p. 264.

[15] Swiggers : 1997 – Histoire de la pensée linguistique. analyse du langage et réflexion linguistique dans la culture occidentale de l'Antiquité au XIX ^{e} siècle, Paris : Presses Universitaires de France, p. 206.

[16] BAGGIONI D., 1997 – Langues et nations en Europe, Paris : Payot, p. 224.

(تجريبية)، أنما النموذج الألماني هو بناء أسس على دراسة اللغة، والتي هي ظاهرة طبيعية وتاريخية، تحليلية للمبادئ التي تحكم العلوم الحية (علوم الحياة)، ولكنها لا تقص الافتراضات الفلسفية.

نحن هنا أمام مشهد كيف أن المنظرين والعلماء وجدوا المبررات لصيانة اللاتينية في الدفاع عن لغتهم الوطنية، هذه الصيانة غلفت بمقولة التطور للغة فكرية، وما هي إلا تمهيدا لمشاركة علم الاشتقاق المعجمي على قاعدة الاستمداد من الرصيد اللغوي الإغريقو – لاتيني، هذه المشاركة التي ستبصر طريقها مع نهاية القرن التاسع عشر. وهذه الحركية والسيرورة التاريخية للغة تمر من خلال ملمحين هما:**الملمح الأول**: النظرية المصطلحية الجديدة المستخرجة من المدونة الكيميائية nomenclature chimique لسنة 1787 ميلادية. و**الملمح الثاني** : تكوّن genèse عام للغة على أسس تحول منهجي. وهذا لا يؤثر بصفة مباشرة على المصطلحية ولكنه يعتمد على جوهر مادة التحليل وعلى دراسة العناصر التكوينية للغة، وتقدم تبريرا جديدا لتطبيقات أبعد ما تكون مقبولة بالإجماع unanimement وتتيح لتجاوزها. في هاتين الفترتين المتتابعتين، تتوافق الأشكال (الحارسة) لكل من كوندياك Condillac وهومبولدت Homboldt[17] هذين الأخيرين الذين لم يحضيا بسمعة خارج حدود بلديهما، لكن تأثيرهما على النزعة

---

[17] يعتبر غليوم ولهالم فان هومبولدت Wilhelm von Humboldt (1767-1835)، من العلماء اللغويين الذين طبعوا تاريخ البحث اللساني المعاصر بميسمه، وقد أخذ معظم الأفكار التأسيسية لنظرياته من كوندياك و هاريس، ويمكن أن نلخص أهم ما قدمه في البحث اللغوي: 1/ اللغة هي شرط لازم لوجود الفكر؛ فهو يرى أن الإنسان يمتلك قوة باطنية ولدت معه دون بقية الحيوانات، تجعله قادرا على التفكير وعلى التعبير عما يفكر فيه بالكلام في ذات الوقت.2/ أن عمل اللغة هو في الاستعمال اللامتناهي انطلاقا من وسائل محدودة « Die sprache muss von endlichen mitteln einen unendlichen gebranch machen ».

3/ كما يرى أن الكلام ليس في ذاته ما يحدثه الحدث Ergon (أثر فعل) بل حدث Energeia (النشاط) (الفعل نفسه)، وعلى هذا فإن تحديده الحقيقي لا يمكن أن يبنى إلا على مفهوم التوليد Erzeugue. وهذا لا يعني غير الصفة الخلاقة للغة، وهذه الصفة موجودة مسبقا ومنذ البداية في الأشكال النحوية في كل اللغات " هس مرسومة في كل اللغات، لأن اللغة موجودة دائما في الإنسان برمتها وليست قطعة قطعة". 4/ إن الهدف الوحيد لكل الميولات النحوية لأي لغة من اللغات هو البسط الوافي للأنهج التي ينتهجها الفكر. 5/ الفكر كذلك يصبو إلى تجسيد ما يتراءى له، بل أن كل متكلم والحالة تلك، يصطنع لنفسه أشكالا في كل حين أكثر مما يلجأ إلى الأشكال الموجودة. وبذلك تصبح عملية الكلام خلقا مستمرا. « Des lors le discours habituel ne constitue plus (qu')une création de formes perpétuellement renouvelées ».

العلمية المكونة لنظام المعجم العلمي لا يمكن طمسه.

وهذا الخلق المستمر لا ينقطع بتطور اللغة، بل يثبت ويزداد دقة؛ فكلما ابتعدت اللغة عن نشأتها اكتمل جهازها، وكلما اكتمل جهازها اقتربت من الفكر وفي هذه اللحمة المثل الأعلى للخلق، إذ يصبح جماعيا أي من فعل جهاز. 6/ إن للغة نظام عضوي وبنية (sprachblau) وصورة باطنية (Innere Sprachform) غير الصورة الظاهرة في الكلام، إذ يعتبر اللغة جهازا عضويا ويجب أن يعالج على هذا الأساس. فالقاعدة الأولى هي أن تدرس كل لغة فيما تختص به من نظام باطني وأن ينظر في كل المناسبات البنيوية الموجودة فيها وترتب ترتيبا شاملا حتى يتبين فيها كيف تتساوق المعاني في الألفاظ، وإلى أي حد يبلغ عدد المدلولات المعبر عنها وما هو جوهر دلالتها وهل تميل كثيرا أو قليلا إلى التوسع فيها والتهذيب. 7/ ليست اللغة رسما مطابقا للواقع، ولذلك فإن لكل شعب نظرة خاصة إلى الواقع تتراءى في لغته. والصورة الباطنية للغة هي التي تدل على شخصية الشعب. يقول: " إن المميزات التي تمتاز بها أمة وما بلغته لغتها من النمو هما أمران جد متلازمين بحيث يمكن أن نستدل بأحدهما على الآخر. وذلك لأن العقل واللغة لا يحدثان ولا يتشكلان إلا بالأشكال التي يمكن أن تنسجم، ونستطيع أن ننظر إلى اللغة على أنها تعبير خارجي لروح الأمم". وكما سنرى في الفصل الثاني أن الأفكار ذاتها تقريبا حول اللغة ودورها في انتاج المعرفة، وكيف تكون اللغة شاملة وكلية قلت أن هذه الأفكار سيعاد استثمارها مع شومسكي في القرن العشرين. ونضع بين يدي الباحث أهم النصوص التأسيسية لهمبولدت وكما وردت في مضانها الأصلية:

« La langue est, dès ses premiers pas, entièrement humaine et a des ressources pour s' avancer, hors de toute préméditation, à la rencontre de tous les objets, qu' ils soient donnés fortuitement par la perception sensible ou qu' ils soient élaborés par l' activité intérieure ». HUMBOLDT Wilhelm von – Introduction à l' oeuvre sur le kavi et autres essais, traduction et introduction de P. Caussat, Paris : Le Seuil, 1974, p. 199.

وأيضا:

«L' examen des oeuvres produites par la langue ne confirme pas davantage la thèse selon laquelle la représentation ne ferait que dénoter les objets déjà reconnus par la perception. Il serait impossible de rendre par là pleine justice à la richesse profonde de la langue. Celle-ci ôtée, c' en est fini du concept, mais c' en est fini aussi de l' objet pour l' âme, puisque l' objet extérieur ne peut accéder qu' au moyen du concept à l' essentialité capable de le faire reconnaître par l' âme. En vérité, il n' est pas un seul aspect de la perception subjective des objets qui ne s' investisse dans la formation et dans la pratique de la langue. Car le mot s' enracine précisément dans une telle perception; plutôt qu' une réplique de l' objet en soi, il l' est de l' image que cet objet a produite dans l' âme ».Humboldt : Introduction à l' oeuvre sur le Kavi p. 198.

وانظر أيضا : عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، القرن التاسع عشر، عصر التاريخ (الداروينية اللغوية والايجابية التاريخية)، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، المجلد الثاني، 1972، صص 23-25 .

تحت ضغوط كوندياك المعرفية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر 18 الميلادي، مورست ثورة فكرية أخذت شكل انقلاب على علاقات لغة / فكر[18].

الحاسيات Les Sensations التي تسبب في الذهن البشري تلك الأفكار البسيطة، الفردية والخاصة هي نقطة الانطلاق لانعكاس هذا التطور الذي يطلق عليهديست دو تراسي تسمية المادي cocraire، وتبعه تطور ثان مجرد يتيح للأفكار بالتعميم وباستخلاص نقاط مشتركة بين الأفكار البسيطة، عملية ترافق إقصاء اختلافاتها.

الفكر إذن مقرون بصفة حميمة بتوظيف وتصميم علامات التي هي تمثلات représentations، وفي خضم امتداد أثر فكر كوندياك بين آخرين، شهدت تلك الفترة ميلاد سيكولوجيا أعادت التقدير لنظام المفردة وللتوليدية، وكم يقول داغوني Dagognet: "**في أواسط القرن 18 م، ظهرت حرية مفاجئة ارتبطت بالعلامات وبالكلام، حيث تتمثل الأفكار أو تطفو الأحكام، فإنها أخضعت بصفة صارمة، ولا تجديد سيميائي كان ضروريا و لا مرتجى. من الآن فصاعدا سيتم إثراء المدونة، وتعدد وتجدد الأفكار المنحرفة، حيث الاهتمام الأقصى بالمفردات البسيطة، المبتكرة والمعفية للوضوح – للمفهوم –**"[19] .

[18]MAUPERTUIS P. L. M. de, 1748 – Réflexions philosophiques sur l' origine des langues et la signification des mots, in Porset C. (éd.), Varia linguistica : Maupertuis, Turgot, Condillac, Du Marsais, Adam Smith, Bordeaux : Ducros, p. 49-50

[19]DAGOGNET F., 1970 – Le catalogue de la vie : étude méthodologique sur la taxinomie, Paris : Presses Universitaires de France, p. 13.

خلق عامل توليدي للمفردات الجديدة التي تستدعيها اكتشافات العلم وانجازاته، هو مشاركة مباشرة في إنجازات الفكر، ولكن هذه الصلة الجديدة والمتبادلة والتي شاركت في إعادة تقدير دور الصناعة المعجمية، من خلال تحديد تخوم محيط عقيدة الاستعمال doctrine de l'usage العلمي اللغوي، إنها – أي هذه الصلة الجديدة –، تبحث عن قسوة جديدة في مجال العلم منذ الثورة الصناعية، من خلال إقحام تنسيق صارم للمعجمية التكوينية، مما يقود إلى تطور قاس للمعرفة[20].

كذلك لافوازييه Lavoisier يستشهد بمنطق كوندياك في "**الخطاب التمهيدي**" Discours préliminaire، في المعالجة العضوية للكيمياء (1789)، وهذا انطلاقا من مبدأ أن تطور العلم رهين بتطور مدونته اللغوية[21]. فهو في مذكرته حول ضرورة إصلاح وكمال لغة الكيمياء (1787)، يطرح الرهانات المرتبطة بتحسين المدونات اللغوية العلمية " **تعليم جيد، يدل على تعلم جيد**"، وهناك تطابق بين أطروحاته ونظريات كوندياك الذي كان يؤمن بأن التطور في المستقبل مرهون بفضل عقل تحليلي مشحوذ باللغة، ووجهة النظر هذه يتشاطرها العديد من الأيديولوجيين أو بعض المقربين منهم مثل الطبيب جورج كاباني Georges cabanis أستاذ تحليل الإدراك البشري « analyse de l'entendement humain »، والتحويلي l'aliéniste المعروف باسم دومينيك غارات Dominique Garat وكذلك فيليب بينال Philippe pinel الذين يتفقون حول دور الاتجاه العلمي في تنامي الحقل المصطلحي. إن الصلة المتبادلة بين إنجازات اللغة وإنجازات العلوم هي لإثبات فكرة تعميم التبني العلمي للتطور اللغوي، وخير دليل على ذلك ما قام به المعهد الوطني للعلوم والفنون الفرنسي سنة 1799م حيث اقترح مسابقة حول "**دور العلامات واللغة في الفكر وبخاصة في العلم**".

---

[20] Valérie Bonnet : La construction d'une langue savante, pp. 215-216.

[21] LAVOISIER A. L., Pages choisies, présentation et annotations par D. Kahane, Paris : Éditions sociales, 1974, p. 194.

تتكون اللغة كمرحلة أولى من سياق لتحليل الأفكار الذي بلغ نقطة النهاية في العلم، حيث أظهر كوندياك أنه بالتوازي مع اللغات الطبيعية والبدائية تتكون العلامات الصوتية، وتتطور إلى لغة رامزة Langue symbolique. وهذان النوعان من اللغات يكونان حدا لاستمرارية extrema d'un continum تنشر التدابير الأكثر بدائية في التشكلات الأكثر نجاحا، وتستند على نفس المبادئ للتحليل: التسلسلية (التراتبية) Hiérarchisation، والتنظيمية Combinaison، والتمثلات Représentation[22].

وبهذا واستلهاما من كوندياك، سيكون لافوازيه أول من ينظر هذه الأفكار، ويشارك فيما بين فكر ولغة بصفة غير قابلة للتذويب أو بتعبير آخر، المدونة والتحليل الكيميائي إذ يصرح –أي لافوازيه_: **"الاهتمام بهذا العمل (ضرورة إصلاح وإكمال المدونة الكيميائية)، والذي أحسّ بشكل جيّد أنّني لم أنجزه لحد الآن، وضوح المبادئ التي وضعت من طرف رئيس دير كوندياك في منطقه، وفي بعض مؤلفاته (...) في الواقع، جعلني أعتقد أن لا أهتم سوى بالمدونة، وأن لا أجعل في اهتمامي غير إكمال لغة الكيمياء، مؤلفي تحول بصورة غير محسوسة بين يدي، ومن دون أن يكون بالإمكان أن أدافع عن نفسي إلى بحث أساسي في الكيمياء. استحالة فصل المدونة عن العلم ولا العلم عن المدونة. وعليه خذ كل علم الفيزياء تتكون أساسا (ضرورة) من ثلاثة أشياء: سلسلة الأحداث المكونة للعلم، الأفكار التي تستدعيها، والكلمات التي تعبر عنها، والمفردة التي تولد المعنى، المفردة التي ترسم (تصف) peindre الفعل، إنها ثلاث بصمات (علامات) مميزة لنفس الختم. وبما أن الكلمات هي التي تحفظ الأفكار وتنقلها، نخلص إذن إلى أنه لا يمكن إكمال (تحسين) اللغة من دون تحسين العلم؛ فلا علم من دون لغة. كما أن البعض الذي يصبغ (يطبع) الأفعال، والبعض الذي يميز الأفكار التي**

[22]Valérie Bonnet : Ibid, pp. 216- 217.

يولدها لا ينقل سوى تأثرات (ردود أفعال) خاطئة إذا لم نمتلك التعبيرات الصحيحة كي ننتجها"[23].

نستنتج من نص لافوازيه أن الاهتمام بلغة العلم هو الاهتمام بالعلم نفسه، والعكس أيضا صحيح، بمعنى أن الاهتمام بالعلم هو الاهتمام بلغته.

كما نرى من خلال هذا العرض السريع، أن الفكر الفرنسي في نهاية القرن 18م جعل من المنهج التحليلي أداة معرفية outil épistémologique تتيح إحراز تقدم للعلم ولمعجمه على حد سواء؛ فهذه الوضعية الجديدة هي ضريبة المقاربة الجديدة للغة المقدمة من طرف العلوم الطبيعية في القرن 17م؛

---

[23] **النص الأصلي كما ورد عن لافوازيه هو كالآتي :**

C' est en m' occupant de ce travail (la nécessité de réformer et de perfectionner la nomenclature chimique), que j' ai mieux senti que je ne l' avais encore fait jusqu' alors, l' évidence des principes qui ont été posés par l' Abbé de Condillac dans sa Logique, et dans quelques autres de ses ouvrages. (...) En effet, tandis que je croyais ne m' occuper que de Nomenclature, tandis que je n' avais pour objet que de perfectionner le langage de la Chimie, mon ouvrage s' est transformé insensiblement entre mes mains, sans qu' il m' ait été possible de m' en défendre, en un Traité élémentaire de Chimie. L' impossibilité d' isoler la Nomenclature de la Science, et la Science de la Nomenclature, tient à ce que toute science physique est nécessairement formée de trois choses : la série des faits qui constituent la science ; les idées qui les rappellent ; les mots qui les expriment. Le mot doit faire naître l' idée ; l' idée doit peindre le fait : ce sont trois empreintes d' un même cachet ; et comme ce sont les mots qui conservent les idées et qui les transmettent, il en résulte qu' on ne peut perfectionner le langage sans perfectionner la science, ni la science sans le langage, et que quelque certains que fussent les faits, quelque justes que fussent les idées qu' ils auraient fait naître, ils ne transmettraient que des impressions fausses, si nous n' avions pas des expressions exactes pour les rendre (Lavoisier, Traité élémentaire de chimie, « Discours préliminaire », 1789 ; in Pages choisies ; 1974 : 178-179).

فاهتمام كونديلاك انتقل إلى الوضعيات (**الوضعية**) وإلى المنهجية التصنيفية méthode taxinomique، وهذه الأخيرة غير غريبة عن حكمة القرن آنذاك التي طبعت العلم بميسمها "العلم هو لغة جيدة السبك"[24].

تفترض هذه البرمجية تجاوزا للتجريبية المتحدرة من حاسيات بسيطة، كما تفترض أيضا عملا تجريديا بواسطة تعريف ل(**الأحداث**) ولتشكل الطبقات[25]. فالتحليل هو نتيجة مؤدية للنظام: إلى تجزئة مواضيع العالم إلى وحدات رصينة يجب عليه أن يحل إعادة التوزيع التي تلي، في إطار نظام ملائم من أجل تخوفاتها. وهو من جهة ثانية أي التحليل تسجيل كرونولوجي بسيط لميزات مكتشفة، ولن تكون له أية قيمة في الإطار الذي يلي ما لم تكن مفهرسة (يقصد بها الميزات)؛ ففي غياب الفهرسة يستحيل إيجاد الأفكار ومن ثم يستحيل استعمالها في منطق مقارن أو تماثلي[26].

24CONDILLAC E. B. de, 1798 – La langue des calculs, édition critique par S. Auroux et A.-M. Chouillet, Lille: Presses Universitaires de Lille, 1981, p. 7.

25 CONDILLAC E. B. de, 1746 – Essai sur l’origine des connaissances humaines, édition critique de C. Porset avec une introduction de J. Derrida, Auvers sur Oise : Galilée, 1973,p. 279.
النص الأصلي هو:

« Cette programmatique suppose un dépassement de l’ empirisme issu des simples sensations, un travail d’ abstraction par la définition des faits et la constitution de classes ».

26CONDILLAC E. B. de, 1775 – De l’analyse du discours, extraits du Cours d’étude pour l’instruction du prince de Parme – II :Grammaire, 1ère partie, in Porset C. (éd.), Varia linguistica : Maupertuis, Turgot, Condillac, Du Marsais, Adam Smith, Bordeaux : Ducros, pp. 181-182.

النص باللغة الفرنسية هو:

« L’ analyse est en effet tributaire de l’ ordre : à la segmentation des objets du monde en unités discrètes doit succéder la redistribution de celles-ci dans un ordre propice à leur appréhension. Un simple enregistrement

وإذا كان التحليل تابعا للنظام؛ فهو طبعا تابع لنظام اكتساب الأفكار، وينتقل من الخاص إلى العام في صورة اطراد متنامي، وهذا لتصنيف الأفكار وهو عكس الأول، في هذا يبدأ بالفكرة الأكثر تعميما، من أجل النزول طبقة طبقة إلى غاية الفردي (الشخصي)[27].

في غياب احترام هذه المبادئ؛ ف**العلامات** المستعملة لا تمثل غير أفكار ناقصة ومتداخلة ومتضاربة، ولا تنتج سوى منطق خاطئ أو تخميني.

من أجل تطور العلوم، يقترح كونديياك استنساخ الطرائق العلمية وتطبق على تلك العلوم التي توصف بالوثوقية، ولا يجد خيرا من علم الجبر. ف(الرموز) الرياضية تتيح بفضل تركيباتها اكتشاف قيم جديدة؛ فتمفصل الأفكار لابد أن يسمح بإزاحة ما ليس بعد معروفا. وإلى غاية التمكن من تطبيق هذه التقنية العملية في علوم أخرى؛ فمن الضروري تحديد تخوم الوحدات، ومن ثمة تكوين طبقات (رتب) مثل الكائنات الجبرية، ولابد أن تكون لها القدرة على التمفصل، طبقات مؤسسة على التشابهات وتتمفصل على طبقات أخرى دنيا، من خلال الاختلافات القائمة، وهذا طبعا ينتج عن اعتبار الجبر علم ينزل على (**الكمي**)، وبالاعتماد على المواد الكائنة، على علم مكوناتها ontologie، علوم أخرى تطبق على ما يخصها على (الكيفي). فالتصنيف علم النظام، يطبق على الكائنات الحية، يشبه تكوينها لمجال التطبيق المفصل للنظريات الحسية، تحليل يقوم على الحاسيات– (المكانة الممنوحة للكائنات الحية، ترتبط بجنسها الذي تنتمي إليه) – إنها–(تحرر) (عتق)– تأذن لها لتقيم طبقات (البحث عن ضريبة)، وتسمح بالخاصية

---

chronologique des propriétés décelées n' aurait aucune validité, dans la mesure où celles-ci ne seraient pas indexées. En l' absence d' indexation, il est impossible de retrouver, et donc d' utiliser, les idées acquises dans un raisonnement comparatif ou analogique. »

[27]CONDILLAC E. B. de, 1775 – De l'analyse du discours , p. 188.

المميزة لموضوعها بدراسة (الحيوانات والنباتات) إنها مقاربة جبرية. وبحسب رأي ميشال فوكو حيث يولد علم التصنيف، والذي هو أشكال مركبة، ورياضيات mathesis في أشكال مبسطة[28].

وكما هو معلوم أن تطور العلوم لا يتم إلا بفضل تحديد التخوم النهائية لها، وكذلك بفضل تراتبيته يمكن أن يكون للعلامة قيمة ما. ففي المقام الأول يتم التحفظ على المعطيات الحساسة (مقاربة أمبريقية) كي تتفادى غموض المعلومات، والمحللة إلى أفكار بسيطة "**علم تشريح الموضوع المدروس**" anatomie de l'objet étudie. وفي المرحلة الثانوية من التحليل، التجميع في قسم، وهذا ينسحب على عمليات التمييز والتشابه القائم بين أجزاء الموضوع المدروس، والتي تسمح بالتفريق بين الهام وغير الملائم، بحيث لا يتحفظ إلا على العناصر المعتادة. هذه الخطوة الأخيرة (**تعين**) توجه التحفظ على الهام، و(**تحدد**) أيضا تراتبية المعلومات الأكثر أهمية بفضل التصنيف العملياتي Taxon opérateur، والذي يسمح بتحول العلامات إلى **مميزات** (**خاصيات**) ويسمح بترييض الحي (**الحيوان**) l'algébrisation du vivant.

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

في الواقع، القوى الحية في التاريخ الطبيعي تكون مشروعة في البحث عن التصنيف العملياتي الأكثر فائدة. ويعزى إلى لافوازيه جدارة هذه الثورة المنهجية التي أسست لتطبيق المناهج التحليلية. (**الاحتراق**) برهن للافوازييه أن المركبات تنتج ب(**التقارب**) أو ب(**التكاثل**)، وهو بهذا يحقق انقلابا كوبرنيكيا فعليا، ولا يبحث بعد ذلك مثل أسلافه عن المركب بل عن العنصر البسيط: "**كافة الأجسام**

[28]FOUCAULT M., 1966 – Les mots et les choses, Paris : Gallimard, 1992, pp. 86-91.

تنحرف عن التشارك في كثير من الرتب، ولكن لابد لها خاصة من عزل (البسيطة) (غير المركبة)، حيث ينتج المتبقي مختزلا، مكتشفا النظام الألفبائي للغة الطبيعة"[29] .

إن تطبيق مبادئ كونديياك يتجاوز إذن الدور الممنوح للغة، حتى التطبيق الاختباري pratique expérimentale لا يعدم تماثلا analogie مع بحث أفكار بسيطة بواسطة التفكيك التحليلي.

هذا فيما يتعلق بالمقام الأول، أما بالنسبة للمقام الثاني؛ والمتعلق ب(التصنيف)، ينتج أولا عن ترتيب المواد بحسب وظائفها وبحسب مكوناتها وأيضا بحسب درجة تعقيدها. لذا كانت المرتبة الأولى في مدونة nomenclature 1787 خاصة بالعناصر البسيطة، والتي تجمع المواد غير المتحللة والتي تدخل في تشكل أجسام أخرى. إنها تتوزع على قسمين: **البسيطة** والتي تشمل الأحماض، والمعادن والترابية والقواعد. و**فوق بسيطة** مثل الضوء، والحرارة، والنتروجين والأوكسجين والهيدروجين. أما تراتبية العناصر المركبة تحدد بحسب وظيفة العنصر المشترك؛ فالمركبات مثل الحرارة والأوكسجين والقواعد والمعادن. إذن تراتبية العناصر المركبة استفيدت بواسطة تراتبية أخرى (البسيطة وفوق-البسيطة، والمركبة). وهذا يعين أن المخطط الكوندياكي programme condillacien: التحليل (**التفكيك**) والتكوين (التشكيل)، والتراتبية والتمفصل بين الدرجات، طبق حرفيا وبصرامة منهجية من طرف لافوازيه هذا الأخير الذي أجرى جبرية حقيقية على الكيمياء une véritable algébrisation .

---

[29] DAGOGNET F., 1969 – Tableaux et langages de la chimie, Paris : Le Seuil, pp. 25-26.

النص كما هو في الأصل الفرنسي:

« tous les corps dérivent d' association à plusieurs degrés. Mais il faudra surtout isoler les « simples », les indécomposables dont le reste est issu, bref, découvrir l' alphabet du langage de la nature ».

الإجراء الخاص بالتمفصل الداخلي للطبقات (**الرتب**) بالنسبة لكونديياك، سهل بواسطة (**العلامات**) الفهرسية التي بها منحت من أجل أن تغدو هذه العلامات قيمة عملية حقيقية، كما دعى – أي كونديياك– إلى تجميع الملاحظات المنجزة في الاسم: "**إذا كان يدل على المواد؛ فالأسماء التي تمنح لها لا يجب أن ترتبط بالكيفيات التي لاحظناها، والتي فعلا تكون مجموعات مختارة (...) وحين نقول بأن (مادة) ما تنتمي إلى (جنس) ما؛ فنحن نريد فقط أن نسمع وبكل بساطة أنها تحتوي (الكيفيات) التي استمرت في (المفاهيم المركبة) فعلا في (كلمة) ما والتي هي (العلامة).**"[30]

إن تكثيف المعايير الحدية critères définatoires لرتبة الشيء في الاسم الذي عينه، أقرض بكل وضوح إلى المنهجية الطبيعية التي تنسب إلى الأشياء المصنفة. الجهود الأولى في هذا الاتجاه كانت في القرن 17 م، ولكن الثورة الجذرية في علوم المادة كانت منسوبة إلى لينيه Linné[31] الذي اخترع (**لغة وضعية**) Langue positive صارمة وعالمية. فضلا على ذلك برهن هذا العالم السويدي على الأهمية: "**المنهجية، روح العلم، تعين من النظرة الأولى، أن أي جسم من الطبيعة من أي مصدر، أن هذا الجسم ينطق بالاسم الذي يخصه، وهذا الاسم يسترجع (يستدعي) كافة المعارف المكتسبة،**

30CONDILLAC E. B. de, 1746 – Essai sur l'origine des connaissances humaines, édition critique de C. Porset avec une introduction de J. Derrida, Auvers sur Oise : Galilée, 1973, p. 245.
والنص الأصلي هو :

« S' il s' agit des substances, les noms qu' on leur donne ne doivent se rapporter qu' aux qualités qu' on y a remarquées et dont on fait les collections (...) et lorsqu' on dit qu' une substance appartient à une espèce, nous devons entendre simplement qu' elle renferme les qualités qui sont contenues dans la notion complexe dont un certain mot est le signe ».

31 **ينسب آن روبول وجاك موشلار للينييه طريقة التصنيف الشعبي (نسبة للشعبة) للحيوانات والنباتات، ويؤكدان استمرارية هذا التصنيف إلى أيامنا هذه، أنظر مؤلفهما** Anne Reboul & Jacques Moeschler : La pragmatique aujourd'hui, une nouvelle science de la communication éditions du seuil, 1998. **ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص143.**

ربما بمرور الزمن على الاسم إذا سمي؛ من الأفضل في الغموض الأقصى يكتشف النظام المهيمن في الطبيعة"[32].

بدءا من سنة 1753 تبنى ليينيه الأسماء التعيينية الدالة فقط على (**الانتماء**) إلى رتبة مشتركة، ولكنها أيضا دالة على الفروق الكامنة بين عناصرها. إنه أهم إسهام منهجي في أسس علم التصنيف؛ فقبل مجيئه، الأفراد (**الهويات**) Individus لم تكن تمتلك غير أسماء أجناسية des noms génériques من أجل (**النوع**) Genre ؛ فأضاف ليينيه (**اسم الجنس**) nom d'espèce، الذي يسمح لتفريق (**تمييز**) أكثر دقة؛ فالنوع يستدل عليه بالاسم، والجنس يشار إليه بمؤهل qualificatif .

أما (**النظام**) و(**الرتبة**)، صفوف عليا مثلث منذ 1735 ب(الجذر) الذي يضاف إليه (**لاحق**) suffixe أو (**مشكّل**) formant أو (**مثيل**) assimilé مثله.

نذكر على سبيل المثال: (أوركيديا) Orchideae « orchidée » بمعنى تمثيلي sens analogique هي نبتة على شكل بصلة plante bulbeuse والمثل ideae يدل على مظهر aspect وشكل forme . والذي يستعمل في تسمية عائلات النبات في نهاية القرن 17م. (L'orchidée)كما يدل عليها شكلها الاشتقاقي morpho étymologie أنها نبتة على شكل بصلة (بنية بصلية). ولينيه سعى بعمله هذا إلى وضع نظامية نمطية أولى عامة، بهدف تشخيصي

---

[32] **النص الأصلي هو:**
«La méthode, âme de la science, désigne à première vu en 'importe quel corps de la nature de telle sorte que ce corps énonce le nom qui lui est propre, et que ce nom rappelle toutes les connaissances qui ont pu être acquises au cours du temps, sur le corps ainsi nommé: si bien que dans l'extrême confusion se découvre l'ordre souverain de la nature ». Linné, Systema naturae, 1766 : 13 cité in FOUCAULT M., 1966 – Les mots et les choses, Paris : Gallimard, 1992,p. 172.

وتنبؤي **بمعجم تصنيفي**. فهو في واقع الأمر كان يأمل في أن اسم نبتة ما يتيح تعرف آلي reconnaissance automatique على رتبتها وعائلتها (أو نوع النبتة وجنسها)، ومن ناحية أخرى الملاحظة الوحيدة التي تقدم للنبتة يجب أن تحيل على اسمها.

هذا هو النظام الطبيعي systema naturae الذي وضعه لينيه، يصنف باللغة اللاتينية الحديثة ويسمي النباتات على قاعدة معيار جنسي critère sexuel، ومن أمثلة ذلك:

المراتب 13 الثلاثة عشر الأولى للنباتات، سميت بحسب خاصية عدد السداة étamines (عضو التذكير في النبات):

monoandria, diandria, triandria... polyandria وهي من اليونانية القديمة وتعني "الذكر" (male).

والمراتب 14 و 15 سميت بحسب خاصية عدد الأعضاء الذكرية الأكثر قوة أو الأكثر طولا: didynamia, tetradynamia وهي من اليونانية أيضا وهي بمعنى الطاقة (puissance) (القوة) (force).

والمراتب 15، و16، و17، سميت بحسب بحسب خاصية عدد أزواج السداة؛ فبعض النبتات لها سداة لا تلتصق ب(المدقة) pistil ولكن تلتصق فيما بينها: monadelphia, diadelphia, polyadelphia وهي مفردة يونانية تدل على صفة الأخوية أو المضاعفة أو التزواج.

والمرتبة 18، سميت بالاعتماد على معيار التصاق السداة فيما بينها بواسطة anthéres (جزء من السداة حيث تتكون حبوب الطلع): syngénésia : من اليونانية تدل على التكاثر والميلاد؛ فكل سداة مسؤولة عن التوالد بما أن (الموضع) حيث ينتج الطلع هو مكان مشترك.

والرتبة 20، سميت على معيار التصاق السداة مع المدق gynandria (**الجندر**) من اليونانية، وهي (yuvn) تعني الأنثى femelie ،(ανδρος) وتعني الذكر male.

والرتبة 21 و22 ، سميت بحسب وظيفة الزرع المشترك للأعضاء الذكرية والأنثوية على النبتة، وليس على الزهرة بخلاف المراتب أخرى: monoecia et dioecia من اليونانية οικος والتي تعني منزل أو مكان المعيشة habitation

المجلس العلمي للكلية

والمراتب 23 و24، سميت بحسب (**شكل**) أو (**طريقة**) التزواج accouplement: polygamia et cryptogamia، من اليونانية δαμος والتي تعني الزواج mariage[33] .

---

[33] **بخصوص هذه التفاصيل أنظر :**
Linné, Systema naturae, 1766 : 13 cité in Valérie Bonnet : la construction d'une langue savante, p.222.
وما يمكن تسجيله من ملاحظات على منهج Linné أنه في حالة الرتب 13 الأولى أن الاختبار البسيط للنبتة يتيح (تعيين) (تحديد) إسم الرتبة التي تنتمي إليها النبتة، أو أن إسم الرتبة يسمح بالتعرف على النبتة من دون أية عوائق منهجية، حيث يشكل شرح نص تقريبي paraphrase لمعيار تعريف الرتبة، إذ أن (س) عضو ذكري. وفي المقابل أسماء الرتب 14 و18 تستدعي معرفة معيار ضمني –السداة-، الذي لم يذكر في الإسم. والتسميات للرتب 19 و20 تعاني من الفجوة ذاتها (عدم الكفاية): syngenesia انتاج مشترك ، ولكنها ليست تسمية خاصة، و(الجندرية) gynandries (مؤنث/مذكر) تتحدث عن العضوين معا ولكن ليس على أساس التصاقهما ببعضهما مثل juxtaposition التقريبية، إذ تحولت هذه التسمية إلى نوع من الأيقونية iconicité . أما بالنسبة للرتب 21 و22 وبالرجوع إلى المعيار الكمي، فالأسماء تصير أكثر أيقونية iconique بمعنى إيضاحي، وهذا بخلاف حالة الرتب 14 و18 حيث الأعضاء التناسلية غير مذكورة بصفة توضيحية، ولكن السياق الاجتماعي-الثقافي عند الإنسان يعتمد الحياة المشتركة للتوليديين géniteurs يمكن أن يبرر هذه الضمنية. وإذا كانت أسماء الرتب 23 و24 تفسيريا تكون مرجعا للمعيار العام للتصنيف؛ فمصطلح (polygamia) – تعدد الأزواج- لا يشير إلى معيار الرتبة

يمكن تثمين مبادئ لينيه بصورة إجمالية، على أنها وضعت قيد التطبيق في تصنيفه في المقام الثاني، مشتركة لتدل على الانتماء appartenance إلى نفس المرتبة، كما أن معرفة (**الرتبة**) زيادة على أنها تحدد مستوى (**الانتماء**) إضافة إلى ذلك تتيح فهم على أي أساس وضعت التسمية التصنيفية، بالاعتماد على عدة (**ضمنيات**)، وبالطريقة نفسها إن اكتشاف (معلمة repérage) نبتة بفضل معلومات نقلت من خلال اسم رتبتها (الانتماء) أكثر يسرا وسهولة من (**تعيين**) اسم رتبتها التي تنتمي إليها بواسطة الملاحظة المجردة.

على العكس تماما من التسمية التصنيفية l’ appelatif ، (cryptogamia) (الأعضاء التناسلية التي لا ترى بالعين المجردة).

إن هذا العمل التأسيسي[34] الذي وضعه لينيه قد عمل على استثمار التراث الأرسطي في شقه

---

[34] **وما يمكن أن نسجله على هذا التوجه الإحيائي، أنه صورة معدلة عن النموذج المرجعي والذي هو النموذج الأرسطي، وكما مر معنا أننا وجدنا أصحاب هذا الاتجاه ركزوا في عمل المدونة التعريفية أو المعجمية على المفاهيم الطبيعية ونقصد بها تلك المتعلقة بالجنس والنوع والفرد، ومن ثم لم يخرجوا في تعريفهم أو في وضع الحد التعريفي للنبات مثلا عن مبدأ الصفة المصاحبة لفرد الذي يدل على نوع ما يلحق بجنسه الذي ينتمي إليه، ، حيث وجدنا أن بعض التعريفات لنبات الأوركيدا لم يخرج عن المفاهيم الطبيعية الأرسطية مثل الكم وهو مثلا المتعلق بعدد السداة (عضو التذكير) في النبات، ، ولا عن مقولة الكيف بخصوص لونها مثلا، وهذا بالضبط يوافق معنى الحد في التعريف الأرسطي الكلاسيكي: "بأنه أي الحد، العنصر الأخير الذي ينحل إليه القول. إنه اللفظ البسيط الدال الذي يشار به إلى الشيء بما هو إسمه أو وصفه؛ فيؤول البحث إلى فحص مختلف الأوصاف التي بها يوصف الشيء أو الكائتن الموجود L'etre ، وهذه الأوصاف في عامتها هي ما يعنيه أرسطو بلفظ (كاتيغوراي) Catégories وهذه صيغتها اليونانية κατιγορται.من الفعل κατιγορετι من اتهم accuer إنها إذن المقولات أو أجناس الوجود Les genres de l'être . وهذا ما أضفى الطابع الصوري على المنطق الأرسطي بسبب اهتمامه الدائم بالطبيعيات (الجانب البيولوجي)، والذي تكون منه مفهوم (الصورة)، وكذلك بسبب المنهج الاستقرائي في الانتقال من الصور البسيطة إلى الصور المركبة أو الأكثر تعقيدا استقى مفهوم الرتبة والوظيفة، وهذا كله كان المادة الخام التي ارتكزت عليها فيما بعد النزعة التطورية ، وهو بهذا أي أرسطو ربط بين النموذج الأحيائي والنموذج الرياضي وفق نسق/تصنيف قاده في الأخير إلى النموذج الصوري، بواسطة المقولات (اللغة الأداة). انظر كلا من:** Hamelin.O : Le système d'Aristote, lib. F.ALCAN, France, 1931, p. 99. et : Robin. L : La pensée grecque et les origines de l'esprit scientifique, A. France, 1948, p. 298.

ومن بين ما استفاده الاتجاه الطبيعي أيضا أنه أعاد استنساخ شجرة فرفوريوس، ولكن في ثوب جديد ففي مقابل (الجوهر) هناك جنس عال أو ما أطلق عليه الجنس العام ثم (النوع) في مقابل (الجسم)، ثم (الصنف) ثم (النمط) وأخيرا (الفرد). وهذا طبق في طريقة الاشتقاق الغوي على قاعدة اللغات الجذعية ومثاله هو:

monandria ⇐⇒ *polyndria*

وأيضا :

diandria ⇐⇒ *didynamia*

tetrandria ⇐⇒ *tetradynamia*

وكذلك :

diandria ⇐⇒ *didynamandria*

tetrandria ⇐⇒ *tetradynamandria*

و:

di<u>andria</u> ⇐⇒ *di<u>dyna</u>m<u>andria</u>*

⇑ ⇑

⇓ ⇓

tetr<u>andria</u> ⇐⇒ *tetra<u>dynam</u>andria*

بالإضافة إلى :

---

diandria ⇐⇒ *didynamia*

⇑ ⇑

⇓ ⇓

tetrandria ⇐⇒ *tetradynamia* **وهي كلها تدل على كيفية التصنيف في رتب وفي فوج وقد سبق الحديث فيها فارجع إلى المتن. وهناك صورة أخرى لتطبيق مبدأ شجرة فورفوريوس في مجال الكيمياء على الشكل الآتي:**

CH_4 méthane n = 1	X	C_3H_8 propane n = 3	C_4H_{10}.etc. butane n = 4

X = C_2H_6 (n = 2)

CH_4O alcool méthylique n = 1	C_2H_6O alcool éthylique n = 2	X	$C_4H_{10}O$.etc. alcool butylique n = 4

X = C_3H_8O (n = 3)

وأيضا :

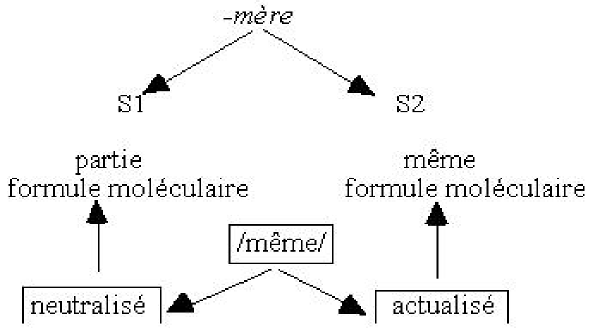

وكذلك

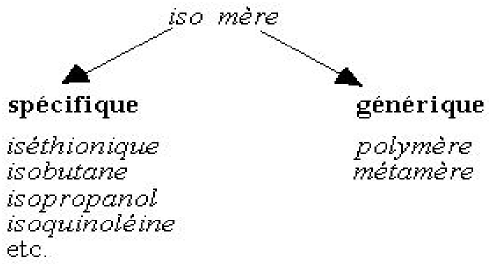

أو الشكل الموالي:

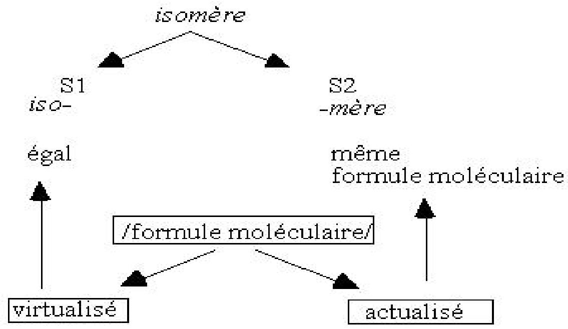

بهدف الوصول إلى شكل متناغم في تسمية العناصر الكيميائية، انطلق الكيميائيون من مبدأ أن (الأجسام) تأخذ تسمياتها بالرجوع إلى إحدى الخاصيات الكيماوية المميزة والمتوافقة في إطار نظرية ما مثل ما كان عليه الحال زمن لافوازييه (نظرية الفلوجيستل) المنسوبة إلى ستاهل Stahl. وفي عام **1766** يقوم الكيميائي الإنجليزي هنري كافيندش **Henry Cavendish** بعزل الهيدروجين **H2** ويطلق عليه هواء غير محترق **inflammable air** بسبب نزعته إلى (الاحتراق). والسويدي **Carl Wilheim** يسمي الكلور **Chlore** بحامض بحري دي فلوجسيتك **Acide marin déphlogéstique** للدلالة على غياب الفلوجستان في التركيبة الكيميائية لهذا العنصر، وسار على المنوال ذاته الكيميائي الإنجليزي **Joseph Pristley** عندما أطلق على الأوكسجين : هواء من دون (منقوص) الفوجيستك **Oxygène : dephlogistiated air** وأيضا فيما يتعلق بالنتروجين **Azote**. لكن الكيميائي السويدي **Torbern Bergman** استمد النظام الثنائي في التسمية الكيميائية الذي وضع مواطنه **Linné**. وفي سنة **1782** يتبع أستاذ الكيمياء **Guyton de Morveau** القواعد ذاتها التي اتبعها لوبرن، وبنى مدونة كيميائية تعتمد على مبدأ أساسي وهو "التسمية كدليل على تركيبة المواد"، حيث تأخذ (الأملاح) مثلا المشكلة من (الأحماض) إسما تجنيسيا يذكر بالحمض الذي استخرج منه. وأسماء (القواعد)، حيث (المواد) تدل على (الأحماض)، وتضاف إلى المواد التي تدل على نوع الأحماض، وهكذا دواليك في باقي عملية التصنيف المعجمي الكيميائي. وبدءا من سنة **1786** يعمل **Guyton de Morveau** مع **Lavosier** على وضع أسس ثابتة لمدونتهم الكيميائية والتي استقرت مع **Bourguignon** الذي أقحم النظامية **systématique** للواحق **suffixes** حيث تسمح بكتابة الصيغ الكيميائية **combinaisons chimiques** ؛ ف(الأحماض) في نظريته تلخص صيغة الأوكسجين مع مختلف الجذور ، حيث تمنح اللاحق **(ique)** للأحماض القوية **acides forts**، أي الأحماض المشبعة بالأوكسجين، وتمنح اللاحق **(eux)** للأحماض الضعيفة **acides faibles**، أي الأحماض منقوصة الأوكسجين. أما (الأملاح)، والتي تعني الأجسام المستخلصة من تفاعل الأحماض مع القواعد، تمنح اللاحق **(ate)** للأملاح المستخلصة من الأحماض القوية، وتمنح اللاحق **(ite)** للأملاح المستخرجة من الأحماض الضعيفة. أما (الأجسام)؛ فهي الملخصة للصيغة مع مواد أخرى غير الأوكسجين، تمنح اللاحق **(ure)**. وعليه صار (الإسم) لا يدل فقط على تركيبة المادة الكيميائية المشار إليها، ولكنه يشير أيضا إلى نسبة بعض المكونات.

أنظر كلا من:

FOUCROY A. F. de, 1787 – Mémoire pour servir à l' explication du tableau de nomenclature, in Lavoisier A. L., Guyton de Morveau L. B., Fourcroy A. F. Berthollet C. L., Méthode de nomenclature chimique, Paris : Le Seuil, p. 109-122.

(الطبيعي)، حيث تأسست كافة المفاهيم الطبيعية في القرن الثامن عشر على ذلك الإرث الذي خلفه أرسطو في **مجال الطبيعيات**، بل والدليل الأكثر حضورا هو تلك الكيفية التي صيغت بها التسميات على أساس المفاهيم الأرسطية ذاتها اعتمادا على المقولات الشهيرة مثل الاسم والكم والكيف والجنس والنوع، والمادة والصورة، بل وأيضا بهذه الكيفية أعيد صياغة رياضيات جديدة تقوم على هذه المفاهيم التأسيسية. هذا من جهة ومن **جهة ثانية** إن مؤسس هذا الاتجاه الطبيعي تمكن هو ومن معه من إعادة بعث الحياة في اللغات القديمة مثل اليونانية وبفضل بحثهم الحثيث عن صورة للغة عالمية شاملة تكون أداة للمعرفة البشرية قد أعادت الاهتمام بتلك اللغات القديمة، من خلال **تيار البحث اللغوي المقارن والتطوري أيضا**.

ومن **جهة ثالثة** إن تأسيس هذه المدونة التصنيفية قد قدمت أولى المفاهيم والعناصر التكوينية النووية للمفاهيم البنوية التي سيعرفها البحث اللساني الحديث بمجيء دي سوسير وتلامذته الذين تفرقوا مدارس واتجاهات فكان منهم الشكلانيون والبنيويون خصوصا.

LAVOISIER A. L., GUYTON de MORVEAU L. B., FOURCROY A. F. BERTHOLLET C. L., 1787 – Méthode de nomenclature chimique, introduction de B. Bensaude-Vincent., Paris : Le Seuil, 1994, 256 p. 18.

BERETTA Marco., 1996 – « The Grammar of Matter. Chemical Nomenclature during the XVIIIth century », in Chartier R. & Corsi P. (dir.), Sciences et langues en Europe, Paris : École des Hautes Études en Sciences Sociales, p. 116..

المحاضرة الحادية عشر: اللسانيات الجديدة

مدخل تمهيدي:

إنّ النظرية اللسانية المعاصرة أخذت خصوصيتها المميزة منذ أن ظهرت إلى الوجود والأفكار العلمية التي جاء بها دو سوسير في مجال البحث اللساني، ومن هنا يعدّ دو سوسير مؤسس اللسانيات في الثقافة الإنسانية المعاصرة دون سواه؛ فمن هو دي سوسير؟

لم يخرج دي سوسير عن روح ذلك العصر الذي كان ينتمي إليه، ألا وهو القرن التاسع عشر، حيث كانت النزعة الرومانسية في مجال السياسة والآداب تجتاح كل مجلس وكل صالون فكري أو أدبي، وكذلك تنامي النزعة العقلية والنزعة العلمية التجريبية والتي ألقت بظلالها على كاهل علماء ذلك العصر وكما جاء في مقدمة كتاب « Cours de linguistique générale, F , de Saussure »، والتي قام بنشرها في النسخة الفرنسية Tullio de Mauro، أن دي سوسير ينتمي إلى عائلة عرفت بأبنائها متعددي المواهب العلمية والفكرية والثقافية بل والسياسية أيضا، بل صار داخل هذه العائلة شبه تقليد بأن يبرز أحد أبنائها في علم من العلوم وقد وردت تفاصيل مهمة في القسم الخاص بذلك تحت عنوان ملاحظات سير ذاتية ونقدية حول فرديناند دي سوسير (Notes Biographiques Et Critiques sur F De Saussure) من الصفحة 319 إلى الصفحة 322 ، بل يذكر أيضا أنه في بداية حياته التعليمية وجهه والداه نحو العلوم التجريبية حيث سجل في دروس الفيزياء والكيمياء بجامعة جنييف، لكنه في ذات الوقت كان يتابع دروس الفلسفة والتاريخ والفن واللسانيات أو بالأحرى الفيللوجيا وهذا ما يفسر لنا تلك الصرامة المنهجية والكفاءة البيداغوجية اللتين ميزتا دي سوسير فيما بعد، وبذلك قدم خطابا جديدا في الدرس اللساني الحديث[35].

أصدر دي سوسير مشروع عمله المعنون: "مذكرة النسق البدائي للوائت في اللغات الهندو–أوروبية" Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues

[35] F, de Saussure : Cours de linguistique générale , édition critique préparée par Tullio de Mauro, payot, Paris 1972, 509 pages, pp. 319-324.

indo–européennes، الذي طبعه في لبزيغ سنة **1879**[36]، وفي سنة **1880** تقدّم بأطروحته "استعمال المضاف المطلق في اللغة السنسكريتية" **L'emploi du génitif absolu en sanscrit**، لنيل درجة الدكتوراه بكلية الفلسفة من جامعة ابزيغ، وقد نشرها سنة **1881**[37]. وبخلاف هذين العملين كل ما نشر له كان بعد وفاته، باستثناء مجموعة مقالات متفرقة* جمعت ونشرت له سنة

---

[36] F, de Saussure : Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indo-européennes, Leipsick, B.G. Teubner, 1879.

[37] F, de Saussure : L'emploi du génitif absolu en sanscrit, Genève, Imprimerie Jules-Guillaume Fick, 1881.

1922 في كتاب جامع بعنوان: Recueil des publications scientifiques de Ferdinand de Saussure.[38]

بعد نجاحه الباهر، يختار دي سوسير باريس مستقرا له؛ فيحضر دروس كل من بريال، د. أرميستز وهيفيت كانوا يقدمونها بمدرسة الدراسات العليا ليعمق دراسته ومعارفه حول اللغات الهندو–أوروبية، ولكن سرعان ما صار مدرسا بها بدءً من خريف عام 1881 خلفا لمنصب أستاذه ميشيل بريال ليدرس بصفته أستاذا محاضرا للقوطية والألمانية القديمة (الجرمانية). وكانت هذه أولى خطواته في المدرسة اللسانية الفرنسية التي طبعها بميسمه من خلال دروسه القيمة حول النحو المقارن للغات الهندو أوروبية، كما كانت فرصة

---

[38] F, de Saussure : Recueil des publications scientifiques de Ferdinand de Saussure, Librairie Payot & Cie, Gèneve, 1922.

- **بخصوص المقالات والمذكرات التي جمعت ونشرت في هذا المجموع بعد وفاته سنة 1922 وكما يذكر ذلك تلميذه بالي في مقدمة الكتاب ويحيل إليها في الملحق بدء من الصفحة 600 يؤرخ لها انطلاقا من 1880 إلى غاية 1891، حيث شغل دي سوسير جانبا من أعمال الجمعية اللسانية بباريس، والتي من خلالها نشر عدة مقالات في مجلة "مذكرات الجمعية اللسانية (اللغوية)، والتي كانت في الأصل مداخلات شفوية، وكان أول ما قدمه بتاريخ 28 ماي 1881، وتمت الإشارة إليها في نشرية الجمعية رقم 22. وقد بلغت 11 كانت آخرها في 06 جوان 1891. ثم نشر له مقال سنة 1896 كان في الأصل مداخلة شارك بها في مؤتمر المستشرقين في جنيف عام 1894 والتي قدمها يوم السبت 08 سبتمبر 1894 عنوان: « Sur L'accentuation de la langue lituanienne ». كما قدم 03 مداخلات لجمعية التاريخ والآثار بجنيف، الأولى قدمها بتاريخ 28 مارس 1901، ونشرت بعد ذلك بتاريخ 07 أفريل 1901 والتي كانت بعنوان: « Le nom de la ville d'oron à l'époque romaine ». والمداخلة الثانية قدمها بتاريخ 29 جانفي 1903، والتي أشير إليها في نشرية الجمعية الجزء 2 في ص 342. والتي كانت بعنوان: « Origine de quelque noms de lieux de la région genevoise ». وثالث مداخلة قدمها بتاريخ 15 ديسمبر 1904، والتي أشير إليها في نشرية أعمال الجمعية في الجزء 3 في ص 09. والتي كانت بعنوان: « Les Burgondes et la langue burgonde en pays Roman ». وفي سنة 1907، بالمجلة السلتية La Revue Celtique, vol. XXVIII (1907), . 340 يناقش م.ج. لوث M.J.Loth مع معان رسالة وجهت له من طرف فرديناند دي سوسير يقدم فيها تفسير لإسم جورا Nom du Jura. وبهذا نجد تفنيدا قاطعا لمن يقول بأن دي سوسير توارى عن الأنظار فجأة ودخل في عزلة تامة امتدت من 1896 إلى غاية 1907، حيث رجع إلى التدريس بعد إلحاح شديد ومحاولات متكررة من طرف تلامذته.**
  انظر: F, de Saussure : Recueil des publications scientifiques de Ferdinand de Saussure, pp. 600-607.

غير أن تلميذه بالي في مقدمة كتاب دروس في اللسانيات العامة يدرج أنه في سنة 1921 جمع جاك وريموند دي سوسير في المكتبة العامة بجنيف 465 جزء ومجاميع مختلطة ومرقمة، كما يوجد على حدى مخطوط بتاريخ 1919 رقم 337، هذه هي ملكية دي سوسير، والتي تتضمن تدوينات بخط يده. والتي تحتوي على كتابات في اللسانيات التاريخية المقارنة الهندو-أوروبية والتي تشكل ما نسبته (326 على 465)، والذي يظهر أن ما نسبته 10مخطوطات فقط تخص اللسانيات العامة، والتي يمكن أن تضاف إليها 26 كتابة حول الفونتيك والفونولوجيا. و132 عنوانا والذي يمثل ¼ ربع المجموع خاص بالدراسات الجرمانية وأما بخصوص الدراسات البلطيقية يوجد 36 عنوانا، و23 عنوانا يخص الأساطير لمختلف الشعوب الهندو-أوروبية، كما توجد بصفة خاصة دراسات عن العروض في الجرمانية فقد بلغت 13 عنوانا. أما الأعمال المختلفة في المجموع بلغت 27 لها علاقة بالفونولوجيا التاريخية الوصفية والفونتيك التجريبية والتصويرية.
انظر:

F , de Saussure : Cours de linguistique générale, p. 395.

ليتكون على يديه جيل من العباقرة اللسانيين، وقضى بها عشر سنوات نشر خلالها بضعة مقالات في مجلة الجمعية اللغوية.

لكنه رجع سنة 1891 إلى مسقط رأسه جنيف، والتي كان قد أنشئ بجامعتها حينها كرسي التاريخ المقارن للغات الهندو أوروبية خاص بدي سوسير، وظل يشغل هذا الكرسي إلى أن توقف عن التدريس سنة 1896 كما يقول البعض، غير أننا نجد من خلال ما نشره تلميذه شارل بالي في مجموع مقالات وأبحاث دي سوسير الذي تم نشره بعد وفاته، أنه قدم سلسلة من الدروس والمقالات وفق التسلسل التاريخي الآتي امتدت من 1881 إلى غاية 1911:

انطلاقا من 1880 إلى غاية 1891، نشر عدة مقالات في مجلة "مذكرات الجمعية اللسانية (اللغوية)، والتي كانت في الأصل مداخلات شفوية، وقد بلغت 11 كانت آخرها في 06 جوان 1891. ومداخلة شارك بها في مؤتمر المستشرقين في جنيف عام 1894 والتي قدمها يوم السبت 08 سبتمبر 1894 عنوان: « Sur L'accentuation de la langue lituanienne ».، كما قدم 03 مداخلات لجمعية التاريخ والآثار بجنيف، **الأولى** قدمها بتاريخ 28 مارس 1901 وهي السنة التي تحصّل فيها على منصب أستاذ فوق العادة للغة السنسكريتية خاصة واللغات الهندو أوروبية بصفة عامة واستمر في هذا المنصب إلى غاية 1906، والمداخلة **الثانية** قدمها بتاريخ 29 جانفي 1903، **وثالث** مداخلة قدمها بتاريخ 15 ديسمبر 1904، كما قدّم ثلاث محاضرات كبرى حينما عهد إليه معهد الآداب والعلوم الإنسانية تدريس مادة "اللسانيات العامة مع اللسانيات التاريخية والمقارنة للغات الهندو أوروبية" عوضا عن الأستاذ "ورتمير" الذي أحيل على التقاعد؛ فقدم المحاضرة **الأولى** في اللسانيات العامة سنة 1907، **والثانية** ما بين 1908-1909،**والثالثة** ما بين 1910-1911، وهي محاضرات ألقيت شفويا على الطلبة.

ويرجع بعض الباحثين أن سبب رفض دي سوسير كتابة محاضراته أو نشرها لاعتقاده أنّ مادة تدريسه تلك لم تبلغ بعد المستوى اللائق المعبّر عما كان يختمر في ذهنه من أفكار في مجال اللسانيات العامة. ويمكن إجمال الأسباب في النقاط الآتية:

أولا: ليس من المستبعد أن ترجع بعض الأسباب إلى الجو الثقافي العام؛ فلربما لم تكن الظروف الموضوعية صالحة وهيأ لظهور مثل هذه الأفكار الجريئة في ميدان الدراسات اللسانية، وهو الميدان الذي اعتمد فيه الدارسون كثيرا طيلة القرن 19م وحتى بداية القرن 20م على التاريخ لشرح ماهية اللغة _(لنتذكر المقارنات وعلم الإيتمولوجيا)- ومعنى هذا أن المجال لم يكن سانحا تماما للبحث النظري المحض، لاسيما وأن العلماء كانوا ينظرون إلى اللغة لا

باعتبارها ظاهرة متعددة الجوانب وقائمة بذاتها، وإنما على أساس مشابهتها للأشياء تارة وللأجسام الطبيعية تارة أخرى.

ثانيا: لا شك أن دي سوسير لم يكن في وسعه —وبمفرده- معاكسة أفكار عصره الثابتة بصراحة الجريء الذي لا يقدر العواقب، حتى لو كان نابغة زمانه؛ فقد كان يبتعد تدريجيا عن معاصريه كلما تحكم أكثر فأكثر في الحقيقة التي كان يبحث عنها.

ثالثا: لا شك أيضا أن هذه الحقيقة التي اكتشفها سوسير كانت تدعوه إلى رفض كل ما كان يدرّس بشأن اللغة، وقبل التصريح بها علانية وطرحها على بساط البحث والنقد كان لابد من التحقق من صحتها.

رابعا: أن الرسالة التي بعث بها إلى صديقه مييه —الذي كان تلميذه في باريس- في 04 جانفي 1894م هي غنية عن كل تعليق لكونها تحمل بصريح العبارة رفض دي سوسير القاطع لنشر مادة تدريسه إذ يقول: "(...) **فأنا مشمئز من كل هذا، ومن الصعوبة التي ألاقيها غالبا ي تحرير عشرة أسطر فقط ذوات معنى فيما يتعلق بمسألة اللغة، ثم موضوع الأوصاف التي تشترك فيها الأحداث اللغوية، وأنا مهتم منذ زمان طويل بتصنيف هذه الأحداث تصنيفا معقولا؛ فصرت ألمح بوضوح أكثر ضخامة العمل الذي يجب على الباحث أن يضطلع به حتى يشعر اللغوي بحقيقة ما يجريه من تحليل (...)، وسأختم عملي هذا بكتاب أحرّره وأنا مكره على ذلك، أفسّر فيه بدون حماس لماذا لا يوجد لفظ واحد يستعمل الآن في علم اللسان التاريخي يمكنني أن أبيّن فيه معنى من المعاني**".

وبعد وفاته تأسف تلامذته على عدم تنفيذه لمشروعه؛ فانبرى إثنان منهم على تحقيق هذا الطموح، وهما شارل بالي C. Bally وألبر سيشهاي A. Sechehaye، ومع أنهما لم يكونا من تلاميذه المباشرين بل ولم يكن في حوزتهما حتى مسوّاته أو مخطوطاته الشخصية، إلاّ أنّ تضافر الجهود وكراريس بعض الطلاب السويسريين المجموعة من أمالي دي سوسير هي التي أتاحت لهم إخراج دروسه وتنسيقها على حسب ما كان يدور في ذهن صاحبها، وهكذا تظهر إلى الوجود سنة 1916 تلك الدروس بعنوان "دروس في اللسانيات العامة" « Cours de Linguistique Générale ». لقد أثار هذا الكتاب الكثير من الاهتمام لدى المفكرين والدارسين آنذاك، على الرغم من الظروف غير المواتية بسبب الدمار الفكري والحضاري الذي أحدثته الحرب العالمية الأولى؛ فقد ذكره وتحدث عنه أشهر الدارسين اللغويين في ذلك الوقت منهم "مييه Meillet (1916-1917)، وماروزو Marouzeau (1923)، وبلومفيلد Bloomfield (1924)، وغيرهم كثير، وما أن ظهرت الطبعة الأولى للكتاب عام 1916 حتى بدأ ينشر في الثقافات الإنسانية المختلفة بلغات متعددة؛ فأول ترجمة له كانت باللغة اليابانية عام 1928م في طبعتها الأولى على يد (H. Kobayashi) بعنوان: Gengoga

Kugenron، ثم توالت الطبعات للترجمة اليابانية فيما بعد؛ فكانت الطبعة الثانية عام 1940، وهي طبعة مزيدة ومنقحة مع بيبليوغرافيا ثرية، ثم تلتها الطبعة الثاثة عام 1941 بمقدمة نقدية جديدة، وكانت الطبعة الرابعة عام 1950م.

ثم ترجم إلى اللغة الألمانية عام 1931م على يد (H. Lommel) بعنوان: Grund Fragen Der Allgemeinen Sprachwissenschaft، ثم تلتها الطبعة الثانية للترجمة الألمانية عام 1967 ببرلين.

وترجم أيضا إلى اللغة الروسية عام 1933م في طبعته الأولى على يد (H.M.Suhotin) بعنوان: Kurs OBSCEJ LINGVISTIKI، وترجم إلى الإسبانية عام 1945م في طبعته الأولى على يد (Amado Alonson) بعنوان: Curso De Linguistica Generale، ثم توالت الطبعات لهذه الترجمة على التوالي: الطبعة الثانية عام (1955)، والطبعة الثالثة (1959)، والطبعة الرابعة (1969).

وترجم أيضا إلى اللغة الإنكليزية سنة 1959 على يد (W. BASKIN) بعنوان: Course in General Linguistics، وترجم أيضا إلى اللغة البولونية عام 1961م على يد (Krystina KASPRZYK) بعنوان: KuRS IEZy KOZNAWSWA OGOLNIRGO، ثم ترجم إلى الإيطالية عام 1967م، ولم يترجم إلى العربية إلاّ في بداية الثمانينيات في ترجمات متعددة أي بعد حوالي سبعين سنة من نشره، وذلك ما يثير عدة تساؤلات، إذ ظل المبحث اللغوي العربي بعيدا عن هذا الزخم المعرفي الكثيف الذي أحدث ثورة عميقة في الفكر اللساني الحديث والمعاصر.

1/ آراؤه في البحث اللساني:

بمأن اللغة ظاهرة جدّ معقّدة (فهي تتألف من حوادث مختلفة: صوتية، نفسية، اجتماعية، تاريخية، جغرافية،.الخ)، لذا نجد أن علماء اللغة في أوروبا امتازت أعمالهم بالطابع الأكاديمي المغرق في فقه اللغة، خاصة فقه اللغات الهندو أوروبية وسلالاتها نسبها حتى أواخر القرن 19م، حيث ظهر النحاة الجدد في لبزيك Leipzig ومن بينهم برغمان Brugman وأوسطاف Osthoff ولسكان Leskien، وفي فرنسا كل من مييه Meillet وم. بريال M. Bréal وه. بول H. Paul، وهم لا يمتازون عمّن سبقهم أو عاصرهم بغير حدّة لهجتهم في تأكيد ما يقولون به ويذهبون إليه من حتمية التغيير الآلي لأصوات اللغة، ومن أن هذه الحتمية هي عنوان علمنة البحث فيها، إلى التأكيد على أن اللغات وما يطرأ عليها تخضع في ذلك للجماعات والأفراد، وربما يكمن الجديد عندهم في قطع الصلة تماما بالجديد عند هومبالت وعند الرومنطقيين ومن قبله وخاصة عند هاردر Herder، وعلى أية حال فإنّ مثل هذه الاتجاهات في البحث اللغوي لم يسلم من عدواها أحد، وإن اختلف تمكّنها باختلاف الأشخاص حتى دي سوسير نفسه، ظهر أوّل ما ظهر بمذكرته حول النظام البدائي للحروف

الصائتة في اللغات الهندية-الأوروبية، وإنه نذر من خرج بها من الأصوات إلى النحو بمعناه الضيق، حتى إن جلّ ما أفرزته حركة رد الفعل ضدّ هذه الاتجاهات كان في ميدان الأصوات بالذات، نقد علم وظائف الأصواتPhonologie، وإن عموم هذه الحركة بدورها كان قائما حول ما يسمى ب(الصوتم) Phonème ؛ فكما كان التراث اللغوي الغربي يقوم على نظرية (العلامة) قديما وربّما إلى اليوم، أصبح يقوم في تلك الفترة على نظرية (الصوتم)، ولم تنتظر هذه النظرية نشر دروس دي سوسير في اللسانيات العامة (1916) للإنتشار، بل كانت صلب أعمال كل من (1887) Sweet، وأوّل من حدّد مفهوم الكلمة وجاء ب(اللفظ) كان B. de Courtenay، أما مدرسة براغ فقد شكلتها على ضوء دروس دي سوسير وكان الأمير ن. تروبيسكاي N. Troubetskoy (1926) هو المنظر والقيّم، وعليه فإنّ المتبصّر في قطيعة دي سوسير مع الفكر اللغوي السابق، سيرى أنّها قطيعة ظاهرية فقط، إذ ظلت آراؤه في جوهرها المعرفي والايبيستمولوجي استمرارية للفكر اللساني القديم، إذ أنّ التّحوّل المنهجي الذي كان يتوخاه دي سوسير يقتضي –حسب الضرورة المنهجية- عودة تقويمية للفكر اللغوي السابق، قاصدا من ذلك تحديد الإطار الفكري والمعرفي للدراسة اللغوية عبر الحقب الزمنية المختلفة؛ فتبيّن له بواسطة هذه الالتفاتة التاريخية أنّ الدراسة اللغوية في الحضارة الإنسانية مرّت بثلاث مراحل أساسية:

- **المرحلة الأولى: (مرحلة النّحو)**، بدأت هذه المرحلة في نظر دي سوسير من جهود اليونانيين، ثم تعمقت أكثر على يد الفرنسيين خاصة في نحو بور رويال Port Royal؛ فهي دراسة قائمة في جوهرها على النطق وأدواته (المفاهيم والاصطلاحات)، وتكاد تخلو هذه الدراسة من أي تصوّر علمي واقعي للظاهرة اللغوية، من حيث هي أداء وإنجاز فعلي للكلام؛ فكان هدف هذه الدراسة هو: وضع معايير قارة بناء على مبدأ الخطأ والصواب؛ فهي دراسة معيارية ليس إلاّ.
- **المرحلة الثانية: (مرحلة الفللوجيا)**، كانت هذه الدراسة تسعى إلى شرح النصوص القديمة وتفسيرها، إذ تعتمد اللغة وسيلة وليس غاية في ذاتها؛ فهي دراسة تتميز بالقدم حيث اقترنت نشأتها الجنينية بالنصوص المكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية؛ فموضوع الفللوجيا الأساسي ليس (اللسان) من حيث هو غاية في ذاته، وإنّما (اللسان) من حيث هو وسيلة لمعرفة ما هو خارج عن النظام اللساني نفسه. والفللوجيا –كما هو معروف- تعكف على دراسة الخطاب المكتوب، وتقصي من اهتماماتها الخطاب المنطوق، ومن ههنا؛ فإنّ الفللوجيا من حيث هي منوال يتعامل مع الظاهرة اللغوية، تظل بعيدة عن طبيعة الدراسة العلمية والموضوعية للسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية، يجب أن تدرس هذه الظاهرة في ذاتها ومن أجل ذاتها.
- **المرحلة الثالثة (الفللوجيا المقارنة)**، ظهرت هذه الدراسة منذ أن اكتشف الأوروبيون العلائق القائمة بين اللغات القديمة (السنسكريتية، اليونانية، اللاتينية)، إذ بدأ الاهتمام بالبحث عن الصفات المشتركة بين اللغات على المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي. ولقد أوحى فرناز بوب F. Bopp من خلال جهوده

الأولية في هذا الشأن بإمكانية وجود علم مستقل يعكف على مقاربة الألسنة والبحث عن الصفات المشتركة بينها.

كان لهذا التّوجّه الجديد نحو المقارنة بين اللغات الفضل في فتح حقل خصب من حقول المعرفة الإنسانية، غير أنّه لم يتوصّل إلى سبر أغوار الظاهرة اللسانية سبرا عميقا، بل ظل يتحرّك خارجها في دوامة التّحوّل العضوي للسلالات اللغوية، دون أدنى جهد في خرق البنية الداخلية للسان البشري[39].

بهذه العودة التاريخية والتقويمية للفكر اللغوي السابق، يكون دي سوسير هيّأ الأرضية –منهجيا– للبديل المتوخى؛ فكانت اللسانيات بإجراءاتها التطبيقية وخصائصها المنهجية، الرافد المرجعي الذي بإمكانه أن يقدّم التفسير الكافي لبنية اللسان من حيث هو نظام تواصلي يمتلكه كل فرد ينتمي إلى مجتمع لغوي متجانس.

وعليه تنحصر مهمة (اللسانيات) في نظر دي سوسير في المجالات التالية:

1- وصف كل الألسنة والتأريخ لها، أي القيام بالتأريخ للعائلات اللغوية، وإعادة بناء أصول كل عائلة.
2- البحث عن القوى الفاعلة بشكل دائم في كل الألسنة، واستنباط القوانين العامة التي يمكن لنا أن نبرّر بها كل ظواهر التاريخ الخاصة.
3- تميز الألسنية نفسها عن باقي العلوم، وتحديدها لنفسها بنفسها[40].

وأخير، إنّ أعظم تقدير يمكن توجيهه إلى أصالة وقوة تفكير دي سوسير، هو أنّ اللسانيين بذلوا صارى جهودهم في مناقشة أفكاره، إمّا عن طريق تبنيها كاملة، وإمّا عن طريق إدخال تعديلات عليها وتطويرها لتبقى حية أور رفضها بعد الانطلاق منها.

إنّ التّحوّل العلمي الذي جاء به دي سوسير في مجال البحث اللساني، يتبدّى في الثنائيات التّي تشكّل المحور المعرفي للمنهج المتوخىّ، وهذه الإزدواجية هي أهم مبدأ عند دي سوسير، وهي مدار اهتمامه وتفكيره على الإطلاق.

---

[39] F , de Saussure : Cours de linguistique générale, p. 12.

[40] مبارك حنوز: مدخل للسانيات دي سوسير، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب 1987م، صص 15-16.

من خلال ما تقدم، خلصنا إلى نتيجة أساسية وهي أن البحث اللساني قبل الثورة السوسورية في حقل اللسانيات كانت جميعها ترنوا إلى اكتشاف أو ابتكار لغة عالمية شاملة وكلية تكون قادرة على إنتاج المعرفة في مختلف المجالات العلمية والمعرفية البشرية المختلفة، وبهذا كانت البداية البحث عن لغة عالمة (عارفة)، ولكن مع

المحاضرة الثانية عشر: بداية عصر جديد

تطور المفاهيم حول اللغة وطبيعتها ووظيفتها وقوانينها، بدأ البحث اللساني يبتعد شيئا فشيئا عن تلك النظرة المعيارية والأيديولوجية تماما، حيث أحدث قطيعة معرفية خالصة مع ما سبقه من نظريات وآراء ومفاهيم حول اللغة ذات أبعاد فلسفية وأيديولوجية وتاريخية، من خلال رؤيته أن اللغة موضوع مستقل بذاته عند دراسته وبمعزل عن السياقات الجانبية وبذلك فهو لا يهتم بالهدف الأسمى الذي كانت تسعى إليه الجهود السابقة، ألا وهو الوصول إلى لغة عالمية شاملة هدفها إنتاج المعرفة، أو فهم سيرورة المعرفة البشرية من خلال اكتشاف قوانين اللغة وسنن الخطاب البشري، ونحن لا نتشعب في جزئية ليست هي المقصد ولا الباعث في هذه الدراسة نلخص **أهم الملامح التي طبعت المرحلة اللسانية من خلال آراء دي سوسير[41] اللسانية، ويمكن حصرها في:**

1 – أ / كيفية تحديده للعلاقة القائمة بين (الدال) و(المدلول) في الأذهان والأعيان وبنائه بذلك نظرية للدليل اللغوي Théorie du signe linguistique[42]، يحاول من خلالها تفسير ماهية الدلالة اللغوية، كما أشار إلى وجود علم أشمل من علم اللسان يتضمن موضوع الأنظمة الدلالية يطلق عليه Sémiologie أي علم الدلالة (علم السيمياء).

انطلاقا من الأفكار الأرسطوطاليسية وحتى أصحاب مدرسة بورروايال العقلانية والتابعين لها، فقد كان الاعتقاد سائدا عند معظم الدارسين أن اللغة ليست سوى قائمة أسماء مناسبة للأشياء الطبيعية، ولو كان الأمر كذلك لسهل تعلّم أية لغة بحفظ قائمة الأسماء المناسبة من لغةإلى أخرى، ولما وجدنا الفروق في تأليف الكلمات بين مختلف اللغات نحو (chevel, horse, pfend) لدى الفصيلة الواحدة) ذات المنتوجات الصوتية المشتركة من جهة أخرى.

وعلى هذا الأساس؛ فإن دي سوسير يخطّئ هذه النظرية ويأتي الحجج التالية[43]:

---

[41] لم يخرج دي سوسير عن روح ذلك العصر الذي كان ينتمي إليه، ألا وهو القرن التاسع عشر، حيث كانت النزعة الرومانسية في مجال السياسة والآداب تجتاح كل مجلس وكل صالون فكري أو أدبي، وكذلك تنامي النزعة العقلية والنزعة العلمية التجريبية والتي ألقت بظلالها على كاهل علماء ذلك العصر وكما جاء في مقدمة كتاب « Cours de linguistique générale, F , de Saussure »، والتي قام بنشرها في النسخة الفرنسية Tullio de Mauro، أن دي سوسير ينتمي إلى عائلة عرفت بأبنائها متعددي المواهب العلمية والفكرية والثقافية بل والسياسية أيضا، بل صار داخل هذه العائلة شبه تقليد بأن يبرز أحد أبنائها في علم من العلوم وقد وردت تفاصيل مهمة في القسم الخاص بذلك تحت عنوان ملاحظات سير ذاتية ونقدية حول فرديناند دي سوسير (Notes Biogrqphiques Et Critiques sur F De Squssure) من الصفحة 319 إلى الصفحة 322 ، بل يذكر أيضا أنه في بداية حياته التعليمية وجهه والداه نحو العلوم التجريبية حيث سجل في دروس الفيزياء والكيمياء بجامعة جنييف، لكنه في ذات الوقت كان يتابع دروس الفلسفة والتاريخ والفن واللسانيات أو بالأحرى الفيللوجيا وهذا ما يفسر لنا تلك الصرامة المنهجية والكفاءة البيداغوجية اللتين ميزتا دي سوسير فيما بعد، وبذلك قدم خطابا جديدا في الدرس اللساني الحديث.

انظر: F , de Saussure : Cours de linguistique générale , édition critique préparée par Tullio de Mauro, payot, Paris 1972, 509 pages, pp. 319-324.

[42] F , de Saussure : Cours de linguistique générale , p.97- 103.

[43] F , de Saussure : Cours de linguistique générale, p. 29.

- أوّلا: فهي تعني وجود الأفكار جاهزة قبل الكلمات أو (الدوال)، وهذا ما لا يقبله سوسير الذي يعاكس موقف القائلين بأسبقية الفكر في إشكالية العلاقة القائمة بين (الفكر) و(اللغة). فهو يرى أن (الفكر) ليس سوى "كتلة عديمة الشكل" أو "سديم غير واضح المعالم"[44] بحيث لا يمكن بأي حال من الأحوال ومن دون الاستعانة بالعلامات اللسانية، أن نميّز بوضوح بين مختلف الأفكار ولا حتى بين فكرة وأخرى، وبمعنى آخر؛ فلا شيء يوجد من دون اللغة أو على الأقل لا شيء يظهر أو يتجلّى إلاّ بواسطة اللغة.

ومن هنا يتكشّف ذلك التعقيد الذي يطبع العلاقة بين الفكر واللغة؛ فيصبح ن غير اللائق أن يتحدّث عن أولوية أو أفضلية أحدهما على الآخر، بل يجب إشراكها في عملية واحدة تكون شبيهة بالورقة: وجهها الفكر وظهرها اللغة، وإن كان الأمر كذلك؛ فمن ذا الذي يستطيع فصلهما عن بعضهما البعض –تماما مثل الورقة التي إذا مزّقنا وجهها مزّقنا ظهرها في آن واحد– اللّهمّ إلاّ إذا كان يريد القيام بدراسة معيّنة كأن تكون سيكولوجية محض عند عزل الفكر عن الصوت أو فونولوجية محض أيضا عند عزل الصوت عن الفكر.

- ثانيا: فهي لا تخبرنا إن كان الإسم ذا طبيعة صوتية نحو (العواء، المواء،..) أو سيكولوجية نحو (الحب والأمل، الكره والبغض...)، لأنّ كلمة **arbor** مثلا يمكن أن نعتبرها من هذا أو ذاك القبيل.
- ثالثا: فهي تفترض أن العلاقة بين (الاسم) و(المسمى) عملية سهلة للغاية[45]، وهذا غير صحيح، لكن تقربنا هذه النظرية البسيطة من الحقيقة لكون الوحدة اللسانية مزدوجة، أي قائمة على التقارب بين الأمرين.

إذن الدليل اللساني مثل سائر العلامات والإشارات، لا يجمع الشيء أو المادة والإسم وإنّما (المفهوم) أو (المعنى) المجرد و(الصورة السمعية)، وليست هذه الأخيرة الصوت المادي بعينه بقدر ما هي الأثر السيكولوجي له أو التمثيل المؤدي من طرف مدركاتنا الحسّية.

مثال ذلك: إشارة المرور الآتية[46]:

[44] F , de Saussure : Ibid, pp. 155-158.

[45] André Martinet : Eléments de Linguistique Générale, Nouvelle édition remaniée et mise à jour, Paris V, 1980, pp. 10-12.

[46] André Martinet : Eléments de Linguistique Générale, p. 17.

المدلول= خطر   = الدال

العلامة

ولتقريب فكرة التجريد والتصنيف وأهمية السياق؛ فإن دي سوسير لا يختلف كثيرا عن أفكار سابقيه ومعاصريه، ولهذا نقدم في هذا المقام بقولين، الأول للمفكر الفرنسي فولتير إذ يقول: "تعجز اللغة، أية لغة عن التعبير الكامل عن آرائنا ومشاعرنا؛ فالفروق بينها كثيرة لا تكاد تلمس؛ فتضطرنا اللغة مثلا أن نعبر بلفظ الحب والبغض عن آلاف من ضروب الحب والبغض كلها مختلفة، وكذلك الحال في موضوع آلامنا وملاذنا".

أما القول الثاني فهو للفيلسوف الفرنسي هنري برغسون حيث يقول: "إنّ الألفاظ عدا الأعلام تدل كلها على أنواع، والكلمة وهي لا تسجل من الشيء المسمى إلا وظيفته الأكثر اشتراكا ووجهه المبتذل..." (فقه اللغة وخصائص العربية، ص 200-205).

ومن ثم يعتبر يامسيليف (اللغة) "نام علامات"، وأنّ العلامة قد تدل على أكثر من معنى (نحو اللاحقة **ibus** في اللاتينية للدلالة على الحالة والجمع)، إن لم تكن مركبة من عدة علامات يلعب السياق دورا هاما في تحديد معناها النهائي. فكلمة **in-dé_com-pos-able-s** الفرنسية مثلا تحتوي على ست (06) علامات ذات المعاني المختلفة، ولكن (المجموع) يطلق للدلالة على عدم التّحلّل والانحلال. (مقدمة في نظرية اللغة، ص 58-64).

وأما بخصوص العنصر السّيكولوجي للصورة السّمعية يظهر جليا عندما ننظر إلى كلامنا؛ فمن دون تحريك الشفتين ولا اللسان نستطيع أن نتكلّم مع أنفسنا أو نعيد بواسطة (الذاكرة) مجموعة معينة من الأبيات الشعرية، لأن هذه الكلمات هي بالنسبة إلينا صور سمعية لا غير، ولو كانت مادية لاستحال القيام بذلك.

وينجم عن هذا كله أنّ الدليل اللساني، ومثله مثل الورقة أو قطعة الدينار، هو وحدة سيكولوجية ذات وجهين جدّ متّحدين، أحدهما (الدال) والآخر (المدلول)، ولعلّ الأمر يتضح أكثر حينما نقوم بالبحث عن معنى كلمة معينة مثل (شجرة)؛ فإننا نرجع إلى ما يبدو موافقا بين (اللغة) و(الواقع) ونترك التصورات الأخرى.

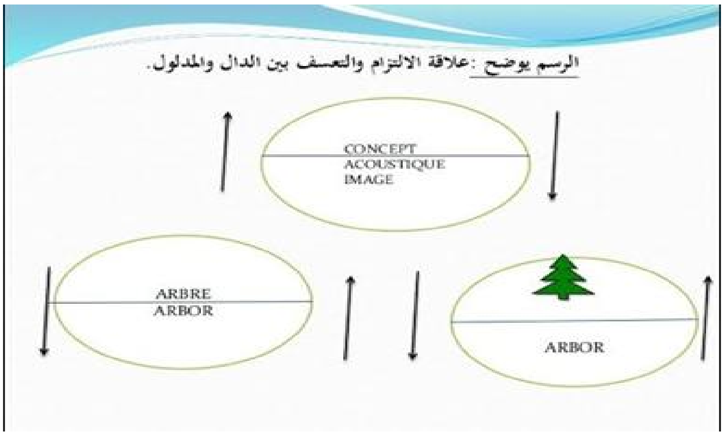

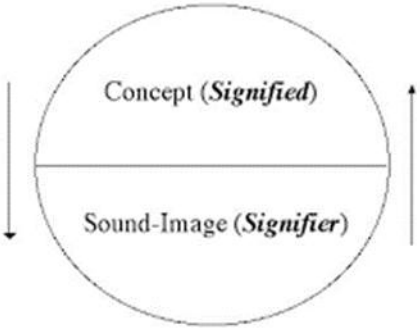

وقصارى القول؛ فإنّ (الدليل) هو التأليف بين التصور الذهني (**Concept**) والصورة السمعية (**Image acoustique**)، وحتى لا يحدث غموض ما؛ إن دي سوسير يقترح في تعريفه للعلامة اللسانية أن تبقي لفظة: دليل **Signe** للدلالة على الكل، وأن يطلق على المفهوم مصطلح مدلول **Signifie** وعلى الصورة السمعية مصطلح دال **Signifiant**؛ فهذان اللفظان الأخيران لهما الفضل في التعبير عما يفصلهما فيما بينهما من جهة، وعن المجموع المنتميان إليه من جهة أخرى.

1–ب / إعتباطية الدليل اللساني:

إنّ الرباط الذي يجمع أو يوحّد بين (الدال) و(المدلول) لهو من نوع اعتباطي، أي هو من قبيل التواطؤ والاطلاح بين الناس، وهذا ما أقرّ به معظم الفلاسفة القدامى، ولاسيما اللساني الإنجليزي (ويتنيه) الذي سبق سوسير في قوله **Arbitrary and Conventionel**[47]، لكن الشيء الجديد هو أن طبيعة (الدليل) هي بدورها اعتباطية أو تعسفية عند دي سوسير[48]، ويطلق على الدليل المجموع الناتج من اشتراك:

- اللفظ أو (الصورة السمعية)

كلاهما اعتباطي، لأنّ الأوّل يفرضه المجتمع على المتكلم
بصفة تعسفية أو بالمواضعة، والثاني راجع إلى التجربة اللغوية
وإلى الإدراك الحسي.

- المعنى أو (التصور الذهني)

[47] F , de Saussure : Ibid, p. 442, note nr 137.
[48] F , de Saussure : Ibid, p. 100.

فمثلا: كلمة "أخت" **Soeur** لا تربطها أية علاقة داخلية بمجموع الأصوات التالية:

/أخت/ = /**Sor**/، والتي تلعب دور (الدال) فقط، بحيث يمكن تمثيلها والتعبير عنها بأية كلمة أخرى (كرمز الحداد مثلا: فهو أسود في أوروبا وأبيض في الصين). والدليل على ذلك هو وجود اختلافات في هذه التسمية بين اللغات نحو: (**Soror, Hermama, Sister…etc**) واختلاف اللغات فيما بينها أيضا نحو: ثور، **Ocins, Boeuf** .

كل هذا يدل دلالة واضحة على أن الرباط القائم بين (اللفظ) و(المعنى) ما هو إلاّ اعتباطي، وكذا الأمر بالنسبة إلى (العلامة اللسانية) التي هي اعتباطية في جزئيها وفي مجموعها، ولكن ماذا يقصد سوسير بكلمة **Arbitraire** ؟

ففي نظر تعني أن (الدليل) غير معلّل (**Immotivé**)، أي أنّه اعتباطي بالنسبة إلى الدال الذي لا يمت إليه بصلة تستند إلى (الواقع)؛ ف(الاستعمال) وحده هو الذي يحدّد ذلك وليس الواقع، ولا حتى (المتكلم) الذي يمكنه تغيير العلامات الثابتة والتابعة لجماعة لغوية ما.

وباجملة؛ فإنّ الدليل اللساني هو ما تكوّن من (دال) و(مدلول) بحسب دي سوسير الذي يغض الطرف عموما عن الجزء الثالث منه، أي الجزء المتعلّق بالشيء أو بحقيقة (المفهوم) الملموسة والموجودة في عالم (الماديات)[49].

ولقد تعرض إميل بنفيست في مقالة له بعنوان "طبيعة العلامة اللسانية" **Nature du sine linguistique** في مجلة أكتا اللسانية **Acta Linguistica** بكوبنهاغن سنة **1939** ، وأعاد نشرها ضمن كتابه "مسائل اللسانيات العامة" **Problèmes de linguistiquegénérale, 1** في الجزء الأول الصادر عن دار غاليمار سنة **1966**م في الفصل الرابع منه، جاء فيها ما مفاده أن "العلاقة بين الدال والمدلول ليست اعتباطية بل هي ضرورية؛ فمفهوم ثور **Boeuf** هو إجباريا مماثل في ضميري للمجموعة الصوتية /**b–o–f**/ ، /ث–و–ر/، وكيف لا؟ فالإثنان رسخا في فكري؛ والإثنان يستعاد ذكرهما في كل الحالات بحيث يوجد تكامل عميق بينهما، حتى أن مفهوم (ثور) يمكن اعتباره كروح للصورة السمعية: /ث–و–ر/؛ فالفكر لا يحتوي لا أشكال فارغة ومفاهيم بدون تسمية. كذلك الفكر لا يجمع إلاّ الأشكال الصوتية ذات الأساس الواقعي (...) وإلاّ فإنه يهملها على اعتبار أنها مجهولة وغير معروفة. فالدال والمدلول، التمثيل الذهني والصورة السمعية ما هما إلاّ وجهان لنفس الفكرة ويعملان مثل المشتمل والمشتمل

49

عليه؛ فالدال هو الترجمة الصوتية للمفهوم والمدلول هو المقابل الذهني للدال؛ فهذا التداخل بينهما هو الذي يحقق الوحدة الهيكيلية للعلامة اللسانية[50].

وهذا هو وجه التناقض بحد ذاته، إذ كيف يتسنى له الحكم على أن العلاقة القائمة بين: **Bœuf-ochs**، والواقع هي من نوع اعتباطي من دون الاعتماد أو الرجوع إلى خاصية الحيوان وماهيته الفعلية. وحتى لو كانت اللغة علم الأشكال لا الماهيات، ولا أحد ينكر ذلك الآن؛ فإن الواقع هو الذي يبرز طبيعة الدليل اللساني الاعتباطية، لا على مستوى لدال والمدلول فقط وإنما على مستوى الشيء والفكرة (المجسدة له) والعلامة نفسها.

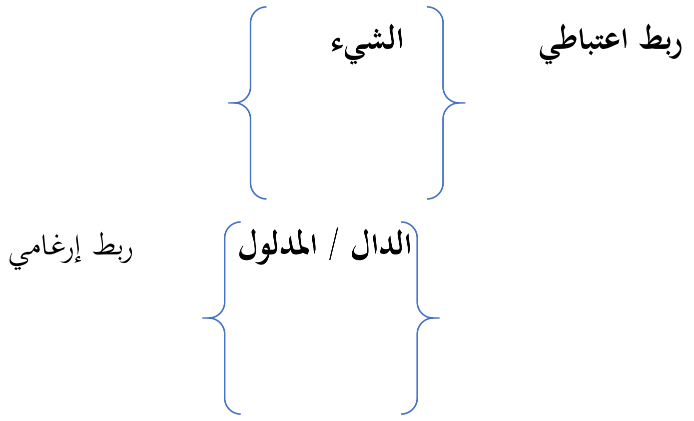

أما الاعتراضات التي قد تأتي من المتشبتين بالتعبير الصوتي **Onamatopées** وما يشبهه للحد من مبدأ اعتباطية الدليل اللساني؛ فهي ضعيفة وغير قادرة على أن تثبت أمام الردين الإثنين:

1- فالكلمات المنسوبة إلى التعبير الصوتي (التأتأة، التكتكة، البقبقة....الخ) هي قليلة جدا، ولئن تبدت لأذن السامع مع مطابقة لأصوات الطبيعة؛ فذلك أمر خادع لأن التغيير الصوتي طرأ عليها من جهة (نحو: **Fouet** من اللاتينية **Fagus**، لأن اختيارها اعتباطي أيضا، إذ ما هي في الحقيقة إلاّ محاكاة نصف تقريبية لبعض الأصوات الطبيعية من جهة أخرى.

2- والأمر نفسه ينطبق على عبارات التعجب والنداء **Exclamations** التي رأى فيها بعض الدارسين من القدامى والمحدثين تعبيرا عفويا عن الواقع أو مستوحى من الطبيعة ذاتها؛ فهذه العبارات ومثل سابقاتها، لا تفي بالحاجة اللغوية التي هي أعظم وأكثر بكثير من بضع كلم جد مختصرة.

---

[50] Benveniste : Problèmes de linguistique générale, 1, éd 1, gallimard 1966, pp. 48-55.

ثم إنّه، وفي كثير من الحالات لا يوجد أي أثر طبيعي للرباط الذي يجمع بين ألفاظها ومعانيها (نحو: ! **Aie** في الفرنسية و ! **Au** في الألمانية)، وهما من نفس الفصيلة. أضف إلى ذلك أنّ جلّها لم يكن في أول الأمر سوى كلمات منفصلة ذات دلالات معينة إلى أن لحق بها الاختزال الصوتي(نحو: **morblru** من **mort de dieu**)؛ فصارت ما هي عليه الآن.

إن هذا الصنف من الكلمات له قيمة ثانوية، والدليل هو أن عبارات النداء والتعجب تبقى دائما خارج النظام اللغوي، ممّا يجعل تمثيلها عن طريق الكتابة عسيرا جدا، كما أن أصلها الرمزي أو الإيحائي غير مقنع تماما لما أصابها من تغيير صوتي–صرفي أفقدها بعض خصائصها الطبيعية وقرّبها عموما من الدليل اللساني القائم على أساس اعتباطي وغير معلل.

1– ج / خطية الدال: إن طبيعة الدال الصوتية –أليست الأصوات الملفوظة عبارة عن ذبذبات فيزيائية؟– هي التي تمنح الكلام البشري طابعه الخطيّ**Linéarité** من الكلمة اللاتينية **Linéà** ومعناها الخط؛ فالتعابير الصوتية، وبخلاف التعابير الصورية الأخرى كالرسم والنحت وغيرهما، تحدث ضروريا في الزمان وتدركضروريا واسطة السماع كسلسلة ذات مساحة مقاسة وعلى شكل خط متصل غير قابل للإنعكاس، ممّا يمنع عنها –لارتباطها بالزمان– كل ما يشبه الآنية (أي لا يمكن التلفظ بصوتين في آن واحد) والتكرار (أي يستحيل تكرار نفس الأصوات عند النطق بها)، وكذا نفس الترتيب (نحو الكلمات: ملس، لمس، سلم؛ فهي كلها مركبة من نفس الحروفن ولكنها تختلف في معانيها لاختلاف نظام تأليفها وحدوثها في الزمن)[51].

هذا المبدأ الهام هو أحد المبادئ التي يمكن بواسطتها تصنيف القطع اللسانية، وعلى عكس المعبرات المرئية (كالإشارات البحرية وعلامات المرور)، التي تقرأ عبر المكان –والتي قد تقدم تعقيدات آنية على أكثر من مستوى–؛ فإنّ الدّوال السمعية لا تعتمد إلاّ على الخط الزمني بحيث أنّ عناصرها متتالية لتكوّن سلسلة معينة[52].

ويظهر هذا جليا عندما نستعين بالكتابة لتمثيلها وفقا لأنظمة التأليف المعروفة عالميا: اما عموديا بالنسبة إلى الصيني والياباني، وإما أفقيا بالنسبة إلى العديد من اللغات (في العربية والفارسية من اليمين إلى اليسار، وفي فصيلة الهندية–الأوروبية من اليسار إلى اليمين). وكل هذه الأنظمة المعروفة استبدلت بالتسلسل الزماني الخط المكاني لإعتمادها على الخط الكتابي في أشكاله الثلاثة: الرمزي، المسماري والأبجدي على السواء.

---

[51] F , de Saussure : Ibid, p. 103 et p. 447 , note 144.
[52] André Martinet : Eléments de Linguistique Générale, p. 17.

2/ تفريقه الواضح بين (اللسان) (**Langue**) ك(وضع) –بمعنى مجموعة منتظمة من الرموز–، تصطلح عليه الجماعة ويشترك في استعماله جميع أفرادها وبين (الكلام) (**Parole**)، ك(تأدية) فردية للسان، ومن ثم وضع مقولة "أن اللسان بما هو قدر مشترك، هو (صورة) (**Forme**) وليس ب(مادة) (**Substance**)[53].

أ–د ثنائية اللغة / الكلام:

في نظر النحاة الكلاسيكيين –بالمفهوم الأوسع لكلمة "كلاسيك"– كان الكلام الملفوظ يعتبر دائما أدنى من اللغة المكتوبة (لما فيه من تحريف) أو تابعا لها، لكن العلماء المحدثين اعترفوا بوجود "لغات" عديدة مثل لغة "الشم" و"اللمس" و"البصر" و"السمع" أو "اللغة الملفوظة" التي هي أكثر الأنواع المذكورة استعمالا وتداولا بين الناس، ومن ثمة فإنّ (الكتابة) –التي هي عبارة عن تقاليد وقواعد محافظة– ليست في الحقيقة سوى تمثيل للكلام الذي هو واحد ومتنوع: واحد أو هو نفسه عند كل الشعوب ومختلف إلى ما لا نهاية عند المتكلمين.

ولا غرابة في ذلك ما دام باستطاعة الفرد، وعلى الرغم من وجود نفس النظام الصوتي تقريبا ونفس الجهاز النطقي، أن يدخل في كلامه من الإبداع ما لا يمكن تصوّره على الإطلاق[54].

وفي هذا المجال بالذات أعطى سوسير تميزا أساسيا وقيّما بين (اللغة) **Langue** و(الكلام) **Parole**؛ فاللغة عنده هي مجموع (العلامات) **Signes** التي تستعمل للاتصال بين أعضاء جماعة لغوية ما.

أما (الكلام)؛ فهو الاستعمال الملموس للّغة من طرف أحد أعضائها بهدف التبليغ أو التفاهم مع غيره وبعبارة أخرى؛ فاللغة هي (نظام) **Système** محكم وقائم على التضامن بين مختلف أجزائه المكونة له، حيث أن قيمة الجزء الواحد منه لا تظهر أو تتم إلاّ باقترانه مع الكل، بينما (الكلام) ما هو إلاّ الفعل الملموس والشخصي لاستعمال ذلك النظام في حالات معينة[55].

ولتوضيح الفكرة يستعين دي سوسير بمثالين:

المثال الأول: يشبّه فيه (اللغة) بالقاموس الذي يسجّل علامات الجماعة لا الفرد، والثاني: بالسمفونية التي لها وجودها الخاص بها، أما (الكلام)؛ فهو استعمال ذلك القاموس أو أداء تلم السمفونية، وقد يخطئ كل

[53] F , de Saussure : Ibid, p. 36- 39.
[54] F , de Saussure : Ibid, p. 27-32.
[55] F , de Saussure : Ibid, p . 19, Note nr 38, pp. 413-414.

من (المتكلم) و(الموسيقى)، ولكن هذا لن يؤثر مطلقا في حقيقتهما ولا في (اللغة) التي هي طرف التشبيه الرئيسي.

وهكذا تبدو (اللغة) عبارة عن "كنز موضوع بفضل ممارسة الكلام من طرف متكلمين ينتمون إلى نفس الطائفة اللسانية، بل هي نظام نحوي موجود فرضيا داخل كل عقل أو بالأحرى داخل عقول مجموعة من الأشخاص.[56]

وبمعنى آخر إنّ (اللغة) ظاهرة اجتماعية خارجة عن إرادة الفرد الذي ليس له القدرة على خلقها، ولا على تغييرها مثلما هو الحال في كل ما يتعلق بالعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك؛ فإنّها –أي اللغة– نظام قيّم لابد على الفرد من ممارسته حتى يتسنى له فهم غيره وفهم الغير له ومما لاشكّ فيه أنّ هذا التعريف يبرهن على توّق اللغة على الكلام، بحيث يغدو هذا الأخير ثانويا من بالمقارنة مع الأولى، والحق أنّ الإنسان قد يتعرّض لفقدان الكلام في حالات مرضية معيّنة بقدر ما يحافظ على اللغة، ومن هنا يبرز قول معنى قول دي سوسير "في فصلنا للغة عن الكلام نفصل في آن واحد بين: أوّلا: ما هو اجتماعي وما هو فردي، وثانيا: ما هو هام وما هو ثانوي أو عرضي"، يقصد بمصطلح "عرضي" أن ظهور اللغة بواسطة الكلام (أي عن طريق يزيائي–فيزيولوجي) لم يكن إلا من قبيل المصادفة[57]*.

وعليه؛ فإنّ الدراسات اللغوية لن تتعدى الناحيتين، الأولى: موضوعها (اللغة) التي هي اجتماعية أصلا وخارجة عن نطاق الفرد (وتكون دراسة سيكولوجية)، والثانية: ثانوية وموضوعها القسم الفردي من اللغة وهو (الكلام) وما يتبعه من تصويت (وتكون دراسة سيكولوجية–فيزيائية)[58].

3/ تحديد موضوع اللسانيات هو: اللسان لا الكلام في ذاته، وإن كان اللسان لا يظهر ولا يمكن مشاهدته إلا من خلال الكلام، أي بواسطة التأدية الفردية وبواسطة الكيفية الجماعية، أما ما يخص الظواهر المتعلقة بالكلام فدراستها لاحقة وليست هي الغاية من علم اللسان –(يقصد كافة المظاهر الاجتماعية والنفسية والتاريخية والجغرافية وحتى الفيزيولوجية والصوتية، على أساس أنها آلة أو موضع حدوث الكلام وتحوله)– .

---

[56] F , de Saussure : Ibid, p. 30, Note nr 64, p. 420.

[57] F , de Saussure : Ibid, p. 37-38. Note nr 70, p. 425-426 ; et Note nr 77, p. 428. F, de Saussure : Cours de Linguistique Générale, édition critique par Rudolf Engler, Tome 1, OTTO Harrassowitz, WIESBADEN ; 1968, 1989 ; pp. 164-165.

- الفكرة اقتبسها من وتنيه Whitney، وقد كان بالإمكان استعمال وسائل أخرى مثل (الحركات والصور البصرية) عوض الصور الصوتية المتعارف عليها، انظر بهذا الخصوص:

. F, de Saussure : Cours de Linguistique Générale, édition critique par Rudolf Engler, Tome 1, pp. 168-169.

[58] F , de Saussure : Ibid, p. 37-38. Benveniste : Problèmes de linguistique générale, p. 14-17

ملخص عام:

اللغة	الكلام
- اجتماعية - هامة - مسجلة سلبا من طرف الفرد (الذاكرة) - دراسة سيكولوجية - حصيلة ما يسجل في كل دماغ - نموذج اجتماعي	- فردي - ثانوي - فعل إرادي، شخصي وذكي (الإبداع) - دراسة سيكولوجية–فيزيائية - حصيلة ما يقوله المتكلمون - غير اجتماعي

ومهما أثبت دي سوسير بتعنت شديد أن "اللغة والكلام هما شيئان مختلفان"، إلاّ أنّه ما لبث أن تراجع عن موقفه المتحيّز؛ فهو مرة يصرّح أن "اللغة ضرورية لكي يكون الكلام مفهوما وليقدم كل آثاره وفعّاليته، كما أنّ الكلام ضروري لكي يرسّخ اللغة، ومرة أخرى يقول أنّ "اللغة والكلام تحكمهما تبعية داخلية ما، تجعل الثاني وسيلة ونتيجة للأولى"[59]، وهذا هو الرأي الأقرب إلى الصواب بحكم أنّ الكلام سابق عن اللغة ومطوّرها من جهة، كما أنّ تعلّم اللغة لا يتمّ إلاّ بواسطة السّماع واستعمال الكلام من جهة ثانية.

[59] F , de Saussure : Ibid, p. 37-38.

المحاضرة الثالثة عشر: ملاحظات ختامية حول النظريات اللسانية لدي سوسير

ملاحظات ختامية:

م1: رأي يقول أن دي سوسير يقصي من مخططه النظري أي اهتمام بنشاط الفاعل (المتكلم)، وبالضرورة أي اهتمام بنتائج ذلك النشاط مهما كان الاسم الذي يطلق عليها: (كلام)، (خطاب)، أو أي تسمية أخرى، إذ [يميّز سوسيريين ما هو جوهري (اللغة) وما هو عرضي (الكلام)، وبمجرد هذا الإجراء التمييزي؛ فإنّ موضوع اللسانيات هو (اللغة) وليس (الكلام). (موشلير) **Moeschler** و(ريبول) **Reboul**، **1994**، **47-48**.].

م2: الرأي الثاني يقول أن دي وسير لم يقصي موضوع (الكلام) الذي سيعرف من بعده بمصطلح (الخطاب)، والذي يعدّ مصطلحا جوهريا عنده ولا يمكن فصله عن لسانيات اللغة، وإنّما الناشرون من قاموا بذلك.

م3: (الكلام) هو الموضوع الجزئي للفصل الرابع من (مقدّمة الدّروس)، ويوجد في القسم الثاني من عبارة عنوان ذلك الفصل: "لسانيات اللغة ولسانيات الكلام" **Linguistique de la Langue et Linguistique de la Parole**، وهذا معناه أن اللسانيات هي علم اللغة، ويقود هذا التعريف إلى نتيجتين

1- إن تركيب "لسانيات اللغة" هو تحصيل حاصل لموضوع علم اللسانيات.

2- وبعكسه تركيب "لسانيات الكلام"، هو تركيب الذي ينسب إلى اللسانيات موضوعا قيل من قبل أنه مستحيل. وهذا يضفي مشروعية على لسانيات الكلام، فهي بالضبط على القدر نفسه من الأهمية التي للسانيات اللغة، ومن ثم لا يمكن الفصل بينهما، وقد سبق وأن أشرنا أعلاه إلى ذلك إذ يقول دي سوسير: "هناك تبعية بين اللغة والكلام؛ فاللغة هي في الوقت نفسه الأداة التي يستخدمها الكلام ومنتجه **produit**، (الدروس، ص **37**)."

م4: أن مصطلح (الخطاب) فقد قال بشأنه سيمون بوكيه أنه كان محظورا في "الدروس"، لكن المصطلح موجود في نص الدروس نفسه، ويكاد يكون عدد المرات التي توارد فيها ذكر (الخطاب) يقارب عدد تواردہ في "كتابات"، بل أكثر من وجوده في كتاب "في الجوهر المزدوج للسان" **De l'essence double**[60]

---

[60] يعتبر هذا الكتاب من بين مخطوطات فرديناند دي سوسير، والتي عمل سيمون بوكيه Simon Bouquet ورودولف أنغلر Rudolf Engler ، حيث قام هذا الأخير بتحقيقه اعتمادا على المخطوط الذي أودع في مكتبة جنيف سنة 1996، وكان ضمن مخطوطات دي سوسير غير المنشورة والتي وجدت في ظرف كبير مكتوب عليه (علم اللسان) « Science du langage »، ويحمل رمز « Arch. De Saussure 372 » "أرشيف. دي سوسير 372"، وهذه المخطوطات مرقمة من 1 إلى 274، من طرف مكتبة جنيف، وهو الترتيب الذي اختاره رودولف أنغلر. وضمن هذه المخطوطات يوجد عدد كبير من الأوراق موضوعة في عدد من الأظرفة تحمل عنوان « De l'essence double du langage »، أو « De l'essence etc »، بخط يد دي سوسير، وهي التي جمعت ونسقت من طرف أنغلر في ما مجموعه تسع وعشرون (29) فصلا قصيرا، وهي التي نشرت تحت عنوان: « De l'essence double du langage » dans les « Ecrits de linguistique générale »، مع بقية المخطوطات التي رتبت تحت اسم: « Item et Aphorismes », « Autres écrits de linguistique générale », « Notes préparatoires pour le cours de linguistique générale ». وهذه الطبعة تحتوي إلى جانب "علم اللسان" مدونات أخرى لدي سوسير قام أيضا بنشرها رودولف أنغلر.

انظر بخصوص هذا الموضوع:

- Ferdinand de Saussure : De L'essence Double Du Langage, Transcription diplomatique établie par Rudolf Engler, d'après le manuscrit déposé à la bibliothèque de Genève, 1996.
- Ferdinand de Saussure : De L'essence Double Du Langage, Edition établie par Simon Bouquet et Rudolf Engler, Paris, Gallimard, 2002.
- Ferdinand de Saussure, Wissenschaft der Sprache : Nue Texte aus dem NachlaB, éd. Ludwig Jager, Elisabeth Birk und Mareike Buss, Frankfurt am Main, Suhrkamp Verlag, coll. « Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft » 2003, p.19.
- Kazuhiro Matsuzawa : Saussure et la Science des Textes, Proceedings of Nith International Conference Studies for The Integrated Text Science, Nagoya : Nagoya University, 2007, pp. 60-81.
- Alessandro Chidichimo et Daniele Gambarara : Appendice Ferdinand de Saussure, Trois Chapitres De « L'essence Double Du Langage », in Cahiers Ferdinand de Saussure, N0 : 61 (2008), pp. 113-129. Published By : librairie Droz.
- Ferdinand De Saussure : Science Du Langage, De la Double Essence du Langage et Autres documents du ms. BGE Arch. De Saussure 372 ? Edition Critique partielle mais raisonnée et augmentée des Ecrits de Linguistique Générale, établie par RENE AMACKER, Genève, Librairie DROZ S.A, 2011. 354 pages.
- François Rastier : Lire Les Textes De Saussure ; in « Langages », N° 185, 2012, pp. 7-20.
- Kazuhiro Matsuzawa : Puissance de l'ecriture fragmentaire et « cercle vicieux », Les manuscrits de De l'essence du langage de Ferdinand de Saussure, in Génesis, éd (PUPS) et (SIGALES), 2012, pp. 41-58.
- L'apport des manuscrits de Ferdinand de Saussure, Numéro spécial in « Langages 185 », Mars 2012.
- Gerda Hassler :L'essence double et triple du Langage : réception et transformation des idées saussuriennes dans la pansée de Coseriu, in 19th ICL papers, July 21-27 2013, Geneva-Switzerland, 11 p.

du langage، الذي يغيب فيه غيابا شبه كليّ. المرّتان اللتان تمت فيهما الإشارة إلى مصطلح (خطاب) في الدروس هما في قسم الإحالات التي ترد على الدوام في التحليل، إحداهما (ص **170**) والثانية (ص**205**) والثالثة في (ص**171**)، عندما يقابل دي سوسير بين العلاقات التركيبية والعلاقات الترابطية فيقول: "إنّ العلاقات الترابطية تتموضع "خارج الخطاب"، وفي مرات يستعمل مصطلح الخطاب للدلالة على "منتج فعل الكلام نفسه"[61].

م5: المصطلح (ملكة اللسان)، هو أقل المصطلحات الثلاثة مكانة مميزة في (الدروس)، ومع ذلك فإنّ له مدخلا في الكشاف، فيه إحالتان، إحداهما تقع في (ص 25) خاصة بالمظهر الأول جاء فيها: إن "اللغة هي منتج اجتماعي لملكة اللسان". والمظهر الآخر هو ما جاء في تدوين قسطنطين على لسان دي سوسير: "اللغة ستكون بالنسبة إلينا المنتج الاجتماعي الذي يسمح وجوده للشخص بممارسة ملكة اللسان" (كوماتسو، **276**)[62].

أما الإحالة الثانية، توجد في كشاف (الدروس) لمصطلح ملكة اللسان؛ فإنّها تحيل في (ص 26) وما بعدها إلى الصفة الطبيعية في "اللسان الذي نتكلمه"، مع العلم أن تلك الصفة الطبيعية قد أنكرها دي سوسير مقتفيا أثر ويتني[63].

م6: وضعية المصطلحات الثلاثة في الكتابات وفي المصادر المخطوطة:

1/ يستخدم مصطلح (كلام) **Parole** ثلاثة استخدامات مختلفة:

1.1. يستخدم غالبا بمعنى "التصويت"، والمواضع التي ورد فيها بهذا المعنى في: (كتابات، 32، 81، 245، 256)، وفي الدرس الثالث: (كوماتسو، **268**، **284**). وهذه فقرة من الفقرات التي ورد فيها المصطلح بهذا المعنى: "كلما أصبح علم الأصوات **Phonétique** أكثر دقة وأكثر تحديدا بين تغييرات الصوت في المدرسة الإنكليزية والمدرسة النرويجية مع بيل **Des Bell** وإيللي **Des Ellis** وسويت ستورم **Des Sweet et Des Storm**؛ فإنّه ينسى تماما أن يولي انتباهه لشروط تجاور

- فرديناند دي سوسير: في جوهري اللغة، تحقيق سيمون بوكي ورودولف أنغلر، تقديم وترجمة مختار زواوي، دار ابن النديم، الطبعة الأولى، 2019، 247 صفحة.

[61] ميشال أرّيفيه: البحث عن فرديناند دي سوسير، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد خير محمود البقاعي، مراجعة نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 2009، صص 158-159.

[62] ميشال أرّيفيه: البحث عن فرديناند دي سوسير، ص 159.

[63] ميشال أرّيفيه: البحث عن فرديناند دي سوسير، ص 159.

الفونيمات في الكلام، أي للشروط الطبيعية للمقطع، وهي شروط لا يمكن تجاوزها. (كتابات، **245**)"[64].

2.1. يستخدم مصطلح (كلام) أيضا بمعنى (الفعل الواعي) و(المدرك) لتسلسل الوحدات في تسلسلية متحققة واقعيا، وهذا ما سيشير إليه بنفيست مستقبلا (**1974**، **288–289**) بمصطلح (التركيبة)، كما ورد بوضوح في فقرة لدي سوسير التي يقابل فيها بين (تركيب/تواز) عند الحديث عن المقابلة بين العلاقات التركيبية والعلاقات الترابطية: "تسمي تركيبا الكلام الفعلي –أو توليفة العناصر المتضمنة في شريحة من الكلام الواقعي–، أو (النظام) الذي تجد فيه (العناصر) نفسها يرتبط بعضها ببعض[65] بما يتبعها ويسبقها" (كتابات، **61**).

ومجددا تطرح مسألة "الصفة الخطية للدال / للغة"، حيث أن الكلام هو الذي يضفي على اللغة تلك الصفة الخطية، وينسب دي سوسير هذا المعنى الثاني إلى مصطلح كلام في عدة مواضع في "كتابات" –(ص **117**، حيث ينعت بالتركيب التسمياتي للغة الخطابية) أو في الدرس الثالث (كوماتسو، ص **279**)[66].

3.1. يجمع مصطلح (كلام) في بعض المواضع القيمتين المذكورتين سلفا، وهذا ما ذكره في محاضرة جنيف الثانية **1891**م، وذلك في معرض التمييز بين التغيير الصوتي والتغيير القياسي، حيث يقول دي سوسير: "يمكننا أن نقابل تحت لواء كثير من وجهات النظر المختلفة هذين العاملين الفاعلين في التجديد اللغوي بأن نقول على سبيل المثال: إنّ الأول يمثّل الجانب الفيزيولوجي والفيزيائي للكلام، في حين أن الثاني يميل إلى الجانب السيكولوجي والعقلي للفعل نفسه–أن يكون الأول لا واعيا والثاني واعيا" (كتابات، **159**)[67].

إنّها فقرة غنية جدا، إذ يبرز من بين ثناياها مفهوم "فعل اللسان" **Acte de langage**، ومفهوم الفصل الحاصل بين الفعل "اللاواعي" والفعل "الواعي"، وعليه فالقيمة التأليفية لمفهوم الكلام تسمح لسوسير بأن يطرح مفهوم فعل الكلام ومفهوم ممارسة الكلام. (كتابات، ص **146**)[68].

---

[64] ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 160.
[65] ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 160.
[66] ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 161.
[67] ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 161.
[68] ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 161.

4.1. وعليه فالكلام يعدّ "قوة فاعلة، ومصدر حقيقي للظواهر التي نلاحظها بعد ذلك شيئا فشيئا في النصف الآخر من اللسان" (كتابات، ص 273).

5.1. إنّ تعدّد معاني المصطلح هو من أهم أسباب تهميش الناشرين له في عام 1916، لعلّهم فهموا المصطلح بمعنى "التصويت" وهم معذورين في ذلك، لأنّه يحمل في الغالب هذا المعنى في نصوص دي سوسير، مما دفعهم إلى استبعاده من الحقل اللساني، ولقد سبقهم –أي دي سوسير– نفسه إلى ذلك عندما استبعد "الفونولوجيا" بمعنى وصف عملية التصويت من مجال اللسانيات[69].

6.1. (الخطاب) هو أيضا في "كتابات" وفي المصادر المخطوطة عرضة لتعدّد المعاني، لكنّه تعدّد أقلّ ورودا من تعدّد معاني الكلام؛ فالخطاب لا يستخدم في واقع الأمر إلاّ بمعنيين، متقاربان كنائيا، لكنهما ضرب من المجاز وإن كان دي سوسير ينكر ملاءمة مفهوم المجاز: "ليس هناك من فرق بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للكلمات (الكلمات ليس لها معنى مجازي أكثر من المعنى الحقيقي)، لأن معناها هو سلبي للغاية" (كتابات، ص 72)"[70]. فهو من جهة يستخدم المصطلح للإشارة إلى نتاج نشاط الفاعل، المتكلم كما هو الحال في "الدروس". ومن جهة أخرى يكتسب المصطلح في عدة مواضع معنى الكلام للإشارة إلى النشاط نفسه، وهذا ما يلاحظ ملاحظة نموذجية في القطعة الموجودة في الصفحة 277 من "كتابات"، حيث يستخدم مصطلح (الخطاب)، بمعنى "سيرورة إنتاجية" بدل معنى "المنتج": "ثم تخترع اللغة إلاّ في سبيل الخطاب، لكن ما الذي يفرّق الخطاب عن اللغة، أو ما الذي يسمح في بعض الحالات بالقول: إنّ اللغة تدخل حيّز الفعل بوصفها خطابا. (كتابات، ص 277)"[71].

7.1. إنّ المفهومين المتناقضين ظاهريا، بل اللذين يردان للتسمية فقط Oxymoriques "اللسان الاستدلالي" (كتابات، ص 95)، و"اللغة الاستدلالية" (كتاباتن ص 117)، يستندان إلى المفهوم الحيوي للخطاب الذي يعرضه النص، حيث يستخلص من هذين المفهومين انبثاق مشروع لسانيات جديدة تسمح بتدخل الخطاب ضمن اللغة[72].

---

69 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 161.

70 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 162.

71 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 162.

72 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 162.

8.1. بقي تتبع المصطلح الثالث الأكثر غموضا "ملكة اللسان" من خلال تفحص "كتابات".

(أ). إنّ (اللغة) في دروس دي سوسير لا تقابل (الكلام) في الصياغة الأصلية، لكن بملكة (اللسان)، وعليه دوّن قسطنطين والمستمعون الآخرون آراء دي سوسير:

"عندما فرّقنا اللغة عن ملكة اللسان فإننا فرّقنا: 1/ ما هو اجتماعي عما هو فردي. 2/ ما هو جوهري عما هو عرضي بعض الشيء. (إنكلر، 1968–1989، 41؛ كوماتسو، 189[73]، وقد دوّن المستمعون جميعا مصطلح ملكة اللسانية عدا فرانسيس جوزيف الذي كان أقلّ انتباها فتناهى إلى سمعه مصطلح اللسان، لكن هذا الغلط العائد إلى عدم الانتباه يكفي للدلالة على أن مصطلح كلام لم ينطق به سوسير).

وفي المحاضرة الثانية نفسها من الدرس الثالث، أعطى سوسير تلامذته "التقسيم العام للدرس: 1/ اللغات، 2/ اللغة، 3/ ملكة اللسان وممارستها عند الفرد" (كوماتسو، ص 187)[74].

إن "الملكة اللسانية" و"الممارسة" هما هنا مقترنتان، وهذا ينطبق على المحتمل (الملكة) والحالي (الممارسة)، أما مفهوم "طريقة اشتغال اللسان **Jeu du langage**" (كوماتسو، 193)؛ فإنّه يشتمل في نهاية المحاضرة نفسها على هذين المظهرين الإضافيين للسان في حالة الفعل[75]. إلاّ أنّ مصطلح ملكة اللسان من حيث الاستخدام ليس مطّردا في نصوص دي سوسير سواء كما تم توضيحه في النص أعلاه أو كما يبدو جليا في الفقرة التالية:

"عندما نطرح من اللسان كل ما هو ليس بكلام، يمكن أن يحمل الباقي بوضوح اسم اللغة، ويجد نفسه لا يحتوي إلاّ على مصطلحات نفسانية، الانعقاد النفساني بين الفكرة والعلامة، وهذا لن يصدق على الكلام" (أنغلر، 1968–1989، ص 172؛ الدروس، ص 112)[76].

وإنّ لمصطلح (علامة) في هذه الفقرة المعنى الذي سيعطى لمصطلح مفهوم ثم لمصطلح المدلول، وتأخذ العلامة معنى (الصورة الأكوستيكية) ثم (الدال)[77].

---

73 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 162.
74 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 162.
75 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 163
76 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 163.
77 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 164.

يمكن القول من خلال ما تقدم، أنّ مصطلح (الكلام) حلّ هنا محلّ مصطلح (الملكة اللسانية) من دون أي فرق، كأنّ دي سوسير تردّد بين جهازين مصطلحيين تمثّلهما الترسيمتان التاليتان[78]:

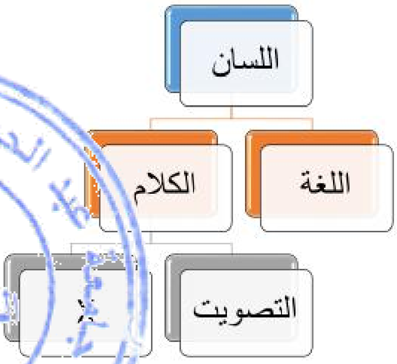

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب العربي و الفنون

[78] ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 164

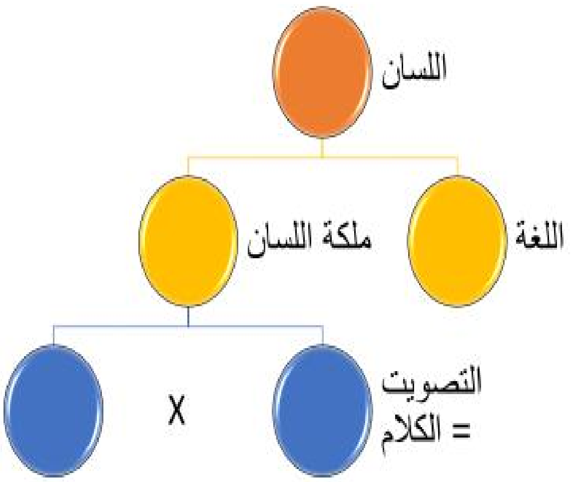

الملاحظ في هاتين الترسيمتين أن هناك مصطلحا آخر يرمز إليه ب X، وليست له تسمية خاصة، إنّه بالبداهة "الجانب العلم–نفسي والعقلي للفعل نفسه"–فعل الكلام، واقترح ميشال أرّيفيه (1998، 1999) في موضع آخر أنّ هذا المصطلح غير المسمىّ (X) ليس شيئا آخر سوى ما سيعرف بعد نصف قرن بمصطلح (التلفّظ) Enonciation، بل ويتشدّد ميشال في التّمسّك به[79].

(ب)– إنّ هذا المصطلح غير المسمّى يمثل نقطة الضعف في المصطلحية والمفهومية لدى دي سوسير في درسه اللساني، وعليه هل يعني ذلك أن (ملكة اللسان) ليست إلاّ اسما آخر للكلام؟

ملكة اللسان هي أوسع نطاقا من الكلام، إنّها تضم (أفعال الكلام) بالتأكيد، والتي تعتبر المسبّبة للغة بوصفها مؤسسة اجتماعية، وفي سبيل تجلية المعنى قدّم دي سوسير استعارة جغرافية والمتمثّلة في الينبوع وروافده: "ملاحظة زائدة، أن نتأمّل في اللغة ونتساءل في أي لحظة محدّدة "بدأ" الشيء الفلاني، هو أمر فيه من الفطنة كما في النظر إلى ينبوع الجبل والاعتقاد بأننا إذا مضينا صعدا فإننا سنجد المكان المحدّد الذي ينبع

---

[79] ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص 165.

منه، وتثبت أشياء لا حصر لها أنّ النّبع موجود في أثناء قولنا، إنّه يولد، وإنّه عكسيا لا يفعل أي شيء آخر إلاّ أنّه يولد في أثناء [لم يكمل سوسير العبارة، م.أ.] [80].

يفهم من هذه الفقرة، أنّ (ملكة اللسان) هي نفسها منبع اللغة ومصبّها ومهبطها؛ فهي عالية لها (للغة) بغية تكوينها بوصفها مؤسسة اجتماعية، وهي سافلة لها لتسبّب أفعال اللسان التي نجزها، أي إنتاج الخطاب. ويمكن أن يستمر الجدال حول هذه الولادة، لكن الميزة الظاهرة للعيان أنها هي نفسها ولادة النمو. (كتابات، ص94).

بالتمييز بين النسق اللغوي وتجلياته أو مظاهره الفعلية يكون قد تم الفصل في العلاقة التقابلية بين (اللغة) **Langue** و(الكلام) **Parole**، واللغة هي النسق الخاص بإحدى الأشكال، أي بوصفها نسقا من الأشكال، في حين (الكلام) هو الكلام الفعلي، أي أفعال الكلام التي سمحت اللغة الطبيعية بها. فاللغة هي كل ما يتمثله الفرد حين يتعلم لغة ما، أي قائمة الأشكال أو "الذخيرة التي استقرت بفعل ممارسة الكلام بين المتحدثين المنتمين للمجتمع ذاته. إنّها (النسق النحوي) الذي وجد في عقل كل متحدث تلبية لكل المقاصد والأغراض"[81]، أو أنها "النتاج الاجتماعي الذي يسمح وجوده للفرد بممارسة قدراته اللغوية"[82]. أما الكلام فهو الجانب التنفيذي من اللغة الذي يحتوي على التركيبات التي يستخدم المتحدث عن طريقها شفرة النسق اللغوي كي يعبر عن أفكاره الذاتية من ناحية، والآليات النفسية الفيزيائية التي تسمح له بتجسيد هذه التركيبات من ناحية أخرى[83]. لأنه لم تم التسليم بتراكيب العناصر اللغوية بوصفها جزءا من الكلام، حينها ستكون القواعد التركيبية **Syntactic** في وضع غامض؛ فعد اللغة نسقا من الأشكال والكلام تركيبا لتلك الأشكال وتجسيدا لها لا يماثل عد اللغة استعدادا لغويا طبيعيا، وعد الكلام الممارسة الفعلية لهذا الاستعداد، لأن الاستعداد الطبيعي هو المعرفة الخاصة بكيفية تركيب العناصر وقواعد هذا التركيب[84].

والتمييز بين اللغة والكلام يفضي إلى اكتشاف علمين أساسيين يهتمان بدراسة (الصوت) و(وظائفه اللغوية): علم الصوتيات **Phonetics**، وهو علم يدرس الصوت وأفعال الكلام من زاوية فيزيائية، وعلم الفونولوجيا **Phonology**، وهو علم يدرس الأحداث الصوتية ذاتها بقدر اهتمامه بالتمييزات أو الفوارق الخاصة بالوحدات المجردة للمدلول بوصفها تمييزات وظيفية داخل النسق اللغوي. والمهم في هذا المقام

---

80 ميشال أرّيفيه: المرجع السابق، ص [illegible]65.

81 F , de Saussure : Ibid, pp. -13, et p. 30.

82 F, de Saussure : Cours de Linguistique Générale, edition critique par Rudolf Engler, Tome 1, p. 31.

83 F , de Saussure : Ibid, p. 14 ; p. 31.

84 جوناثان كللر: فرديناند دو سوسير، تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، ترجمة وتقديم: محمود حمدي عبد الغني ومراجعة: محمود فهمي حجازي، المجلس الأعلى للثقافة-مصر، 2000، ص 43.

أنه على الرغم من إقرار دي سوسير بأن الأدوات الفيزيائية لا تعد بذاتها جزءا من اللغة، وهو بذلك يمهد الطريق للتفريق بين علم الصوتيات وعلم الفونولوجيا، إلاّ أنّه يستخدم مصطلحي الفونيتيك والفونولوجيا بمعنى يختلف عمن جاء من بعده[85]. ولهذا الفارق بين ما هو خاص بأفعال لغوية محددة بالذات، وما خاص بالنسق اللغوي ذاته أهميته على المستويات غير الصوتية، ولذلك يمكن التمييز بين الملفوظ **Utterance** بوصفه يمثل إحى وحدات الكلام **Parole**، والجملة **Sentence** بوصفها تمثل إحدى وحدات اللغة **La Langue**.

لقد كان للتمييز بين اللغة **Langue** والكلام **Parole** نتائج مهمة للعلوم غير اللغوية، لأنّه يعدّ تمييزا بين (النظام) و(الحدث)؛ فإذا كانت دراسة (النسق) تقود إلى بناء نماذج التمثيل للأشكال وعلاقاتها فيما بينها وإمكاناتها بخصوص التركيب؛ فإنّ دراسة السلوك أو الأحداث يمكن أن تؤدي إلى بناء نماذج إحصائية التي تمثل احتمالات تركيبات بعينها في الظروف المختلفة[86].

وقد ترك دي سوسير بمفاهيمه هذه حول (اللغة) و(الكلام) أثرا واضحا في من جاء بعده من الباحثين، حيث كتب أحد علماء اللغة البريطانيين وهو السير آلان جاردنر **Sir A. Gardiner**: "يعود الفضل إلى فرديناند دو سوسير في لفت الانتباه إلى التمييز الحاسم بين "لغة" **Langue** و"كلام" **Parole**؛ فقد استطاع هذا التمييز دون شك تحقيق أقصى النتائج، وكان من الصعب جدا –في رأيي– أن يصيبه الإخفاق، وسوف يصبح هذا التمييز عاجلا أو آجلا بمثابة الأساس الذي لا يمكن الاستغناء عنه في أية معالجة علمية للقواعد، وذلك لأن معظم الخلافات اللغوية بين العلماء يمكن تصنيفها في ضوء الجدل الدائر حول التفاصيل الدقيقة لهذا التمييز: ما يتعلق بال"لغة **langue**" وما يتعلق بال"كلام **parole**""[87].

لقد أثبت عالم اللغة الدانماركي لويس هيلمسليف **L. Hjelmslev** إمكانية استبدال مصطلحي "لغة / كلام" أو **langue** / **parole** بمصطلحات: خطة **shema**، معيار **norm**، استعمال **usage** وكلام **parole**، حيث يشير مصطلح "كلام" عنده إلى الفعل الكلامي الفردي الذي لا يشكل بذاته أي جزء من النسق، أما مصطلح "استعمال" فيشير إلى الانتظامات الإحصائية للعناصر اللغوية، حيث يستطيع المرء جدولة تواترات مختلف طرق التلفظ الخاصة بالعناصر اللغوية أو جدولة استخداماتها الأخرى، أما مصطلح "معيار" فهو لا يمثل موضوعا للاختيار الفردي ولا يمكن وصف ال"المعيار" إحصائيا، لأنه يتمثل في سلسلة الأحكام التي تتحقق بها العناصر اللغوية؛ فعلى سبيل المثال: أن الفونيم /**p**/ تحقق في اللغة الإنجليزية

---

[85] جوناثان كللر: فرديناند دو سوسير، تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، ص ص 43-44.
[86] جوناثان كللر: فرديناند دو سوسير، تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، صص 46-47.
[87] جوناثان كللر: المرجع السابق، ص 96.

بوصفه فونيما شفويا صامتا، أما مصطلح "خطة" فهو يمثل أكثر تصورات البناء اللغوي تجريدا، ولا يتضمن أية إشارة إلى العناصر الصوتية، حيث لا يتم التعرف على تلك العناصر إلا في ضوء الحدود العلائقية المجردة؛ فيتم تحديد الفونيم /p/ بالمقارنة مع الفونيم /b/، ويتم تحديد الفونيم /t/ بالمقارنة مع الفونيم /d/...وهكذا، وذلك لأن مصطلح "خطة" لا يرتبط مباشرة بنوعية المظاهر الصوتية الفعلية التي استخدمت في تحقيق مثل هذه الاختلافات[88].

وبحسب التمييز الرباعي الذي قدمه هيلمسليف، يمكن تحديد الحد الفاصل بين مصطلحي لغة / كلام وفقا لأي طرف من الأطراف الثلاثة: فقد تتكون اللغة من "خطة" فقط، وقد تتكون من "خطة" و"معيار"، وقد تتكون من "خطة" و"معيار" و"استعمال"؛ فعلى سبيل المثال: لقد عالج علماء مدرسة براغ "اللغة **langue**" على أنها مركب متكون من "خطة" و"معيار"، إذ أثبتوا في ضوء تمييزهم بين علم الصوتيات **Phonetics** وعلم الفونولوجيا **Phonology**، أن علم الفونولوجيا علم يختص ببحث الاختلافات الصوتية المرتبطة باختلاف المعنى. مع أنهم وصفوا السمات الفارقة أو المظاهر التمييزية **distincitive features** بمصطلحات طريقة "التلفظ" –أي بمصطلحات علم الصوتيات–. وعليه لم تكن التقابلات التي قدمها رومان جاكبسون للمظاهر التمييزية كالتقابل بين (المجهور / المهموس) مجرد مظاهر تجريدية للاختلافات الصوتية المرتبطة باختلاف المعنى فحسب، وإنما كانت في الوقت نفسه تمثل معايير التحقق الفيزيائي أو الصوتي لها.[89]

أما دانيال جونز **D. Jones** وأتباعه من البريطانيين فقد فضلوا تعريف "الفونيم" بوصفه عائلة من الأصوات، ولذلك أدرجوا مصطلح "استعمال" في (اللغة) **la langue**: لقد كان وصف (النسق الصوتي) لإحدى اللغات عندهم بمثابة وصف ل"لاستعمال اللغوي" ول"لمعايير الوظيفية" ول"لخطط" المجردة في آن واحد. أما هيلمسليف وأنصار الجلوسماتيكس **Glossematics** فقد عالجوا اللغة **la langue** بوصفها خطة مجردة؛ فلم تكن الخواص الصوتية لتدخل على الإطلاق في الطريقة التي يتم وصف الفونيمات بها. وبهذا يتضح أثر التمييز الذي قدّمه دي سوسير بين (لغة / كلام)[90].

ما يمكن أن نجعله ملخصا عاما لما تم ذكره آنفا هو:

---

88 جوناثان كللر: المرجع السابق، صص 96-97.
89 جوناثان كللر: المرجع السابق، صص 97-98.
90 جوناثان كللر: المرجع السابق، ص 98.

1- اللغة (Langage): الملكة الإنسانية المتمثلة في تلك القدرات التي يمتلكها الإنسان والتي تجعله يتميز عمّا سواه من الكائنات الأخرى.

2- اللسان (Langue): لنسق التواصلي الذي يمتلكه كل فرد متكلم-مستمع مثالي ينتمي إلى مجتمع لغوي له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة.

3- الكلام (Parole): هو الإنجاز الفعلي للغة في الواقع.

4- وضع دي سوسير إطارا موحدا في بنيته، ومتجانسا بين عناصره، ولا تتحقق هذه الصفة إلاّ في (اللسان)، وهو في نظر دي سوسير:

1- رصيد وضعته ممارسة الكلام في ذاكرة الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع متجانس.

2- نظام قواعدي يوجد بصفة مضمرة في أذهان الأشخاص المتكلمين الذين ينتمون إلى المجتمع اللغوي، إذ إنّ اللسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية لا يوجد عند كل فرد على حدة، بل يوجد بصفة كاملة عند الجماعة.

3- قانون مشترك بين أفراد المجتمع اللغوي الذي يسمح لهم بالاتصال، وهو يتميز عن اللغة من حيث كونه ظاهرة اجتماعية تمارس فاعليتها بالقوة بمعزل عن إرادة الأفراد المتكلمين.

4- نتاج اجتماعي لملكة اللغة؛ فهو مجموعة من الأعراف الضرورية التي يستخدمها المجتمع لمزاولة هذه الملكة عند الأفراد[91].

5- وإذا كان اللسان خارجا عن إرادة الفرد وليس بإمكانه أن يغيره، أو يجري عليه تعديلا في أي مستوى من مستوياته؛ فهو يسعى دائما إلى ترجمة قوانينه في إنجازه الفعلي للكلام، لأنّ الأداء الفعلي هو الوسيلة العملية التي تعكس نمط هذا اللسان وتحققه في الواقع اللغوي. ويرى دي سوسير في هذا السبيل، أن اللسان ليس من وظيفة المتكلّم إنّه النتيجة التي يسجلها الفرد بكيفية سلبية، عكس الكلام الذي هو عمل فردي نابع عن إرادة وذكاء. ويمكن التمييز بين أمرين:

الأول: التراكيب اللسانية التي يستخدم فيها الفرد المتكلم قوانين اللسان للتعبير عن فكره الشخصي.

الثاني: الآلية النفسية والفيزيولوجية التي تسمح له بتحيين هذه التراكيب وتمثيلها في الواقع.

---

91 أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية العربية، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثانية 1434 هـ / 2013م، ص 33.

ومن ثمة فالتمييز بين (اللسان) من حيث هو ظاهرة اجتماعية بمعزل عن إرادة الفرد المتكلم، والكلام من حيث هو عمل فردي يمارس فيه المتكلم قدرته التعبيرية للاتصال بالآخرين، يطرح تمييزا بين الحدث الاجتماعي والحدث الفردي.

ويرى دي سوسير في هذا المقام، أنّ الفصل بين (اللسان) و(الكلام) هو في الوقت نفسه فصل بين:

1- ما هو اجتماعي عما هو فردي.
2- ما هو جوهري عما هو تابع أو عرضي.

ويحاول تمام حسّان تلخيص هذه المقابلة بين اللسان والكلام وتبسيطها بقوله:

الكلام عمل، واللسان حدود هذا العمل.

الكلام سلوك، واللسان معيار هذا السلوك.

الكلام نشاط، واللسان قواعد هذا النشاط.

لكلام يدرك بالسمع نطقا وبالبصر كتابة، واللسان يدرك بالتأمل في الكلام.

الكلام هو المنطوق والمكتوب، واللسان هو المخزون في المتون اللغوية.

الكلام عمل فردي، واللسان عمل اجتماعي[92].

[92] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، صص 33-34.

وعليه فإنّ اللسان والكلام متصلان فيما بينهما صلة متينة، إذ كل منهما يقتضي وجود الآخر، لأنّ اللسان ما هو إلاّ راسب من عمليات عديدة للكلام عبر الزمن، أمّا الكلام فإنّه تطبيق، أو استعمال للوسائل والأدوات الصوتية والتركيبية والمعجمية التي يوفرها اللسان.

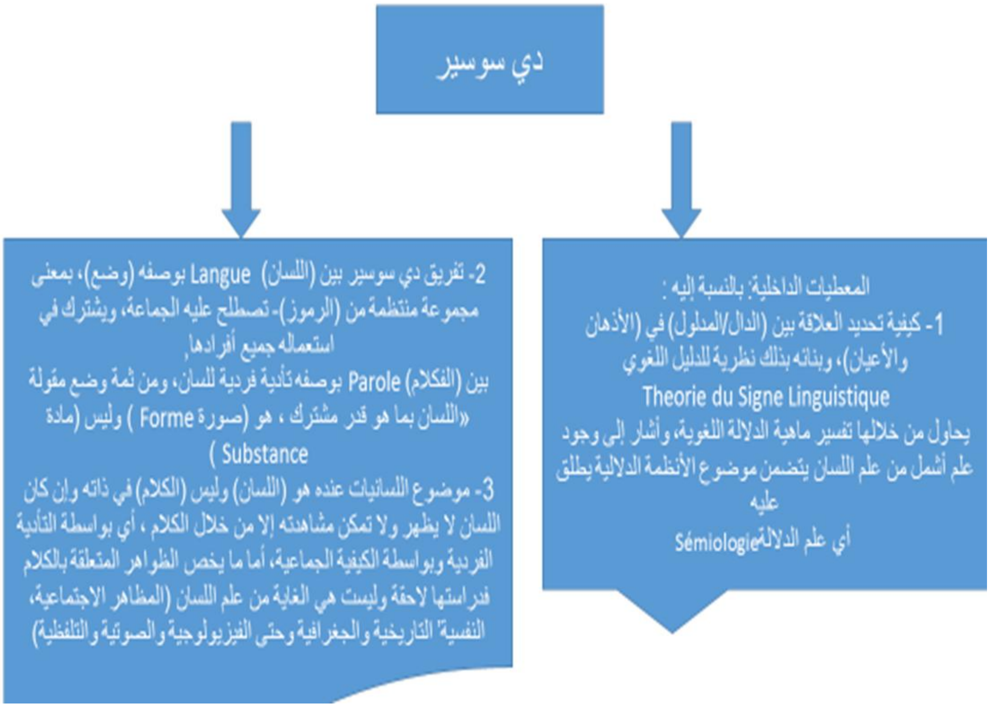

4/ توضيح معنى (الارتباط) في قول العلماء أن "اللسان نظام **système** ترتبط فيه جميع أجزائه بعضها ببعض". على أساس اتحاد الهويات واختلافها، بمعنى أن العناصر اللغوية في ذاتها أمثلة تبقى كما هي لا تتغير في أذهان المتخاطبين وإن اختلفت طرق تأدياتهم، وأن كل عنصر يكتسب هويته (صفته) عند المتخاطبين

بمخالفته ومقابلته (**opposition**) لغيره، وهو بهذا يضع (مبدأ التقابل). وهذا يعني أن التباين والتقابل هو جوهر النظام في ذاته، فاللسان باعتباره (صورة) من جهة، هو مجموع المباينات الواقعة بين عناصره وعلى هذا فكل عنصر فيه هو كيان تبايني أو تفاضلي (**oppositif, différentiel**)، ونسبي (**relatif**)، وسالب (**négatif**). هذا من جهة ومن جهة ثانية يرى دي سوسير أن الوحدات اللغوية لا يتحقق كيانها (قيمة)(**valeur**)، إلا إذا أمكن لألفاظها أن (تبادل) أي أن تسري بين الناس بما تعارفوا عليه لها من معان أو من دور في التمييز بين المعاني، ولا يحصل هذا على وجه التحقيق إلا إذا اكتسبت كل لفظة مجموعة من الصفات تقابل بها كل واحدة من الألفاظ المغايرة.

5/ تحديد مستويين من الدراسة: (الزمانية) (diachronique) و(الآنية) (synchronique)[93]،

[93] إنّ كتاب "جوهري اللغة" (1891)، يعدّ مدخلا تأسيسيا لفهم كتاب "دروس في اللسانيات العامة"، حيث يمكّن من التحقق من المسائل الأصيلة التي هي فعلا من ما يمكن نسبته إلى دي سوسير، مما هو منسوب إليه بغير وجه حق، ومن بينها ثنائية الدراسة الآنية والدراسة التاريخية للسان، والتي عدّها طلبة دي سوسير وعلى رأسهم شارل بالي وألبير سيشهاي قطيعة ابيستيمولوجية أحدثها أستاذهم سوسير، في دروسه التي ألقاها بجامعة جنيف خلال السنوات الجامعية (1907-1908)، و(1908-109)، و(1910-911). والملاحظ في هذا الشأن بخصوص مصطلح « diachronie » و« synchronie» ، مصطلحان متأخران بالنسبة لكتاب "جوهري اللغة"، إذ لا يحتوي هذا الأخير أي ذكر لهما، وهذا ما يفسّر فحوى المساجلات العلمية التي نشأت حولها منذ انعقاد المؤتمر العالمي الأوّل للغويين سنة 1928، وامتد إلى عقود من الزمن. وكان الظن الغالب أنّ مصطلح السنكرونية من وضع دي سوسير، غير أنه بعد الوقوف على ما ذكره تيليو دو مورو في الطبعة النقدية التي أعدّها عن كتاب دروس في اللسانيات العامة، وفي معرض إشارته على ثنائية اللسانيات السنكرونية واللسانيات الدياكرونية بقوله: "إن الثنائية هذه شهدت رواجا كبيرا بعد دو سوسير، بيد أنّ المصطلح الأوّل خلافا للثاني، ليس من وضع دو سوسير، إذ كان هذا الأخير يفضل استعمال مصطلح « Idiosynchronique » بدلا منه". غير أن هذا المصطلح أيضا لا أثر لذكره في كتابه "جوهري اللغة"، والذي يستخدم مصطلح « Instantané » أي (الآني) عوضا عنه. والحقيقة أن كلا من بالي وسيشهاي هما من لجأ إلى مصطلح « idiosynchronique » للتعريف باللسانيات السنكرونية بقولهما: "إن موضوع اللسانيات السنكرونية العامة يتمثل في وضع المبادئ العامة لكل سق إيديو سنكروني والعوامل المؤسسة لكل وضع لساني". والواضح أن لفظ « idiosynchronique »، عرف عدة مقابلات له في الترجمات العربية الخمس لكتاب "دروس في اللسانيات العامة"؛ ففي الترجمة التونسية ترجم ب"آني خاص"، وفي الترجمة العراقية "إديوسنكراسي، وفي الترجمة المصرية وفي الترجمة اللبنانية "وصفي متميز". وفي الترجمة الجزائرية التي اختارها عبد الرحمن الحاج صالح فقد اختار مصطلح "محور الإدراج"، وتارة استعمل مصطلح "علم اللسان السكوني" linguistique statique في مقابل علم اللسان التطوري linguistique évolutive وهما مصطلحان استقاهما الحاج صالح من كتاب "الدروس" الذي نشره بالي وسيشهاي، وهما مصطلحان يبعهما مصطلحان رديفان آخران وهما: مصطلح المتعاقبات الزمانية أو محور المتعاقبات الزمانية Axe des Successivités في مقابل مصطلح المتقارنات أو محور المتقارنات Axe des Simultanéités (الدروس، 114-116). ولذا نجد جون جوزيف في معرض ردوده على المفاهيم الخاطئة المتولّدة عند بعض الباحثين اللسانيين المنتقدين لأفكار دي سوسير، يرجعها إلى تلك القراءات المبتسرة والمجتزئة من كتاب "الدروس" خاصة في موضوع اختزال دي سوسير التحول اللساني في القياس analogie أو في رده للعلامة للسانية لأسطورة السنن الثابت Code، وهي انتقادات تتعلق بثبات العلامة immutabilité وسكوت دي سوسير عن التغيرات التي تطرأ على الوضع اللساني، ولكن عند الرجوع إلى كتاب "جوهري اللغة" نجد أنه –أي دي سوسير- قد استعاض عن مفهوم التحوّل بمصطلح "التبادل «Echange »، وهو التعبير أي "التبادل" الحقيقي لكل حركية في اللسان.

انظر:

- F , de Saussure : Cours, pp. 114-119, et pp. 119-140.
- F , de Saussure : Cours, éd critique par Rudolf Engler, pp. 158-173, et pp. 174-227.
- F , de Saussure : De l’essence double du langage, p. 40.
- T. De Mauro, Notes, in F , de Saussure, Cours De linguistique Générale, p. 451, Note n° 170.
- J. E. Joseph : La teinte de tous les ciels. Divergence et nuance dans la conception saussurienne du changement linguistique, Cahiers Ferdinand de Saussure, n° 63, pp. 145146.
- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث (3)، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، المجلد الثاني، العدد 1، 1972، ص 44، صص 50-51.
- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث (4)، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، العدد 4، 1973-1974، ص 58.
- فرديناند دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي، محمد الشاوش ومحمد عجينة، تونس، الدار العربية للكتاب، 1985، ص 157.
- فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطلبي، بغداد، دار آفاق عربية، 1985، ص 120.

وهو بهذا ليصحح غلو أصحاب المذهب التاريخي في الدراسة اللغوية، ويبرر سوسير موقفه هذا، على أساس أن النظام والاعتدال الوضعي الذي تتصف به اللغة في وقت ما نطلق عليه نحن زمن (س)، لا يمكن أن يفسر بالعوامل التاريخية العارضة (**accidentels**) الجزئية، ولكن ما تفسره هذه العوامل هو تحول الجزيئات المادية للغة، أما انتظامها وائتلافها الذي تكسبه فوره فقدانها إياه فهذا يرجع إلى أسباب غير عارضة بل مستمرة وباطنة (أي مفارقة لنظامها الداخلي)، وبها تتكون اللغة من حيث هي لغة[94].

ويستفاد من هذا أنّ الفرضية التي يتأسّس عليها البحث العلمي للظاهرة اللغوية عند دي سوسير، تتبدّى في أنّ اللسان **langue** من حيث هو نظام تواصلي يمتلكه كل فرد ينتمي على مجتمع له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة، يعكس حقيقتين:

1- حقيقة آنية: من حيث أنّ اللّسان واقع قائم بذاته، يمكن لنا إخضاعه للدراسة العلمية بكل مواصفاتها بمعزل عن مظاهر التعاقب التاريخي.

2- حقيقة تاريخية: لأنّ اللّسان حدث متغير، يتكوّن من رواسب الاستعمال الفعلي للكلام عبر الحقب الزمنية المختلفة.

المجلس العلمي للكلية

بناء على هذا التصور لحقيقة النظام اللساني، أصبح في نظر دي سوسير من الضروري تقسيم الدراسة اللسانية إلى فرعين: أحدهما: لسانيات تاريخية **Linguistique Diachronique**، وهي الدراسة التي تهتم بالتعقب المرحلي للظاهرة اللغوية عبر التاريخ، والثاني: لسانيات آنية **Linguistique Synchronique**، وهي الدراسة التي تسعى إلى وصف بنية النظام اللساني وتحليلها في ذاتها ومن أجل ذاتها بمعزل عن الأثر التاريخي[95].

6/ الثنائية: محور ركني / محور استبدالي

ترتبط هذه الثنائية بالعلاقات الذهنية بين الوحدات التي تكون الحدث اللساني عند المتلكم–المستمع للغته، وهي تتفرع على فرعين:

- فرديناند دي سوسير: فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد عيم الكراعين، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1986، ص 40.
- فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص56.
- مختار زواوي: من المورفولوجيات إلى السيميائيات، مدخل إلى فكر فرديناند دو سوسير، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2019، صص 51-56.

[94] F , de Saussure : Ibid, p. 114 - 117.

[95] أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية 2009، صص 5-6.

1- العلاقات الاستبدالية: **Rapports Paradigmatiques**، والتي كانت تنعت في المباحث الأولية لدى سوسير ب"العلاقات الترتيبية **Rapports associatifs**.

2- العلاقات الركنية **Rapports Syntagmatiques**، مما لا شك فيه أنّ العناصر اللسانية في الخطاب المنطوق أو المكتوب تخضع خضوعا إلزاميا لسلطة الطبيعة الخطية للغة؛ فهي إذ ذاك ترتبط فيما بينها بعلاقات ركنية تقتضيها طبيعة اللسان اقتضاء، مما يجعل العناصر اللسانية أثناء العملية التلفظية، تتوالى وتتلاحق في نسقية خطية لتشكل البنية التسلسلية للخطاب، ويرتد ذلك في جوهره إلى مجموعة السنن أو القوانين التي تعتمد في الإجراء التأليفي بين العناصر المتعاقبة التي تكوّن المتوالية التلفظية، وذلك ما يعرف ب(المحور الركني) **L'axe Syntagmatique**، الذي يتكون من عنصرين لسانيين فأكثر، وأن القيمة الدلالية للعنصر اللساني تتحدد بالمقابلة بين العناصر اللسانية التي تسبقه أو تلحقه أو بهما معا. ومن جهة أخرى فإنّ الكلمات بمعزل عن الإنجاز الفعلي للخطاب، هي علاقة قائمة على التشابه من حيث تركيب وحداتها في الذاكرة، وذلك ما يطلق عليه دي سوسير "العلاقات الترتيبية التي تكوّن المحور الاستبدالي" [96]« **L'axe Paradigmatique** ».

6/ وظائف اللغة:

6-1- الوظيفة التبليغية: وهي وظيفة اللسان الرئيسية، وتتمثل في نقل الفائدة أو الخبر، وتندرج في الغرض الأصلي من الكلام، وهو حصول التبليغ والفهم، وتشمل عناصر دورة الخطاب كلها.

6-2- الوظيفة التعبيرية: وتتمثل في التعبير عن الأحاسيس والمشاعر والعواطف وتتعلق بالعبارات والعناصر اللغوية التي تخص موقف المتكلم في تأدية رسالته، أو تبليغ خطابه، وتسمى كذلك بالوظيفة الإنفعالية، وتظهر بشكل أوضح في الشعر الوجداني.

6-3- الوظيفة الخطابية: وهي التي تتضح عندما يوجه الخطاب إلى المرسل إليه، أو المخاطب بفتح الطاء من أجل التأثير في نفسه ودفعه إلى الانفعال والتجاوب مع الخطاب لغويا وحركيا وذهنيا، وذلك بتوجيه بحسب رغبة المتحدث ومقاصده.

---

[96] أحمد حساني: درسات في اللسانيات التطبيقية، ص9.

6-4- الوظيفة التواصلية: وهي التي تمثل الظروف التي يتم فيها التخاطب، وتتمثل في تلك المؤشرات أو العناصر اللغوية التي تستعمل لتوصيل الكلام وللتأكد من استمراره ولفت انتباه السامع إلى أن الخطاب يصله في أحسن الأحوال وأفضل الظروف، وأن القناة الموصلة للكلام على أحسن وجه، ومن أمثلة ذلك: أدوات التنبيه، أسمعت، أفهمت، مفهوم، نعم، قلت لك، أم وكلمة ألو...الخ.

6-5- الوظيفة اللسانية: وتسمى بالوظيفة التحقيقية أيضا، وهي الوظيفة التي تتعلق ببنية النظام اللغوي، ووصفه من الناحية الصورية التجريدية، وتتمثل في نحو اللغة، وصرفها ونظام أصواتها وتراكيبها، وتسمى هذه الوظيفة باللغة الأجنبية **Métalangue**، ويندرج تحتها كل التحقيقات التي تجري على اللسان، مثل تلك التحقيقات التي يقوم بها علماء النحو حول القواعد اللغوية والصرفية وغيرها، وتظهر هذه الوظيفة مدى إدراك المتكلم للوضع الذي يستعمله أثناء عملية التخاطب اليومي.

6-6- الوظيفة الجمالية: ويسميها ياكبسون الوظيفة الشعرية، وهي الوظيفة التي تصور الجوانب الجمالية في اللغة.

وبسبب ميزة الجدة التي طبعت آراء سوسير اللسانية، توزع تلامذته إلى مذاهب ومدارس لسانية مختلفة؛ فظهرت مدرسة جونيف[97] على أيدي تلامذته السوسريين وعلى رأسهم تلميذاه الشهيران بالي **Bally** وسيشهاي **Sechehay**، واللذان يرجع إليهما الفضل في نشر دروس سوسير في اللسانيات، إضافة إليهما نجد هنري فراي **Henri Frei** وروبرت كوديل **Robert Godel** . ومدرسة الفنولوجيا (حلقة براغ)[98] والتي من أبرز أعلامها تروبتسكوي وياكوبسون وكرسيفسكي، وكذلك ماتيسيوس **V. Mathesius** وترنكا **B. Trnka**، وفاشيك **J. Vachek**. ولا ننسى حلقة كوبنهاكن ومن أبرز شخصياتها راسموس راسك ومادفيك وبروندال **V. Brondal**، ويلمسيلف **L. Hjelmslev**، وأولدال **H. Uldall**، وغيرهم[99].

أما المدارس التي لم تظهر كنتيجة مباشرة لسوسير فهي: المدرسة الروسية[100]، والتي كانت في أول أمرها حلقتين، حلقة موسكو ورائدها فورتوناتوف (**1848-1914**)، وحلقة قازان، وصاحبها هو بودوان كورتناي، استعادت نشاطها بصورة مكثفة بعد سنة **1950**م.

---

[97]F , de Saussure : Ibid, p. 373.
[98]F , de Saussure : Ibid, p. 373- 374.
[99]F , de Saussure : Ibid, p. 369 - 370.
[100]F , de Saussure : Ibid, p. 370 - 371.

كما نجد المدرسة الإنجليزية[101]، والتي تكونت من نزعتين، إحداهما كانت اهتماماتها متعلقة بالفنولوجيا التي أسسها العالم دانيال جونس **D. Jones**، والثانية نزعة مستقلة بنفسها تماما ظهرت سنة **1928**م، وكلتاهما كان على رأسهما فيرث **J.R.Firth** ، وممن تأثروا به نجد بالمر **L.R.Palmer** وألين **W.S. Allen**، وأولمان **S. Ullmann**، وأشهر هؤلاء جميعا هاليداي **A.K. Halliday** .

وأخيرا المدرسة الأمريكية[102]، نشأت بفضل الدراسات اللغوية التي ارتكزت على دراسة اللغات الأمريكية الأصلية (لغات الهنود الحمر)، وكذلك على مناهج تدريس اللغات وصعوبات التعليم على مستوى المناهج التعليمية والطرق البيداغوجية؛ فكانت البدايات الأولى مع فرانتس بواس **F. Boas** سنة **1911** وتبعه سابير **E. Sapir** ثم بلومفيلد. وبدءا من سنة **1920** تميزت الدراسات الأمريكية بطابعها الخاص بها والمتميز عن البحوث اللسانية الأوروبية، وأهم الباحثين الذي خلفوا بلومفيلد هم : هوكيت **C.F. Hockett**، وبايك **K.L. Pike**، وهاريس **J. Harris**، وهؤلاء جميعا كانوا يقعون تحت الاتجاه الذي أطلق عليه إسم التوزيعية **Distributionalisme**، والتي كانت نتيجة أبحاث بلومفيلد الذي استعار فكرة البيهافيورية (السلوكية) ، من علماء النفس الأمريكيين وطبقها على التحليل الوصفي اللغوي طورها فيما بعد إلى نظرية أشمل تأسست على مفهوم الاستغراق، كان يطلق عليه مصطلح **Fonction**، غير أن التسمية لم تكن ملائمة لطبيعة الاهتمام البحثي فأطلق عليها سوداش كلمة **Distribution** التي صارت اسما لاتجاه ومذهب لساني قائم بذاته.

---

[101]F , de Saussure : Ibid, p. 372 - 373 .
[102]F , de Saussure : Ibid, p. 371 - 372.

أما نعوم تشومسكي[103] فقد كان صاحب اتجاه ثان في المدرسة الأمريكية، حيث كان يهتم بما يسمى بالنحو

---

[103]نعوم تشومسكي من مواليد 07 ديسمبر 1928 من أبوين هما ويليام و إيلزي (سيمونفيسكي) تشومسكي William et Elsie (Simonfsky) Chomsky بمدينة فيلاديلفيا بمقاطعة بنسيلفانيا، ووالده ويليام هو عالم في العبرية، له مكانة خاصة في قومه قدم من روسيا إلى الولايات المتحدة مهاجرا ليستقر بهذه الأخيرة. ووالداه ينتميان إلى الطبقة البرجوازية اليهودية الصغيرة، وكانا يدرسان بالمدرسة العبرية، وقد سجلاه قبل بلوغه تمام السنتين من عمره بالمدرسة تقدمية تجريبية حيث قضى بها نحو إثنا عشر سنة (12) كاملة، وتعلم فيها مبدأ أن "الجميع يقوم بشيء ذي أهمية". ويذكر تشومسكي عن طفولته أنه قضاها مستغرقا في القراءة، التي كانت تملأ عليه كيانه، ولم يعرف تميزه عن زملائه وكتلميذ نجيب إلا بعد التحاقه بالدراسة في المرحلة الثانوية سنواته التي قضاها في المرحلة اثانوية عرفت بحدة التنافس والتألف . سنة 1945. التحق تشومسكي بجامعة بنسيلفانيا حيث نال شهادة البكالوريا في الفنون سنة 1949، وهي السنة التي تزوج فيها نعوم بالباحثة في اللسانيات كارول شاتز Carol Schatz ، وأنجبا من بعد ثلاثة أبناء. ونال شهادة الأستاذية maîtrise سنة 1951 ، والدكتوراه بعد ذلك سنة 1955. وفي هذه الجامعة تم تعرفه على الألسني الشهير زليغ هاريس Zellig Harris، الذي عمق مفاهيمه اللسانية، والذي أسس في بنسيلفانيا Penn أول قسم في الدراسات الألسنية بالجامعة الأمريكية. والتي وضع بهامؤلفه حول "البنية المنطقية للنظرية الألسنية" The Logical Structure of Linguistic Theory، وقد انتظر هذا العمل عشرين سنة كاملة حتى تكتشف أهميته العلمية والعملية. بين سنة 1951 و1955 صار تشومسكي عضوا في جمعية جامعة هارفرد للبحث la Société de l'Université de Harvard Fellows وبدءا من سنة 1955 صار تشومسكي أستاذا بمعهد مساشوستس للتكنولوجيا Massachusetts Institute of Technology(MIT) . وقد تقلد عدة مناصب مختلفة بصفة أستاذ كرسي زائر في كل من كولومبيا وفي جامعة كاليفورنيا وفي باركلي UCLA, Université de Californie à Berkeley ، و بجامعة سيراكوس l'Université de Syracuse، وإضافة إلى ذلك شغل عدة محاضرات منها : محاضرة جون لوك بأكسفورد la Conférence de John Locke (Oxford)، ومحاضرة تذكارية ببرتراند راسل بكامبريدج Bertrand Russell Memorial Lecture (Cambridge)، وأخرى خاصة بنيهرو بجامعة نيودلهي le Nehru Memorial Lecture (Université de New Delhi)، وأيضا محاضرة خاصة بهويزانغا بجامعة ليدن la Conférence Huizinga (Université de Leiden)، ومحاضرة وود بريدج بجامعة كولومبيا le Conférence Woodbridge (Columbia University)، وكذلك محاضرة كانط بجامعة ستانفورد la Conférence Kant (Université de Stanford)، وأخرى خاصة بجيفورد بجامعة أيدمبورغ Conférence Gifford (Université d'Edimbourg) . كما نال عدة شهادات دكتوراة فخرية من عشرين جامعة (20) . ونال عدة جوائز منها جائزة ماك آرثر MacArthur وجائزة أوروايل Orwell . وكما عرف عن تشومسكي كأستاذ وباحث ألسني، عرف أيضا كسياسي وناقد إجتماعي له حضوره في حلبة الصراع السياسي والفكريوبالخصوص معارضته لحرب فيتنام وقد ترك عدة مؤلفات منها : *American Power* و *les nouveaux mandarins* سنة *1969* وكذلك *la paix et au Moyen-Orient?* سنة *1974* ، و *les Etats voyous* سنة *2000* و كتاب سنة *2002-11-9* ، بالإضافة إلى *États défaillants: l'abus de pouvoir et de l'agression sur la démocratie* سنة *2006*، ولقد ترك أكثر من ثلاثين مؤلفا (30) أهمها *Structures syntaxiques* سنة *1957* ، و *Enjeux actuels de la théorie linguistique* عام *1964* ، *Langue et de l'esprit* عام *1972*، وأيضا في السنة نفسها *Études sur la sémantique dans la grammaire générative*، وفي عام *1986* ألف *connaissance de la langue*، وألف عام *1987* كتابه *problèmes de langue et de la connaissance*، وفي سنة *1993* وضع كتاب *langage et pensée*، ثم تبعه بمؤلفه *de nouveaux horizons dans l'étude de la langue et l'esprit.* أنظر بخصوص ترجمته: Larry Pullen المواقع الآتية :

http://www.giffordlectures.org/Author.asp?AuthorID=270

http://www.toupie.org/Biographies/Chomsky.htm

التفريعي **Generative grammar** ، وذلك في كتابه المعنون ب(المباني التركيبية) **Syntactic Structures** الذي أصدره سنة **1957**م. هذا الأخير الذي أعاد الحياة لتلك المفاهيم الكلية والشمولية لطبيعة البحث اللساني بل وأعاد استثمار الكثير من تلك المفاهيم والنظريات ذات الطرح الفلسفي والأنطولوجي مؤسسا بذلك لمفاهيم ذات صلة وطيدة بموضوع النظريات السانيات ما بعد الكلاسيكية متجاوزا الأطروحات التأسيسية السوسورية.

---

http://www.chomsky\bio.html

ومؤلفه: Noam "L'An 501, la conquête continue"Ed. l'Herne, 2006 (écrit en 1993)
.chomsky :

المحاضرة الرابعة عشر:

من اللغة إلى الكفاءة – تمفصل المفاهيم اللسانية بين النسق والكود

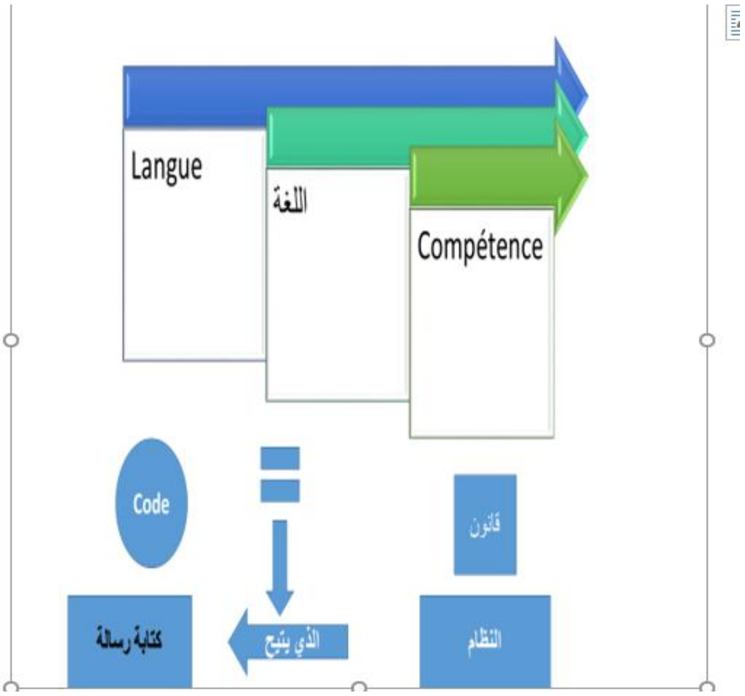

والتمثيل

التمهيد النظري

تقدم هذه الشريحة تمثيلًا بصريًا ديناميكيًا لثلاث مفاهيم مركزية في النظرية اللسانية:

- **Langue** (اللغة بنسقها البنيوي السوسيري)
- **Compétence** (الكفاءة كما حددها تشومسكي)
- **Code** (الكود بوصفه المبدأ التمثيلي الذي يتيح تشكل الرسالة وقراءتها)

ويظهر من خلال هذا الترتيب البصري أن هناك تدرجًا وظيفيًا وهيكليًا، حيث يتم الانتقال من البنية اللسانية (Langue)إلى ملكة التوليد (Compétence) مرورا بالكود الذي يُمكن الكتابة والرسالة – مما يجعل الشريحة تعمل كنموذج تداولي–تركيبي لفهم الأبعاد الوظيفية للنشاط اللغوي.

اللسان كمفهوم سوسيري – Langue

يُفهم اللسان عند دي سوسير بوصفه **نظامًا مغلقًا من العلامات** تُنتج داخل جماعة لغوية محددة عبر مواضعة اجتماعية مستمرة .(de Saussure, 1916, p. 30) وهو ليس مجرد قائمة من الكلمات أو المعاني، بل **نسق بنيوي داخلي قائم على الفروق والعلاقات**، لا يكتسب أي عنصر فيه قيمته إلا من خلال موضعه في الشبكة.

ويمثل هذا النسق ما يُطلق عليه سوسير *form, not substance*، أي أن اللسان هو شكل (Forme) لا مادة.(Substance)

الكفاءة اللغوية عند تشومسكي – Compétence

ينقلنا النموذج إلى مفهوم "الكفاءة **Compétence** "الذي طرحه نعوم تشومسكي (Chomsky, 1965)بوصفه **القدرة التوليدية الفطرية للغة في ذهن المتكلم–المستمع المثالي.**

> *"Compétence désigne la connaissance intériorisée du système linguistique – une grammaire mentale innée."*
> *(Chomsky, 1965, Aspects of the Theory of Syntax, p. 4)*

في هذا التمثيل، تظهر الكفاءة كامتداد أعلى للغة – أي ليس فقط النظام الرمزي الممارس اجتماعيًا، بل أيضًا **القدرة العقلية التي تسمح بتوليد عدد لا متناهٍ من الجمل الصحيحة انطلاقًا من عدد محدود من القواعد.**

الكود بوصفه الوسيط التمثيلي للرسالة – Code

الكود هو المفهوم الذي يعمل بمثابة **الترجمة التقنية لنظام اللغة في أنظمة تمثيل أخرى** (مثل الكتابة، الترميز، الشفرات)، وهو الذي يتيح نقل الرسالة من الذهن إلى المادة – كما يشير إليه السهم: "الذي يتيح ⟶ كتابة/رسالة."

يُمكن ربط مفهوم الكود عند سوسير بمفهوم"système de signes" ؛ ولكنه أقرب في هذه الشريحة إلى منظور **Roman Jakobson**، الذي ربط الكود بوظيفة الاتصال اللغوي (Jakobson, 1960), حيث اعتبره *la condition nécessaire de toute communication.*

"Le code est ce qui rend possible le passage du message du destinateur au destinataire."
(Jakobson, 1960, Linguistics and Poetics)

التفاعل بين المفاهيم

ما يجمع بين "اللسان" و"الكفاءة" و"الكود" هو **التشغيل التداولي للغة:**

- **اللسان** :هو المادة الرمزية المعطاة اجتماعيًا.
- **الكفاءة** :هي القدرة العقلية الفردية على إنتاج اللغة.
- **الكود** :هو الوسيط الذي يُمكِّن التمثيل والتحويل (من ذهني إلى مادّي).

وبذلك، فإن هذه الشريحة تقدم تصورًا **تكامليًا–نموذجيًا** للغة باعتبارها:

- **قانونًا داخليًا (قانون – النظام)**
- **قدرة إدراكية(compétence)**
- **ترميزًا تمثيليًا – code) كتابة/رسالة(**

قائمة المراجع التفسيرية:

- de Saussure, F. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge: MIT Press.
- Jakobson, R. (1960). *Linguistics and Poetics*, in *Style in Language*, ed. T.A. Sebeok. MIT Press.

من "الكلام" إلى "الأداء" – البعد الفيزيولوجي في تحقق اللغة:

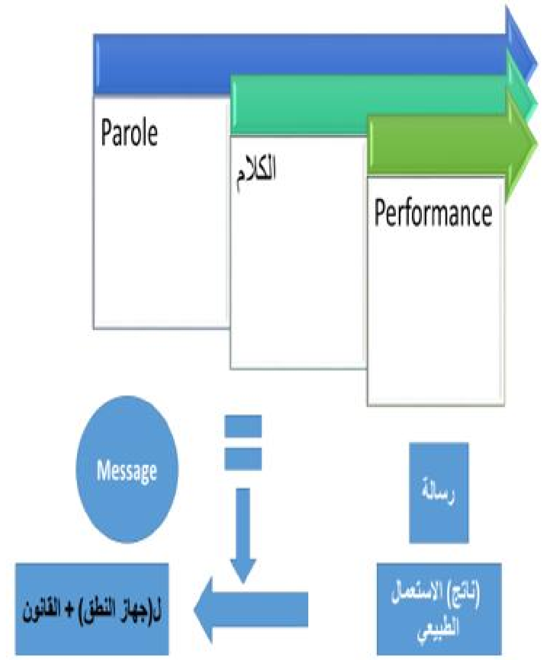

تقديم تمهيدي

تُجسد هذه الشريحة توترًا منهجيًا معرفيًا بين مستويين من الفعل اللغوي:

- الأول) **Parole** :**الكلام** (عند سوسير، والذي يمثل الأداء الفردي للنسق اللغوي (langue) عبر فعل تواصلي.
- الثاني) **Performance** :**الأداء** (عند تشومسكي، والذي يُحيل إلى التفعيل العملي للكفاءة (compétence)داخل شروط نفسية–فيزيولوجية–اجتماعية.

وتمثل الرسالة Message (أو "الملفوظ") نقطة التقاطع بين هذين المستويين، حيث تُجسد اللغة في شكل محسوس، وتُمرر عبر جهاز النطق والجهاز الإدراكي–الحسي.

الكلام بوصفه تجليًا فرديًا للنسق – Parole

وفق دي سوسير، يمثل **الكلام** (**Parole**) الجانب الشخصي والفردي من اللغة، أي أنه فعل لغوي ملموس يصدر عن فرد معين في ظرف معين. الكلام لا يعكس النظام اللغوي مباشرة، بل يظهر باعتباره فعلًا جزئيًا، متغيرًا، غير منضبط بالضرورة بقواعد صارمة، ويخضع للتقلبات النفسية، والفيزيولوجية، والسياقية (de Saussure, 1916, pp. 27–32).

المجلس العلمي للكلية

"Parole est l'acte d'utilisation individuel du système de la langue."
(de Saussure, 1916, p. 30)

وعليه، فإن "الكلام" لا يُدرس مباشرة من طرف اللسانيات البحتة، بل يدخل ضمن اهتمامات الصوتيات، علم النفس اللغوي، أو علم الاجتماع اللغوي، لأنه غير منظم نسقيًا.

الأداء اللغوي عند تشومسكي – Performance

في المقابل، صاغ **تشومسكي** (**Chomsky**) مفهوم "Performance" للإشارة إلى الفعل الملموس للكفاءة اللغوية. لكن بخلاف سوسير، فإن تشومسكي لا يُعلي من شأن الأداء، بل يراه خاضعًا لقيود إدراكية ونفسية لا تسمح دائمًا بتمثيل الكفاءة اللغوية على وجه الدقة.

"Performance is the actual use of language in concrete situations, affected by limitations of memory, attention, and other cognitive factors."
(Chomsky, 1965, Aspects of the Theory of Syntax, p. 4)

ويُظهر هذا الفرق بين "المعرفة (compétence)" و"الاستعمال (performance)" بطريقة تشبه علاقة النموذج بالتطبيق.

3.الرسالة، الجهاز النطقي، والقانون الفيزيائي

في النصف السفلي من الشريحة، نشهد ديناميكية ترجمة الرسالة (Message) إلى فعل ملموس عبر **جهاز النطق + القانون الفيزيائي**، حيث تُنتج الأصوات وتُرسل من المرسل إلى المستقبل.

الرسالة هنا ليست مجرد محتوى دلالي، بل هي تفعيل لأبنية صوتية ضمن شروط فيزيائية (الذبذبات، الترددات، تدفق الهواء...) وبيولوجية (عمل اللسان، الحنجرة، الدماغ). وهذا ما يجعل الأداء فعلًا معقّدًا متعدد الأبعاد، ويُفسر لماذا لا يُطابق دائمًا الكفاءة.

ويُشير سهم "الناج + الاستعمال الطبيعي" إلى أن الرسالة ليست بنية لغوية خالصة، بل يُضاف لها طابع إدراكي–حسي يتجلى في **الصوت + التعبير + الحضور الفيزيائي**.

المقارنة الوظيفية بين المفهومين

البُعد	سوسير (Parole)	Performance(تشومسكي)
الطبيعة	فردي، ملموس، غير منتظم	فردي، ملموس، تجريبي، مرتبط بالكفاءة
العلاقة بالنسق	فعل يُجسدlangue	تجلي للكفاءةCompetence
الدراسة	سيكولوجية–فيزيائية	سيكولوجية–معرفية–إدراكية
الاستعمال	متحرر من القواعد أحيانًا	مشروط بالذاكرة والانتباه والسياق
النموذج البصري	صوت + رسالة + نطق	إنتاج إدراكي للغة

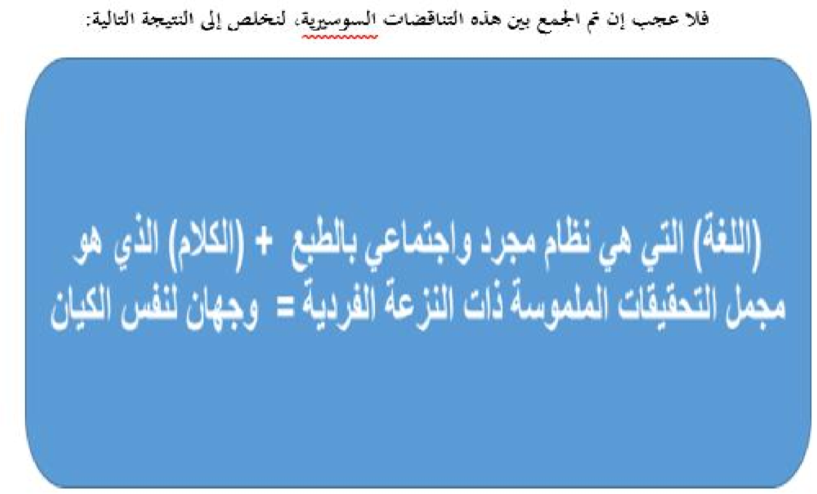

"

اللغة" و"الكلام" كوجهي كيان لساني واحد:

تمهيد تأويلي:

تقدّم هذه الشريحة صيغة مركّبة تلخص بدقة التوتر الإبستيمولوجي الذي حكم أطروحة دي سوسير حول العلاقة بين **اللغة** (**Langue**) و**الكلام** .(**Parole**) فبينما بدا سوسير متشددًا في فصله بين الاثنين في مواضع عديدة من *Cours de linguistique générale*، إلا أن تحليله ينتهي إلى نوع من **الجدل البنيوي التكاملي** :حيث لا وجود فعلي للغة دون تحققها في الكلام، ولا معنى للكلام خارج نسق اللغة. وتلك هي المفارقة التي تسعى الشريحة إلى تسليط الضوء عليها.

1 التركيب الجدلي بين المجرد والملموس

تقول الشريحة:

"(اللغة) التي هي نظام مجرد واجتماعي بالطبع + (الكلام) الذي هو مجمل التحقيقات الملموسة ذات النزعة الفردية = وجهان لنفس الكيان"

اللغة، من منظور سوسير، هي نظام رمزي لا يُدرك إلا من خلال فروقه الداخلية *différences internes*). إنها ليست جوهرًا ماديًا، بل هي *شكل ثقافي جماعي* يُبنى بواسطة التواطؤ الاجتماعي عبر الزمن (de Saussure, 1916, p. 30). إنها نظام قائم على القواعد، والقيم التبادلية، وغير خاضع للإرادة الفردية.

الكلام، على النقيض، هو فعل شخصي، فردي، متغير، ناتج عن اختيار حرّ، لكنه لا ينفك يستند في إنتاجه إلى قواعد اللغة الجماعية. الكلام هو التفعيل اللحظي للكفاءة التراكمية.(Martinet, 1980, p. 17)

"Langue et parole sont inséparables : l'une est la forme, l'autre l'actualisation."

(Benveniste, 1966, p. 14)

وهكذا يتجلى أن هذا الفصل السوسيري الحاد هو في حقيقته **تمييز منهجي وليس ontologique** ، أي أنه من أجل الدراسة العلمية لا بد من تحليل اللغة بمعزل عن فوضى الأداء، ولكن على مستوى الوجود – يظلان متلازمين دائمًا.

2 جدل الثنائية: الفصل المنهجي والوحدة الوجودية

الشريحة تقودنا إلى معادلة إبستيمولوجية نهائية مفادها:

- **اللغة = النسق**
- **الكلام = التحقق**
- **اللغة + الكلام = الكيان اللساني الكلي**

وهذا يعيدنا إلى مفهوم لاحق طوّره **إميل بنفينيست** حين قال إن اللغة لا توجد إلا عبر الكلام، وإن اللسانيات يجب أن تُعنى بالاثنين معًا، لأن اللغة كنسق هي اختراع الكلام المتكرر، أي أن:

"La langue est à la fois un système virtuel et une réalisation effective dans la parole."
(Benveniste, 1966, p. 15)

3 الأثر النظري للشريحة

العبارة الأخيرة" :**وجهان لنفس الكيان"**، تعيد ترتيب علاقة جدلية ظلت محور النقاش بين اللسانيين البنيويين والبعديين: هل يجب دراسة اللغة بمعزل عن الأداء؟ أم هل تجوز دراسة الكلام دون نظام لغوي مرجعي؟ هذه الثنائية لا تعني التضاد، بل تعني أن:

- **اللغة توفر البنية**
- **الكلام يوفر الحدوث**

وبينهما تتأسس **العلامة اللسانية**، التي هي وحدة مزدوجة بين "الدال" و"المدلول"، تمامًا كما أن **النشاط اللغوي نفسه هو وحدة مزدوجة بين اللغة والكلام**.

عبد الحميد بن باديس
المجلس العلمي للكلية

الخلاصة التحليلية

الشريحة الثالثة من المحور الرابع تقترح حلاً مركبًا لتناقض ظاهري ساد ثنائية دي سوسير: الفصل الحاد بين اللغة والكلام من جهة، ثم الاعتراف بحتمية تلازمهما في التجلي التواصلي من جهة أخرى. بهذا، يتجاوز التحليل الثنائي إلى نوع من **الديالكتيك البنيوي** :فالكلام ليس إلا وجه اللغة الذي يتخذ شكلاً في الواقع، واللغة ليست إلا النظام الذي يجعل من الكلام ممكنًا.

قائمة المراجع

- de Saussure, F. (1916). *Cours de linguistique générale*. Éd. critique par Tullio de Mauro. Paris: Payot.
  - pp. 27–32, 30, 37–38
- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*, Tome I. Paris: Gallimard.
  - pp. 14–17
- Martinet, A. (1980). *Éléments de linguistique générale*. Paris: Armand Colin.
  - p. 17

الخلاصة الشاملة للمحاضرة: نحو تأسيس بنيوي للسانيات – من الدليل إلى النظام

تمهيد تركيبي:

مثّلت هذه المحاضرة منعطفًا إبستيمولوجيًا في رسم معالم اللسانيات البنيوية، من خلال تحليل الأُسس النظرية التي صاغها **فرديناند دي سوسير** حول البنية الداخلية للغة، عبر مفاهيم :**الدال والمدلول**، **الاعتباطية**، **الخطية الزمنية**، **التمايز بين اللسان والكلام**، و**تحديد الموضوع الفعلي لعلم اللسان**.

هذه المحاور الأربعة تُمثّل الركائز التكوينية لما سيصبح لاحقًا مجال "اللسانيات العامة"، حيث تتقاطع فيها الرؤية البنيوية مع مبدأ الاستقلال النسقي للغة.

المحور 1: من التسمية إلى نظرية الدليل – القطيعة مع التصورات الطبيعية

انطلق دي سوسير من **نقد جوهري للتصورات الأرسطية والمدرسية** التي اعتبرت اللغة قائمة على علاقة مطابقة طبيعية بين **الاسم والمسمّى** .وقد أظهر أن هذا التصور عاجز عن تفسير التنوع اللغوي، وضرب مثلاً بالكلمات : *cheval, horse, Pferd*التي تشترك في المدلول وتختلف في الدوال.

قدم سوسير بديلاً بنيويًا :**نظرية الدليل اللغوي** (*Théorie du signe linguistique*)، التي تنبني على تقابل بين:

- **الدال** :(**signifiant**): الصورة السمعية.
- **المدلول** :(**signifié**): المفهوم الذهني.

وهذه العلاقة ليست مرآوية أو إحالية، بل اعتباطية وغير معللة (*immotivée*) ، يحدّدها الاستعمال داخل الجماعة اللغوية فقط، وليس الواقع أو الطبيعة.(de Saussure, 1916, pp. 97–98, 155–158)

المجلس العلمي للكلية

المحور 2: البنية الاعتباطية للدال – تفكيك الحتمية الطبيعية

وسع سوسير تحليله عبر ثلاث أطروحات مركزية:

1. **التمثيل النفسي للصورة السمعية** :القدرة على التحدث داخليًا بدون حركة عضوية دليل على الطبيعة الذهنية للصوت.
2. **الوحدة السيكولوجية للدليل** :يشبهها سوسير بالعملة ذات الوجهين، حيث الدال والمدلول متلازمان لا يُفصلان.
3. **اعتباطية العلاقة** :رفض دعاوى المحاكاة الصوتية (*onomatopées*) وعبارات التعجب كدلائل على طبيعة غير اعتباطية.

وتم تعزيز التحليل بنقد موقف **إميل بنفينيست** (1966, pp. 48–55)الذي رأى أن العلاقة بين الدال والمدلول ضرورية سيكولوجيًا، وهو ما رد عليه سوسير بإبراز تعدد التسميات لنفس المفاهيم في اللغات المختلفة.

المحور 3: اللسان والكلام – قطيعة بنيوية مع التصورات النفسية

ميز سوسير بين:

- **اللسان** :(**langue**) نسق اجتماعي من الرموز، لا يملكه الفرد.
- **الكلام** :(**parole**) فعل فردي وحرّ، يتحقق عبر الاستعمال.

ووضع تماثلاً بين *اللسان والقاموس/السمفونية*، *والكلام والاستعمال/الأداء* .فاللغة كنز مشترك لا يصنعه الأفراد، بل يرثونه، وهي صورة شكلية (*forme*) لا مادة.(*substance*)

"La langue est une forme, non une substance"
(de Saussure, 1916, p. 39)

أكد سوسير أن **علم اللسان ينبغي أن يدرس اللسان لا الكلام**، لأن الأول ثابت ومشترك، والثاني متغيّر وعرضي. وهو ما عبّر عنه بقوله" :*نفصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي، وبين ما هو هام وما هو ثانوي*" .

المحور 4: الخطية والمفارقة السوسيرية – من النسق إلى الأداء

في هذا المحور، حلّل سوسير مبدأين متكاملين:

1. **خطية الدال** :(**linéarité**) بسبب الطبيعة الفيزيائية للصوت، لا يمكن إنتاج وحدتين صوتيتين في آن واحد، ما يمنح اللغة خاصيتها الزمنية المتعاقبة، بخلاف العلامات البصرية.
2. **تناقضات نظرية – جدل اللغة والكلام** :رغم أن سوسير فصل بين اللسان والكلام، إلا أنه عاد ليُقر بأن "الكلام ضروري لترسيخ اللغة، واللغة ضرورية لجعل الكلام مفهوماً"، مما يكشف ترابطًا بنيويًا متبادلاً.

يقول سوسير:

"La langue est nécessaire pour que la parole soit intelligible, et la parole est nécessaire pour que la langue s'établisse."
(de Saussure, 1916, p. 38)

جدول تركيبي – مقارنة بين اللغة والكلام:

المعيار	اللغة(**Langue**)	الكلام(**Parole**)
الطابع	اجتماعي	فردي
الطبيعة	نظام مشترك	أداء شخصي
الوظيفة	شكل/قانون/نسق	فعل إرادي إبداعي
التحليل	سيكولوجي	فيزيولوجي–سيكولوجي
الاستقلالية	سابقة على الأفراد	تابعة للظروف والسياق
التشخيص	محفوظة في الذاكرة	ملفوظ، زمني، محسوس
الموضوع اللساني	اللسان	الكلام ليس غاية بل وسيط

الخاتمة النظرية:

إن المحاضرة الحادية عشرة تقودنا إلى تكريس رؤية **بنيوية نسقية** للغة، ترى في الدال والمدلول **بنية غير إحالية**، وفي اللسان **نظامًا اجتماعيًا مستقلاً** عن الفرد. كما أن التمييز بين **اللغة والكلام** يؤسس لمجال مستقل من الدراسة العلمية، حيث تكون اللغة "موضوعًا معرفيًا"، بينما يظل الكلام "ظاهرة سياقية."

غير أن الطابع **المزدوج والمركب** لهذا التقابل يظهر عند التعمق: فالكلام هو أيضًا ما يمنح اللغة حياتها، وهو وسيطها الضروري في الوجود. ولذلك، فإن المفهوم السوسيري –رغم صرامته البنيوية– لا يخلو من **توتر إبستيمولوجي داخلي**، يفتح الباب أمام التحولات البنيوية اللاحقة (تشومسكي، جاكبسون، بنفينيست...).

قائمة المراجع:

- de Saussure, F. (1916). *Cours de linguistique générale*. Édition critique par Tullio de Mauro. Paris: Payot.
  pp. 27–39, 97–103, 155–158, 447; notes: 38, 64, 70, 77.

- de Saussure, F. (1968–1989). *Cours de Linguistique Générale*, éd. critique par Rudolf Engler, Tome 1. Wiesbaden: Otto Harrassowitz.
  pp. 164–169.
- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*, tome I. Paris: Gallimard
  pp. 14–17, 48–55.
- Martinet, A. (1980). *Éléments de linguistique générale*. Paris: Armand Colin.
  pp. 10–12, 17, 58–64.

المحاضرة 15: اللسانيات والتلقي العربي – التأسيس والاتجاهات

مقدمة تحليلية إبستيمولوجية

يطرح العنوان المركب لهذه المحاضرة – *اللسانيات والتلقي العربي: التأسيس والاتجاهات* –إشكالية محورية تتجاوز مجرّد العرض التاريخي لحضور اللسانيات الغربية الحديثة في الفضاء العربي، لتطال الخلفية الإبستيمولوجية الكامنة وراء هذا الحضور، وتستقصي طرائق تمثّله، وآليات تبيئته، أو محدودية إسقاطه.

إن هذا التمثل العربي لعلم اللسان الغربي ليس مجرّد نقْل للمعرفة، بل هو في جوهره فعل ثقافي حضاري متعدد الطبقات، يستدعي مساءلة مستوياته الثلاثة:

1. **المستوى المفهومي** :هل اقتصر المثقف العربي على النقل الحرفي لمفاهيم اللسانيات الغربية؟ أم حاول تمثلها وتفكيكها ضمن خصوصية اللغة العربية كنظام دلالي–صوتي–تركيبي ذي بنية تاريخية مغايرة؟ وهل جرت محاولة لتأسيس مفاهيم بديلة متجذرة في تراث التفكير اللغوي العربي (من الجرجاني وابن جني إلى ابن خلدون)؟
2. **المستوى المنهجي** :إلى أي حد استطاعت البحوث اللسانية العربية أن تطوّر مناهجها بالاستفادة من اللسانيات البنيوية، التوليدية، التداولية وغيرها، من دون الوقوع في أسر *التماثل المنهجي* أو الاستنساخ الأكاديمي؟ هل وُفِّقت في تحقيق جدلية التأصيل والتحديث؟
3. **المستوى الإجرائي** :ما مدى قدرة النماذج اللسانية العربية على إنجاز قراءة تطبيقية لنظام العربية، بوصفها لغة طبيعية ذات تاريخ طويل، ونظام صرفي وتركيبي عالي الانتظام؟ وهل نجحت في استثمار الأدوات التحليلية الوافدة دون أن تُفرغ اللغة من سياقاتها الثقافية والحضارية؟

إن هذا التداخل الإشكالي يدفعنا إلى إعادة مساءلة التلقي العربي لعلم اللسانيات، لا كمجال معرفي وافد فحسب، بل كحدث إبستيمولوجي يفرض علينا الغوص في بنيته الخطابية، وسياقه التاريخي، وعلاقته بالمشروع الثقافي العربي في امتداده الحداثي وما بعد الحداثي.

ومن ثمّ، فإن هذه المحاضرة تسعى إلى:

- تتبّع **مسارات التأسيس** الأولى لحضور اللسانيات الحديثة في العالم العربي، عبر الترجمات، والندوات، والكتابات الأولى.
- تحليل **الاتجاهات** التي حكمت هذا التلقي: ما بين البنيوية والتوليدية والتداولية، وما رافقها من مواقف ترحيبية، رفضية، أو نقدية تأصيلية.
- إبراز الجهود العربية التي سعت إلى *تعريب اللسانيات* مقابل *لسننة اللغة العربية*، أي تحويلها إلى موضوع لدراسة لسانية حقيقية لا إسقاطية.

بهذا المعنى، لا يتعلق الأمر بتاريخ أفقي للانتقال المفاهيمي، وإنما بقراءة عمودية/حفريّة لحركة *المعرفة اللسانية* في فضاء عربي معاصر مأزوم بين المرجع والذات، بين اللغة والعالم، بين الكونية والخصوصية.

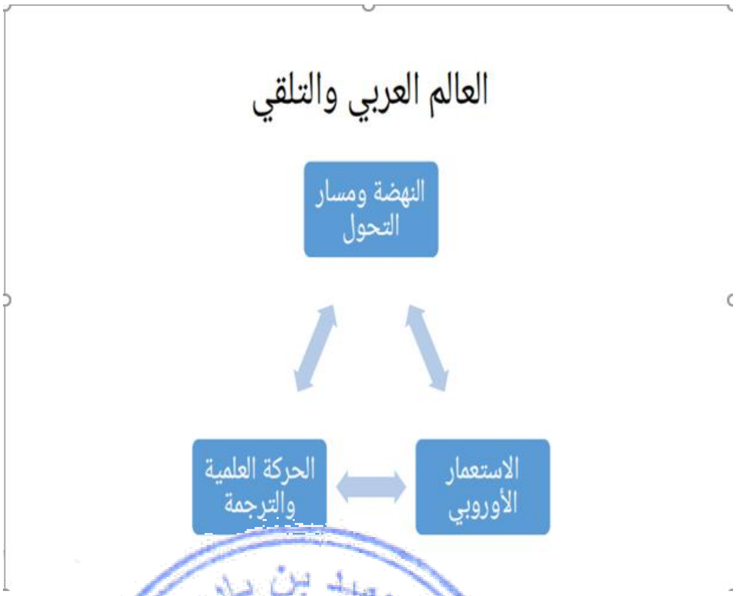

جامعة عبد الحميد بن باديس
المجلس العلمي للكلية
كلية الأدب والفنون

تحليل إبستيمولوجي استقرائي تحليلي نقدي للشريحة المستخدمة: **"العالم العربي والتلقي – ثلاثية التحول"**

أولًا: الإطار العام للتمثيل البصري

تعكس الشريحة من خلال بنيتها الثلاثية (مثلث دائري الخلفية) رؤية مركّبة للعوامل الكبرى التي أسهمت في تشكيل مسار **تلقي العالم العربي للمعارف اللسانية الحديثة** .وتتمثل هذه العوامل في:

1. **الاستعمار الأوروبي**
2. **الحركة العلمية والترجمة**
3. **النهضة ومسار التحول**

هذه المكونات الثلاثة ليست معزولة، بل مترابطة ترابطًا دائريًا/تأثيريًا، حيث يؤدي كل منها إلى الآخر. يمثل الرسم البصري نوعًا من الحتمية التاريخية الثقافية التي حكمت بنية التلقي العربي للعلوم الحديثة، وعلى رأسها اللسانيات.

ثانيًا: تحليل كل مكون في ضوء القراءة الإبستيمولوجية

1.الاستعمار الأوروبي(**Colonialisme européen**)

يحيل هذا المكون إلى العامل الخارجي القسري الذي فرض **تحولًا جذريًا في بنية الثقافة العربية** عبر:

- فرض نموذج معرفي غربي
- استبدال اللغة العربية بلغات المستعمر (الفرنسية، الإنجليزية...)
- تعطيل مسارات الإنتاج المعرفي الذاتي
- **فرض المركزية الأوروبية (Eurocentrisme)** في فهم اللغة والعلم والفكر

كما قال إدوارد سعيد في *الاستشراق*: »الاستعمار لم يكن فقط فعلًا عسكريًا، بل مشروعًا معرفيًا مفروضًا«. (*Edward Said, Orientalism*, 1978)

وبالتالي، لا يمكن فصل التلقي العربي للسانيات الحديثة عن السياق الكولونيالي الذي كان فيه **نقل المعرفة مشروطًا بالخضوع البنيوي للنموذج الغربي**.

2.الحركة العلمية والترجمة(**Le mouvement scientifique et la traduction**)

تمثل الترجمة وسيطًا مركزيًا في تلقي اللسانيات الغربية. وقد مرت بثلاث مراحل:

- **مرحلة النقل الحرفي** :حيث اكتُفي بترجمة المصطلحات اللسانية كما هي (signe = علامة، synchronie = التزامن(...

- **مرحلة الترجمة التفسيرية**: محاولة تفسير المفاهيم في ضوء النحو العربي التقليدي (كما فعل تمام حسان وعبد الرحمن حاج صالح)
- **مرحلة التأصيل المعرفي**: وهي الأهم، حيث بدأت محاولات بناء لسانيات عربية تستلهم الموروث وتؤسس لمفاهيم مقابِلة (نحو لساني، صرف وظيفي، بلاغة حجاجية...).

وقد شكلت هذه المرحلة مفصلًا بين **التلقي التابع** و**التلقي الفاعل**.

3.النهضة ومسار التحول(Renaissance et trajectoire de la mutation)

النهضة هنا تُفهم بوصفها مشروعًا **ثقافيًا/معرفيًا/لغويًا** يسعى إلى:

- **تحقيق الحداثة دون الذوبان في الآخر**
- تأسيس خطاب لساني نقدي يعتمد على أدوات معاصرة لكنه متجذر
- العودة إلى **التراث اللغوي العربي** (مدرسة سيبويه، المبرد، الزمخشري...) لإعادة تأويله في ضوء النظريات اللسانية الحديثة.

يُعتبر **عبد السلام المسدي**، و**تمام حسان**، و**الحاج صالح**، من أبرز من سعوا إلى هذا التحول الجوهري

"لسنا ضد المعاصرة، ولكننا نرفض أن تكون المعاصرة مرادفة للتبعية".
—عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، العدد 3، 1973

ثالثًا: العلاقات التداولية بين المكونات الثلاثة

يُظهر الشكل البصري بوضوح أن:

- **الاستعمار** كان دافعًا للترجمة.
- **الترجمة** كانت مدخلًا إلى النهضة.

- **النهضة** هي شرط للتجاوز الواعي للاستعمار.

وبالتالي، فإن العلاقة هنا **تداولية/دائرية** لا خطية، بما يعني أن كل عنصر لا يمكن أن يُفهم إلا من خلال تداخله مع العنصرين الآخرين.

هذا يتوافق مع التصور البنيوي الدائري الذي يُفهم فيه **المعنى من خلال العلاقات**، لا من خلال العنصر المعزول (سوسير).

رابعًا: الملاحظات النقدية

- **نقد الترجمة التبسيطية** :معظم الترجمات الأولى للكتب اللسانية الغربية (سوسير، تشومسكي، ياكوبسون) عانت من **تبسيط مخلّ** أو **إسقاط مفاهيم خارج السياق العربي**.
- **القطيعة مع التراث العربي** :ظلت المدرسة البنيوية الغربية تُدرس دون أي **ربط جدي مع التراث العربي في النحو والمنطق**.
- **النهضة اللغوية غير مكتملة** :رغم جهود التأصيل، فإن النموذج التأويلي العربي ما زال في حاجة إلى **نموذج إبستيمولوجي عربي موحد**.

خامسًا: الاستنتاج العام

الشريحة تعبّر عن تصور ديناميكي لتاريخ التلقي العربي للسانيات، وهو تصور ينقلنا من **التلقي السلبي (الاستعمار)**، إلى **التلقي الوسيط (الترجمة)**، ثم إلى **التلقي الفاعل (النهضة والتحول)** .لكنه تلقي ما يزال يعاني من **تنازع المرجعيات المعرفية بين التقليد والتحديث**.

المراجع:

1. إدوارد سعيد، *الاستشراق*، 1978.
2. عبد الرحمن حاج صالح، *مدخل إلى علم اللسان الحديث*، مجلة اللسانيات، الجزائر، 1972–1974.
3. تمام حسان، *اللغة العربية معناها ومبناها*، 1980.
4. عبد السلام المسدي، *العرب والانتحار اللغوي*،دار الكتب الجديدة المتحدة، 2011.
5. F. de Saussure, *Cours de linguistique générale*, 1916.

"مسارات التلقي العربي"

العنوان التحليلي:

تفكيك مسارات التلقي العربي: نحو إبستيمولوجيا ثلاثية – فلولوجية، بنيوية، تاريخية

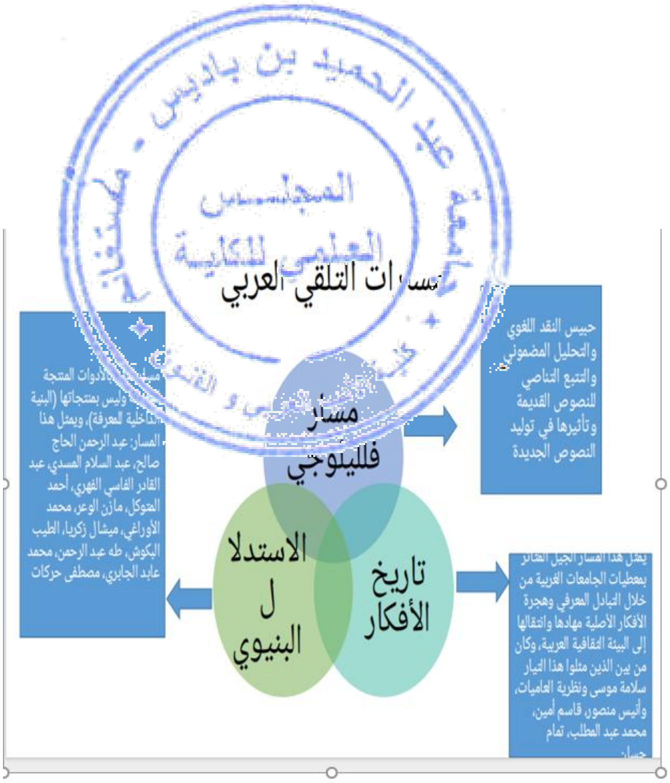

تعكس هذه الشريحة رؤية مركبة لفهم مسارات التلقي العربي للدرس اللساني، عبر ثلاث قنوات كبرى:

1. **المسار الفلولوجي**
2. **الاستدلال البنيوي**
3. **تاريخ الأفكار**

وكل مسار من هذه المسارات يُمثّل أفقًا معرفيًا مختلفًا، سواء من حيث الأصول المرجعية، أو آليات التوظيف، أو أنماط التفاعل مع اللسانيات الحديثة.

1.المسار الفلولوجي(Philological Trajectory)

يرتبط هذا الاتجاه بموروث الدراسات التقليدية التي اهتمت بتحليل النصوص من داخل اللغة العربية بالتركيز على:

- البلاغة
- النحو
- الإعجاز
- العروض

ويعيد هذا المسار تفعيل أدوات التراث بوصفها قابلة للاستمرار، بل وتصلح – في تصور البعض – لمساءلة اللسانيات الغربية الوافدة.

تمثيلات:

- حسين الواد
- عبد السلام المسدي
- عبد الله صولة
- محمد مفتاح (في بداياته)

2.الاستدلال البنيوي(Structuralist Inference)

يمثل هذا المسار نوعًا من القطيعة المنهجية مع التحليلات التراثية، ويتبنى النموذج البنيوي الذي أسسه دي سوسير وورثته حلقات جنيف وبراغ.

خصائصه:

- مركزية البنية
- رفض التأويلات السياقية أو التاريخية
- استثمار ثنائية *اللغة/الكلام* و*الدال/المدلول*
- التفاعل مع مفاهيم مثل: النسق، المحور الاستبدالي، المحور التركيبي

أبرز الأسماء:

- عبد القادر الفاسي الفهري
- عبد العزيز حمودة
- عبد السلام المسدي (في مرحلته البنيوية)
- عبد الله العروي (جزئيًا)

3.تاريخ الأفكار(History of Ideas)

يركز هذا الاتجاه على تحليل **مسار المفاهيم**، وتتبعها من لحظة نشأتها الغربية إلى لحظة تلقيها عربياً، بما يتضمنه ذلك من:

- نقد الترجمة
- نقد التحييد السياقي
- مساءلة الخلفيات الفلسفية للنماذج اللسانية

منطلقاته:

- الحفر المفهومي(Epistémè)
- تاريخ الترجمة
- موقع اللغة في مشروع الحداثة

تمثيلات:

- محمد أركون
- الجابري
- طه عبد الرحمن
- عبد الكبير الخطيبي

المقارنة بين المسارات:

النمط	الفعل المعرفي	المرجعية	المسار
داخلي	وصفي–تحليلي	تراثي–بلاغي	فلولوجي
بنائي	بنائي–شكلي	غربي–سوسيري	بنيوي
نقدي	حفري–تركيبي	نقدي–فلسفي	تاريخ الأفكار

المراجع:

- Saussure, F. de. *Cours de linguistique générale.*
- Roman Jakobson. *Linguistics and Poetics.*
- محمد عابد الجابري .*تكوين العقل العربي*.
- محمد أركون .*قضايا في نقد العقل الديني*.
- طه عبد الرحمن .*الحق العربي في الاختلاف الفلسفي*.
- عبد السلام المسدي .*اللسانيات وأسسها المعرفية*.
- عبد القادر الفاسي الفهري، أسئلة اللغة.

خاتمة تحليلية:

يُمكن النظر إلى هذه الخريطة الثلاثية كمحاولة **لصياغة نظرية تلقٍ عربي مستقلة**، تتجاوز الاستيراد السطحي للنظريات، وتسعى إلى تأسيس فهم عربي للظاهرة اللغوية على ضوء:

- إرثه التاريخي
- انخراطه في الحداثة
- وقدرته على إنتاج خطاب لساني خاص به

النتيجة – تقاطعات التحول والتجاوز في التلقي اللساني العربي

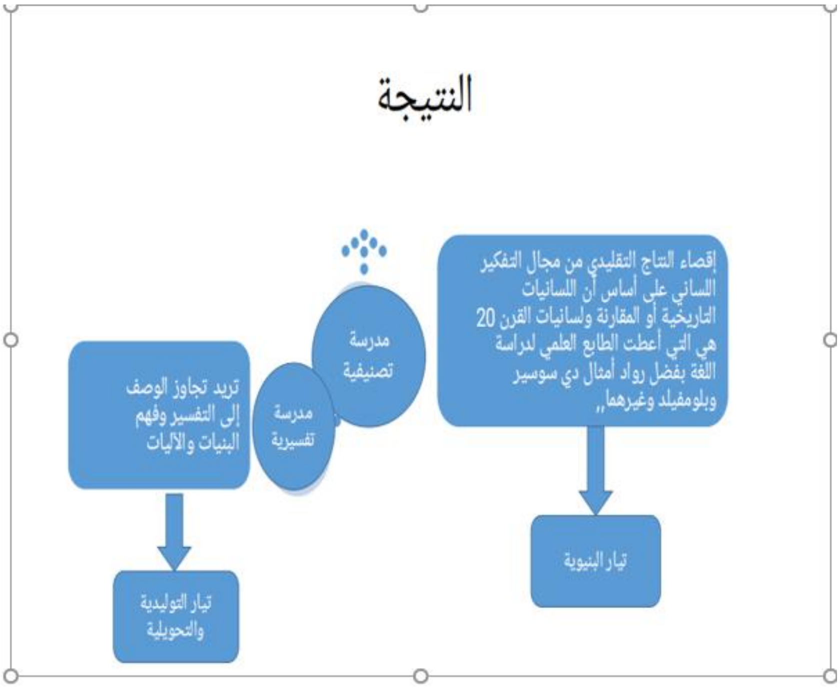

.1الإقصاء المعرفي للتفكير التقليدي:

النص الرئيسي في الجهة اليمنى يؤكد على أنّ **الإنتاج اللساني التقليدي** الذي كان يعتمد على **الوصف التاريخي المقارن** قد تم تجاوزه لصالح نظريات أكثر حداثة، خصوصًا **معطيات اللسانيات في القرن العشرين**.

"إقصاء النتاج التقليدي من مجال التفكير اللساني على أساس أنّ اللسانيات التاريخية والمقارنة ولسانيات القرن 20 هي التي أعطت الطابع العلمي لدراسة اللغة، بفضل رواد أمثال دي سوسير وبلومفيلد"...

هذا القول يشي بحدوث **قطيعة إبستيمولوجية** مع الماضي، مما يعكس **تحولاً في بنية المعرفة اللسانية** من السياق الثقافي إلى السياق العلمي العقلاني.

تحليل إبستيمولوجي:

- القطائع (ruptures épistémologiques) التي تحدث عنها *باشلار* واضحة هنا.

- تجاوز التفكير البياني—البلاغي إلى التفكير البنيوي—التجريدي.

2.التيار البنيوي:(Structuralist Current)

يرتبط بـ:

- سوسير
- بلومفيلد
- ياكوبسون

وهو تيار يُركّز على **البنية المغلقة للغة كنظام مستقل**، ويؤمن بإمكانية التحليل دون الرجوع للتاريخ أو المعنى الخارجي. هذا التيار ما يزال له **أثر مستمر في تعليم اللسانيات بالعالم العربي**، لكنه يتعرّض لنقد متزايد باعتباره **منفصلاً عن السياق التأويلي والفهم العميق للنصوص**.

3.التيار التوليدي والتحويلي:(Generative–Transformational Current)

يظهر في الجهة اليسرى عبر عبارة:

"تريد تجاوز الوصف إلى التفسير وفهم البنيات والآليات".

وهي إشارة مباشرة إلى مشروع *نعوم تشومسكي* الذي بدأه منذ كتابه *Syntactic Structures (1957).*

تحليل إبستيمولوجي:

- الانتقال من وصف البنية إلى إنتاج البنية.
- تركيز على **الفطرية، الذهن الكوني، التركيب العميق**.

4.المدرسة التفسيرية التصنيفية:

في قلب الشكل البياني نجد ما يُشبه "حلقة وصل" أو مركزًا يُسمّى:

"مدرسة تصنيفية تفسيرية"

وهو ما يشير إلى وجود تيار ثالث يسعى إلى **المزاوجة بين التصنيف الصارم والتحليل السياقي التفسيري**، ويُمكن أن نربطه بعدة أسماء معاصرة ممن حاولوا:

- إعادة قراءة التراث.
- بناء تصور إبستيمولوجي جديد يجمع بين اللغويات والمناهج النقدية (مثل عبد السلام المسدي، محمد مفتاح...).

جدولة تحليلية:

الموقع في التلقي العربي	**المسار المعرفي**	**المرجعيات**	**الاتجاه**
شائع في بدايات التلقي	وصف نسقي مغلق	سوسير، براغ	**البنيوي**
دخل متأخرًا	تفسير/إنتاج بنيوي عميق	تشومسكي، هاريس	**التوليدي–التحويلي**
محاولة عربية للتجاوز	مزاوجة بين الفهم والتصنيف	اتجاهات معاصرة	**التفسيري–التصنيفي**

المراجع:

- Chomsky, N. (1957). *Syntactic Structures*. Mouton.
- F. de Saussure. *Cours de linguistique générale*, éd. Bally & Sechehaye.
- عبد السلام المسدي، *اللسانيات وأسسها المعرفية*.
- محمد مفتاح، *تحليل الخطاب الشعري*.
- عبد القادر الفاسي الفهري، *اللسانيات واللغة العربية*.
- طه عبد الرحمن، *اللغة والفلسفة*.

خاتمة نقدية:

تُظهر هذه الشريحة أن التلقي العربي للدرس اللساني لم يكن خطيًا، بل مرّ عبر مفترقات أساسية. فهناك من **أصرّ على التمركز حول البنيوية**، وهناك من **تجاوز نحو التوليدية والتفسير العقلي البنيوي**، وهناك من **يحاول دمج السياقات الفلسفية والتأويلية في بناء نظرية لغوية عربية حديثة.**

"إشكالية التسمية ونتائجها": التسمية كمفهوم معرفي–أيديولوجي

المجلس العلمي للكلية

أولاً: الخلفية التاريخية للتسمية

"اتفق نخبة من اللسانيين العرب في تونس على مصطلح *اللسانيات* سنة 1974، بدل *علم اللغة*".

❖هذا الاتفاق يعكس **نقلة اصطلاحية إبستمولوجية** :من التسمية التراثية (علم اللغة) إلى التسمية الحديثة (اللسانيات) المستندة إلى المرجعية السوسيرية.(linguistique)

هذه النقلة ترتبط بـ:

- **التحول من التصور الكلاسيكي** (الوصفي–البلاغي) إلى **التصور البنيوي العلمي**.
- التأثر العميق بالنموذج السوسيري، الذي ميّز بين *langue / parole* واعتبر اللغة **نسقًا مستقلاً** قابلاً للتحليل البنيوي المجرد.

✦ثانيًا: المفارقة الإبستيمولوجية

"لكن بالرغم من ذلك بقيت هذه التسمية تظهر من حين لآخر في الدراسات الأكاديمية العربية"...

❖هنا نرصد **استمرار الحنين الإبستيمولوجي إلى المصطلح القديم**، ما يدل على أن **التغيير الاصطلاحي لم يكن تغييرًا في البنية المعرفية**، بل في شكله فقط.

هذا يتطلب مساءلة:

- هل كل من استعمل لفظة "اللسانيات" كان يعني بها المفهوم السوسيري أو البنيوي؟
- أم أنها مجرد استعارة لغوية لم تُرافقها قطيعة مع النمط التقليدي في دراسة اللغة؟

✦ثالثًا: تنوّع التسميات = تنوّع المرجعيات

تعدد التسميات المذكورة في الشريحة يكشف لنا عن **فوضى معرفية** أو **تعدديّة منهجية**:

التسمية	المرجعية الضمنية
دروس في اللسانيات	منهج تدريسي عام – توفيقي
الألسنية	تعريب لمصطلح *linguistique*
علم اللغة	تقليد تراثي – وصفي
الدراسات اللغوية العربية	منظور داخلي تراثي – نحوي
الدرس اللساني العربي الحديث	محاولة توفيق بين القديم والجديد
الفكر اللساني العربي	رؤية فلسفية نقدية
اللسانيات العربية	طرح تأسيسي حديث

هذه التسميات لا تعني نفس الشيء! بل تشير إلى **مستويات مختلفة من التأصيل والتموضع** في النسق اللساني العالمي.

✦رابعًا: إشكالية المصطلح والتموقع المعرفي

"اللسانيات العربية (موجود حاليا في المقررات الجامعية كمتخصص – الجزائر)"

❖هذا التخصيص يقودنا إلى طرح سؤال جذري:

هل هناك لسانيات عربية بالفعل؟

- إذا كانت "اللسانيات" علمًا حديثًا غربي المنشأ، فهل يمكن للّسان العربي أن يُنتج لسانيات خاصة به؟
- هل نحن إزاء **ممارسة نقدية على المعطى الغربي**، أم **إعادة إنتاج له بلغة عربية؟**

الجواب يتطلب:

- نقد مصطلحي وتحليلي(Lexicologie Critique)
- مراجعة المرجعيات العلمية في البرامج الجامعية
- تقييم المدى الذي وصلت إليه جهود التأصيل الحقيقي

✦**استشهادات علمية داعمة:**

1. **عبد السلام المسدي**، *اللسانيات وأسسها المعرفية* –يتحدث عن أزمة المصطلح في الدرس اللساني العربي.
2. **طه عبد الرحمن**، *اللغة والفلسفة* –يشير إلى انفصال المصطلح عن نسقه المعرفي عند الترجمة.
3. **محمد مفتاح**، *تحليل الخطاب الشعري* –يوضح المفارقة بين تبنّي المصطلحات الغربية وفهم أسسها.
4. **F. de Saussure**, *Cours de linguistique générale*
5. **G. Lakoff**, *Women, Fire, and Dangerous Things* – حول أثر التسمية على البنية المعرفية.

خاتمة نقدية:

"**التسمية**"، تتعلق بكامل **الإستراتيجيا المعرفية التي تحدد علاقة الفكر العربي المعاصر بالعلوم الإنسانية الحديثة** .إن الاختلاف الاصطلاحي ليس مشكلًا لغويًا فقط، بل **علامة على التباين في التموقع الفكري والنظري.**

أولًا: التحديد المفاهيمي للإحيائية

الاتجاه الإحيائي ليس مجرّد حركة تقليدية محافظة كما يُفهم أحيانًا، بل هو محاولة *حداثية جزئية* لاستعادة التراث القواعدي العربي من جهة، ودمجه بمقتضيات العصر من جهة أخرى. وهو تيار حافظ على **مرجعية النحو التقليدي** لكنه **أعاد إنتاجه بطرائق مدرسية أو وظيفية.**

✦محمد كرد علي يصفه بـ"النهضة" و**إبراهيم اليازجي** دعا إلى إحياء العربية كما أُحييت العبرية" (أوائل القرن العشرين).

المجلس العلمي للكلية

ثانيًا: الخلفية التاريخية

- **رفاعة رافع الطهطاوي** :أول من صاغ مشروعًا متكاملًا لتقريب اللغة العربية في مؤلفه :*التحفة المكتبية لتقريب القواعد العربية* .(1868)
- **علي عبد الواحد وافي** :أبرز ممثلي علم اللغة الحديث في النصف الأول من القرن العشرين) *علم اللغة الحديث*، 1941.)

هذه الأعمال تُعد نواة لما يمكن تسميته بـ **"اللسانيات العربية قبل اللسانيات."**

ثالثًا: المسارات الإحيائية

الشريحة تُفصّل أربعة اتجاهات فرعية داخل التيار الإحيائي:

الاتجاه	**السمات المركزية**	**الممثلون**
.1المحافظ	الحفاظ على التقليد النحوي القديم دون مساس	محمد علي، سعيد الشرتوني، أحمد الهاشمي
.2التقريبي	تقريب النحو للمتعلمين (وظيفي، مدرسي)	الطهطاوي، حسين المرصفي، علي الجارم
.3الوسطي	مزيج من التيسير والتحديث دون القطع مع الأصل	مصطفى الغلاييني، المخزومي، السامرائي
.4الوظيفي	تأويل النحو العربي في ضوء الوظيفة الاتصالية	محمود تيمور، أمين الخولي

رابعًا: المقاربات المرجعية

تم الاستعانة بمراجع كبرى لتأصيل الاتجاه:

- *تاريخ اللغات*السامية، ويلفنسون، مصر، 1929 .
- *مفاتن الحداثة وخبايا اللغة* لعبد السلام المسدي، المركز العربي، 2024.
- *اللغة في المجتمع* لإبراهيم أنيس، القاهرة، 1959.
- *دراسات نقدية في النحو* العربي لعبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصباح، الكويت (د.ت).

هذه المراجع كانت محاولات لـ"تحيين" أو "عقلنة" الموروث اللساني العربي ضمن سياقات النهضة والتحديث.

خامسًا: نقد إبستيمولوجي للاتجاه

❖رغم الجهود الإحيائية، بقي التيار يدور ضمن أفق **إعادة صياغة النحو العربي التقليدي**، دون قطيعة مع مبادئه المنطقية والبلاغية.

❖لم تُطرح **لسانيات بديلة** فعليًّا، بل اعتمد على:

- **إعادة الترتيب**
- **الشرح المدرسي**
- **التعريب الجزئي لبعض المفاهيم اللسانية الحديثة**

✦كما لاحظ عبد السلام المسدي، فإن "اللسانيات العربية الإحيائية ظلت أسيرة مفهوم القاعدة، لا النسق."

استشهادات داخلية

- المسدي، عبد السلام، *اللسانيات وأسسها المعرفية*، دار توبقال، بيروت، 1981.
- أحمد مختار عمر، أسس *علم اللغة الحديث*، عالم الكتب، 1973.
- علي عبد الواحد وافي، *علم اللغة*، القاهرة، 1941.
- يوسف الشويري، مسارات العروبة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2020.

خاتمة نقدية

التيار الإحيائي يُعد حلقة **انتقالية** بين المدرسة النحوية التقليدية والمدرسة اللسانية الحديثة. ورغم طابعه التوفيقي، إلا أنه لم يتجاوز سقف **الإصلاح اللغوي المحافظ** .لذا، فإن **الانتقال الحقيقي نحو اللسانيات المعاصرة** لم يتم إلا لاحقًا مع أعمال أكثر تأصيلاً وانفتاحًا، كما في الاتجاهات البنيوية والوظيفية بعد السبعينيات.

رواد محاولات التأسيس في اللسانيات العربية الحديثة

قراءة معرفية–إبستيمولوجية لمجموعة من المفكرين والباحثين الذين شكّلوا الجيل المؤسس لمشروع "تبيئة" اللسانيات الغربية في الثقافة العربية، إما بالنقل، أو بالتفسير، أو بالنقد، أو بالتأصيل البديل.

أولًا: البنية الإبستيمولوجية للسؤال التأسيسي

تُظهر لائحة الأسماء المدرجة في هذه الشريحة أنّ **اللسانيات العربية الحديثة لم تبدأ من فراغ**، بل كانت عبارة عن سلسلة محاولات تأسيسية متقطعة، عرفت تراكماً مفاهيمياً وأحياناً تصادماً معرفياً بين:

1. **اللسانيات الغربية كمصدر تنظيري(De Saussure, Chomsky, Jakobson...)**
2. **التراث العربي اللغوي (النحوي – البلاغي – الأصولي)**

وهذا هو ما وصفه عبد السلام المسدي بـ"الوضع المركّب للذهنية اللسانية العربية المعاصرة" (*الأسس المعرفية*، 1981).

ثانيًا: تصنيف رموز التأسيس حسب المشاريع

المشروع / المجال	الباحث
التأصيل العلمي للمصطلحات اللسانية وفق نماذج عربية أصيلة (العربية الموحدة، النحو العربي الجديد)	**عبد الرحمن الحاج صالح**
معالجة القضايا الصوتية والصرفية من منظور مقارن ضمن **مدرسة الأنظمة**	**ريمون طحان**
الربط بين **اللسانيات التوليدية** والنحو العربي، مع إنتاج قاموس مفاهيمي لساني مزدوج اللغة	**عبد القادر الفاسي الفهري**
بناء خطاب معرفي متكامل حول "تبيئة اللسانيات" في الفكر العربي، وتقديم نماذج للقراءة النقدية	**عبد السلام المسدي**
من أبرز من طوّر تدريس اللسانيات في الوطن العربي بطريقة تحليلية منهجية	**أحمد مختار عمر**
يسهم في الربط بين **اللسانيات الحديثة** ومجالات تحليل الخطاب والهوية واللغة	**حافظ إسماعيلي**

ثالثًا: خلفيات المدارس المعرفية (المقارَنة)

- **السوسيرية الكلاسيكية** ←عند المسدي، الفاسي الفهري، مختار الغوث.
- **اللسانيات التوليدية** ←عند الفهري، الحاج صالح.
- **السيميائيات التداولية** ←طه عبد الرحمن، محمد مفتاح.
- **اللسانيات التأويلية/النسقية** ←محمد مفتاح، طحان.
- **الاتجاه التبسيطي التربوي** ←عند أحمد مختار عمر، محمد الولي.

رابعًا: الرهانات المعرفية للتأسيس

1. **ترجمة المفاهيم دون تشويه الحقول الدلالية**)مثال sign ≠ :علامة.(
2. **إيجاد بدائل مفاهيمية عربية غير مقحمة.**
3. **تكييف المنهجية اللسانية مع خصوصيات اللغة العربية (الصرف–النحو–البلاغة).**
4. **تجاوز التبعية للنموذج الأوروبي ومحاولة إنتاج نسق لساني عربي مستقل.**

كما يقول الفاسي الفهري في كتابه *اللغة العربية واللسانيات الوصفية*:

"من الصعب بناء لسانيات عربية إلا بإعادة تشكيل العلاقة بين النظام اللغوي والتراث العلمي العربي."

خاتمة إبستيمولوجية

الشريحة تمثّل نواةً معرفية هامة لفهم *التحول من التلقي السلبي إلى المبادرة التأسيسية في اللسانيات العربية* .وقد أسهم هذا الجيل، بدرجات متفاوتة، في:

- **تكوين معجم لساني عربي**
- **إنتاج مناهج تدريسية معاصرة**
- **الانخراط في الجدل العالمي حول اللغة والهوية**
- **فتح أفق لساني–ثقافي جديد يزاوج بين الأصالة والمعاصرة**

المراجع المستند إليها:

- المسدي، عبد السلام .*اللسانيات وأسسها المعرفية*، دار توبقال، 1981.
- الفاسي الفهري، عبد القادر .*اللغة العربية واللسانيات الوصفية*، 1995.
- الحاج صالح، عبد الرحمن، دراسات وبحوث في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
- محمد الولي،الخطابة والحجاج، منشورات ، منشورات دار فاليه، المغرب، 2020.
- أحمد مختار عمر،*صناعة المعجم العربي الحديث، عالم الكتب بالقاهرة، 2009.*

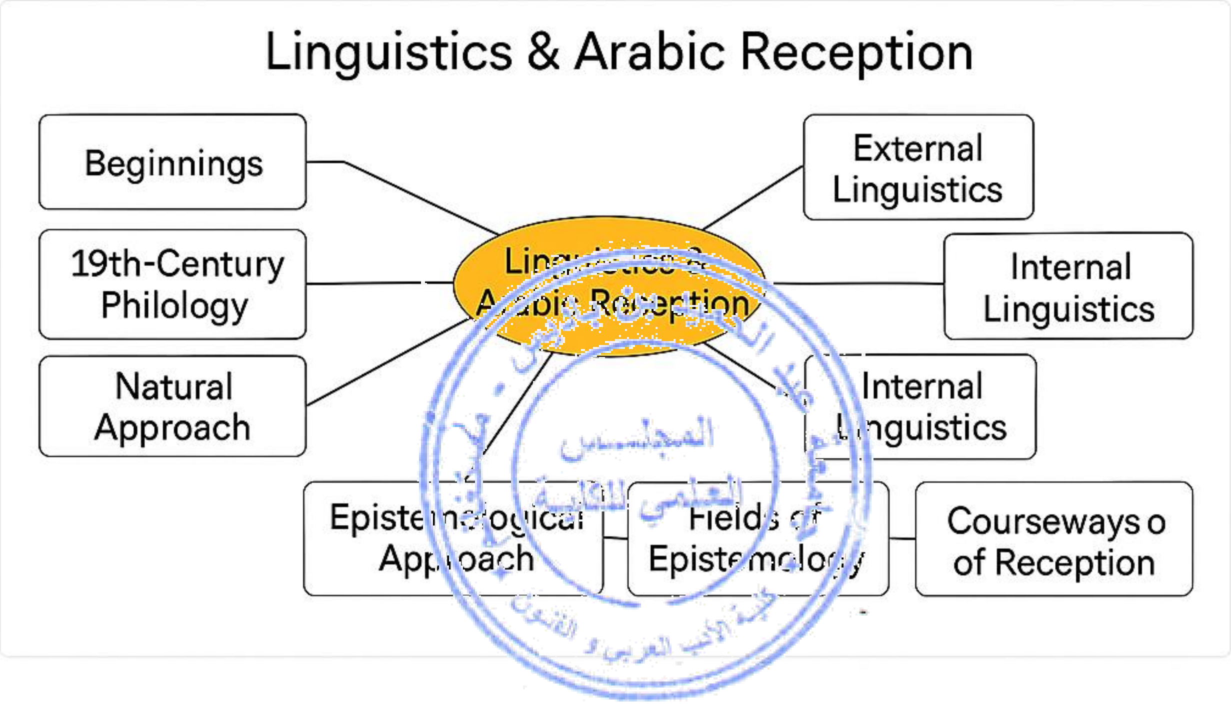
Linguistics & Arabic Reception
Beginnings
19th-Century Philology
Natural Approach
External Linguistics
Internal Linguistics
Courseways o of Reception

"مجالات الاهتمام"، تحليل إبستيمولوجي–استقرائي–حفري، يتناول الخلفيات المعرفية والمفاهيمية

أولًا: تحليل العنوان والمفاهيم

"**مجالات الاهتمام** "مصطلح يوحي بالتوسيع الأفقي للمباحث التي اشتغلت عليها اللسانيات العربية من منطلق تعريفي وتأسيسي. تُفهم هنا "الاهتمامات" بوصفها موضوعات بحثية غير محايدة، تعكس توجّهًا معرفيًا يرنو إلى تحديد الهوية اللسانية العربية بين المنقول الغربي والأصيل الموروث.

.1اللسانيات التمهيدية

تشير هذه الفئة إلى المرحلة التأسيسية في البحث اللساني العربي، حيث يتم التمهيد النظري لمفاهيم اللسانيات عبر:

- **لسانيات التراث** :استدعاء الأصول البلاغية والنحوية القديمة.
- **اللسانيات العربية** :تأصيل لمفاهيم ومصطلحات لسانيات حديثة انطلاقًا من اللغة العربية.

وهذا ينسجم مع ما طرحه **عبد السلام المسدي** حين أكد على أن:

"التمهيد اللساني لا يُعقل دون تموضع اللسانيات في بنيتها المعرفية وأسسها الحضارية) "*عقبات البحث اللساني العربي*.(

ثانيًا: تحليل الأعلام والاقتباسات المفهومية

مازن الوعر

في كتابه "**أزمة اللسانيات في الوطن العربي**"، ينتقد بحدة حالة الاغتراب المصطلحي في الساحة اللسانية العربية، ويتساءل عن إمكانية بناء نسق لساني عربي لا يكون مجرد استيراد وتطبيق آلي لمقولات دي سوسير وتشومسكي، بل تأسيس يتفاعل مع البنية الداخلية للغة العربية.

"إن الكتابة اللسانية المعاصرة في الوطن العربي، لا تزال تراوح بين النقل وبين الاستلاب المنهجي) "...*مازن الوعر، أزمة اللسانيات*)

.

محمود السعران

في كتابه **"علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي"**، يقوم بتبسيط المفاهيم اللسانية الغربية في قالب تعليمي عربي، ويُعدّ هذا الكتاب أول محاولة منظمة لتوطين المعرفة اللسانية في السياق العربي منذ السبعينيات.

"كان لا بد من مخاطبة القارئ العربي بلغته، لفهم ما استقر في الدرس الغربي "*م. السعران، 1997* .

عبد السلام المسدي

في كتابه **"الأسس المعرفية للسانيات"**، يضع دعامة فلسفية ومنهجية لسؤال :*كيف ندرس اللغة؟* وذلك في ظل شروط معرفية عربية. ويعتبر من رواد "اللسانيات المعرفية العربية"، مع نقده للتمركز الغربي في تعريفات المصطلح.

"الدرس اللساني لا يُختزل في ما تقوله المناهج الغربية، بل يجب أن يتكئ على الخصوصية المعجمية والدلالية للعربية "(*المسدي، 1981*)

مصطفى غلفان

يتجه نحو **التحليل النقدي للمصادر والمنهجيات،** وقدّم كتابه "اللسانيات العربية: دراسة نقدية" كأطروحة لتفكيك الهيمنة المعرفية الغربية على الخطاب اللساني، ويعتمد في طرحه على آليات حفريات فوكو والتحليل النصّي المقارن.

عبد الرحمن الحاج صالح

من خلال **"دراسات في اللسانيات العربية"** (جزء 1 وجزء 2)، طرح مشروع "اللسان العربي" الذي يُعد محاولة جادة لتطوير نحو عربي بنيوي—وظيفي مستقل، وهو نموذج أصيل في اللسانيات الحاسوبية العربية، منطلقًا من نموذج الخليل الفراهيدي نحو تصور جديد للنسق.

"لا يجب أن تكون اللسانيات العربية مرآة للسان الغربي، بل تأصيلاً لنحو عربي مستقل، علمي ومعياري) "*الحاج صالح، 2006*).

ثالثًا: الخلفيات المعرفية الكامنة

تكشف هذه الشريحة من الباحثين واللسانيين العرب عن ثلاث خلفيات إبستيمولوجية:

1. **الجدل حول التسمية) لسانيات .vs علم اللغة .vs لغة(**

وهو جدل يعود إلى أول استعمال مصطلح "اللسانيات" عام 1974 (تونس)، لكن لا يزال التذبذب قائما بين المفاهيم الثلاثة.

2. **التداخل بين المعرفي والسياسي:**

تعكس الكتابات انشغالًا بالهوية الثقافية واللغوية، ما يجعل اللسانيات العربية ليست مجرد علم، بل "معركة إبستيمية."

3. **أزمة المصطلح والتأصيل:**

لا تزال اللسانيات العربية تحاول الخروج من التبعية المصطلحية والمنهجية إلى نماذج مؤصلة (مثل الحاج صالح والمسدي).

قائمة المراجع:

1. *مازن الوعر،**نحو نظرية لسانية عربية حديثة المنهج**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ، 1987. –يقدم رؤية متكاملة لتطوير النظرية اللسانية العربية على أسس منهجية معاصرة.*
2. محمود السعران، *علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي*، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.
3. عبد السلام المسدي، *الأسس المعرفية للسانيات*، دار الجيل، بيروت، 1981.
4. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة :دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ط2، دا ر الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2017.
5. عبد الرحمن الحاج صالح، *دراسات وبحوث في اللسانيات العربية*، الجزائر، منشورات موفم، 2012

"الاتجاهات المستجدة" تحول في الفضاء اللساني العربي نحو استراتيجيات بحثية جديدة

الاتجاهات المستجدة"

تكشف عن **تحول في الفضاء اللساني العربي** نحو استراتيجيات بحثية جديدة، تتسم بواحدة أو أكثر من السمات التالية:

1. **الانفتاح على التقنيات** (الحوسبة، الإحصاء)
2. **الدمج بين التخصصات** (مع المعرفيات، الإعلام الآلي، الفلسفة، العلوم الرقمية).
3. **نقد المرجع البنيوي والتاريخي** نحو أفق معرفي متعدّد ومتشظٍّ.

▪**الفئة المعروضة: 3 اتجاهات أساسية**

.1الاتجاه الإحصائي

الرمز المعرفي :أنيس منصور

هذا الاتجاه يرتكز على ما يُعرف بـ **اللسانيات الإحصائية** أو **المعالجة الكمية للبيانات اللغوية** .يتقاطع مع التحليل الكوربوسي (Corpus Linguistics) وتحليل التكرار، التواتر، التوزيع.

تُوظّف الرياضيات والإحصاء في تحليل المدونات النصية، لتحديد الظواهر اللغوية وفق مؤشرات قابلة للقياس.

أمثلة:

- تحليل تكرار البنى النحوية.
- تواتر الأفعال والأسماء في القرآن الكريم.
- توزيع الضمائر أو حروف الجر في المدونات الأدبية.

.2الاتجاه الحاسوبي

أعلام بارزة:

نبيل علي، نهاد الموسى، عبد الرحمن الحاج صالح، وغيرهم...

يمثل هذا الاتجاه **امتدادًا للذكاء الاصطناعي في حقل اللسانيات**. يندرج ضمن ما يُعرف بـ:

- **اللسانيات الحاسوبية(Computational Linguistics)**
- **معالجة اللغة الطبيعية(NLP)**

يتضمن:

- النمذجة الصرفية والنحوية.
- بناء المعاجم الآلية.
- تطوير محركات الترجمة الآلية.
- الأنطولوجيات اللسانية.
- واجهات البرمجيات التعليمية باللغة العربية.

د. نبيل علي كان من أوائل من دعا إلى حوسبة اللغة العربية، وحذر من الإهمال الرقمي لها في كتابه *الثقافة العربية وعصر المعلومات*.

.3الاتجاه العِرَافي (المعرفي–التأويلي–الفلسفي)

أبرز أعلامه:

- الأزهري، الزناد، صابر حياشة، الحبيب المقدّمي، ناجي العُمَري، حفيظ إسماعيل علوي، عبد الكبير الحسني، عبد الرحمن طعمة، مصطفى الجرار، طارق المالكي، حيدر الغضبان، جعفر يايوش، وغيرهم.

هذا الاتجاه يعيد قراءة **اللسانيات في ضوء الإبستيمولوجيا والتأويل**، حيث تظهر ملامحه في:

- تحليل الخطاب العربي المعاصر.

- ربط اللغة بالسياق الثقافي والديني.
- تطوير نظريات معرفية للغة.(Cognitive Linguistics)
- تجاوز الأنموذج البنيوي الصارم إلى أفق ما بعد—بنيوي وما بعد—حداثي.

جعفر يايوش على سبيل المثال، يشتغل على دمج اللسانيات مع نماذج إدراكية—ذهنية—فيزيائية، ويطور مشاريع مثل "اقرأ 4.0" و"اللسانيات الكمية" و"نحو إدراكي عربي."

الملاحظات الإبستيمولوجية

1. **من التنظير إلى التطبيق:**

لم تعد اللسانيات العربية تستورد فقط من الغرب، بل باتت تنتج أدوات تحليلية جديدة.

2. **من المركز إلى التعدد:**

لم تعد المدرسة البنيوية هي الوحيدة، بل ظهرت أنماط متوازنة: إحصائي، حاسوبي، معرفي، بيئي، أدائي.

3. **من المفهوم إلى الوظيفة:**

تحولت النظريات من كونها وصفية إلى أدوات فعّالة في التعليم، الترجمة، الإعلام، الخطاب الديني والسياسي.

المجلس العلمي للكلية

قائمة مراجع مقترحة:

1. نبيل علي، *الثقافة العربية وعصر المعلومات*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2001.
2. عبد الرحمن الحاج صالح،بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، منشورات موفم، 2012، ج. 1-2.
3. جعفر يايوش، *اللسانيات الكمية والبيئية والتفاعلية: مشروع "اقرأ 4.0" وممارسات تحليل الخطاب القرآني المعرفي—السياقي*، أوراق بحثية. (مخطوط غير منشور)
4. حفيظ إسماعيل علوي، *اللغة والمعرفة: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، بيروت*، 2014.
5. الزناد، *المنوال الأحتمالي في أنتظام المعجم العربي*، المنشورات الجامعية، منوبة، تونس، 2017.

الخاتمة الإبستيمولوجية للمحاضرة 15: "اللسانيات والتلقي العربي – التأسيس والاتجاهات"

تمثل المحاضرة الخامسة عشرة نقلة نوعية من التوصيف التاريخي السطحي لتلقي اللسانيات في العالم العربي، إلى مساءلة معرفية عميقة تفتح الحقل على تحليلات إبستيمولوجية متعددة المستويات، تكشف عن الطبيعة المركبة لهذا التلقي، وعن جدليته بين التأسيس والانقطاع، وبين الاتصال والإبداع، وبين الترجمة والتأصيل.

المجلس العلمي للكلية

أولًا: من التلقي إلى المساءلة الإبستيمولوجية

لا يمكن اختزال اللسانيات في العالم العربي إلى لحظة "استيرادٍ معرفي" لنظريات دي سوسير أو تشومسكي، بل يجب تفكيك هذا التلقي من خلال ثلاث مراتب متداخلة:

1. **التمثل المفاهيمي** :لم تكن المفاهيم البنيوية (الدال/المدلول، اللسان/الكلام...) دائمًا مفهومة أو متمثَّلة ضمن البنية الدلالية العربية، بل كثيرًا ما جرى إسقاطها دون نقد داخلي.
2. **التحول المنهجي** :ظلت المناهج البنيوية أو التوليدية تُطبّق بشكل نمطي، دون استيعاب جدليتها الإبستيمولوجية، ما أدى إلى التنازع بين التراثي—البلاغي والوافد—التجريدي.
3. **المحدودية الإجرائية** :معظم المقاربات العربية أخفقت في تحويل النموذج اللساني إلى أداة تحليل فعلي للغة العربية، وظلت حبيسة النماذج الغربية أو الشروح التفسيرية المجتزأة.

ثانيًا: التعدد التركيبي لمسارات التلقي

عبر تحليل الشرائح المختلفة، يتضح أن **التلقي العربي للدرس اللساني** لم يكن موحدًا، بل مرّ عبر عدة مسارات متداخلة:

- **فلولوجي** :قائم على تحليل النصوص ضمن أطر بلاغية ونحوية تقليدية.
- **بنيوي—وظيفي** :استيعاب جزئي للنموذج السوسيري، دون قطيعة مع المقاربات البيانية.
- **تاريخي—أفكاري** :يمثل محاولة نقدية تتجاوز النقل إلى إعادة إنتاج معرفي متجذر.
- **إحيائي** :يرنو إلى بعث النحو العربي التقليدي، مع بعض التحديثات المدرسية.
- **حاسوبي—إحصائي—معرفي** :يمثل الواجهة التحديثية الجديدة، عبر مشاريع مثل "اللسانيات الكمية"، "اقرأ 4.0"، والأنطولوجيا اللسانية العربية.

ثالثًا: إشكالية الاصطلاح بوصفها إشكالية معرفية

الخلاف حول التسمية (علم اللغة، لسانيات، ألسنية...) ليس خلافًا شكليًا، بل يدل على غياب انسجام إبستيمولوجي داخل الحقل. فالمصطلح عند عبد السلام المسدي ليس مجرد تسمية، بل تموضع معرفي يحدد طبيعة الخطاب:

"اللسانيات، إذا لم تُؤسَّس في السياق العربي، تظل مجرد نسخة باهتة للأنموذج الأوروبي"
)المسدي، الأسس المعرفية، 1981(

رابعًا: التأسيس المؤجل والمستقبل المنشود

رغم المحاولات الجادة لرواد مثل الحاج صالح، الفاسي الفهري، المسدي، طحان، وغيرهم، فإن مشروع تأسيس لسانيات عربية حديثة ما يزال في طور **"الإبستيمولوجيا المؤجلة"**، ينتظر:

- بناء معجم لساني عربي نقدي غير تابع
- إنتاج نماذج تطبيقية تستثمر خصوصية اللغة العربية
- دمج اللسانيات بالحوسبة، الذكاء الاصطناعي، وتحليل الخطاب
- بناء نسق نقدي تداولي—معرفي يتجاوز النموذج البنيوي الخالص

الخلاصة الكبرى:

اللسانيات في العالم العربي ليست علماً مستقراً، بل مشروعاً إبستيمولوجياً مفتوحاً، يتأرجح بين التراث والحداثة، بين النقل والتأصيل، وبين المركزية الغربية والطموح نحو استقلال معرفي.

وإن تجاوز هذا الوضع يقتضي:

1. *إعادة تعريف المفاهيم اللسانية ضمن الحقول التداولية للغة العربية.*
2. *نقد المرجعيات المستوردة ومحاورتها لا استنساخها.*
3. *توسيع اللسانيات لتشمل المعارف البيئية، العصبية، والسياقية المعاصرة.*

المراجع المقترحة للخاتمة:

- عبد السلام المسدي، **اللسانيات وأسسها المعرفية**، دار الجيل، 1981.
- عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في علوم اللسان**، الجزائر. منشورات موفم، 2012.
- جعفر يايوش، **مشروع [illegible] 4.** —أوراق بحثية، 2024-2025. (مخطوط غير منشور)
- نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، 2001.
- طه عبد الرحمن، **اللغة والفكر**، المركز الثقافي العربي، 2004.
- Roman Jakobson, *Linguistics and Poetics*, MIT Press, 1960.
- Noam Chomsky, *Knowledge of Language*, Praeger, 1986.
- Michel Foucault, *L'Archéologie du savoir*, Gallimard, 1969.

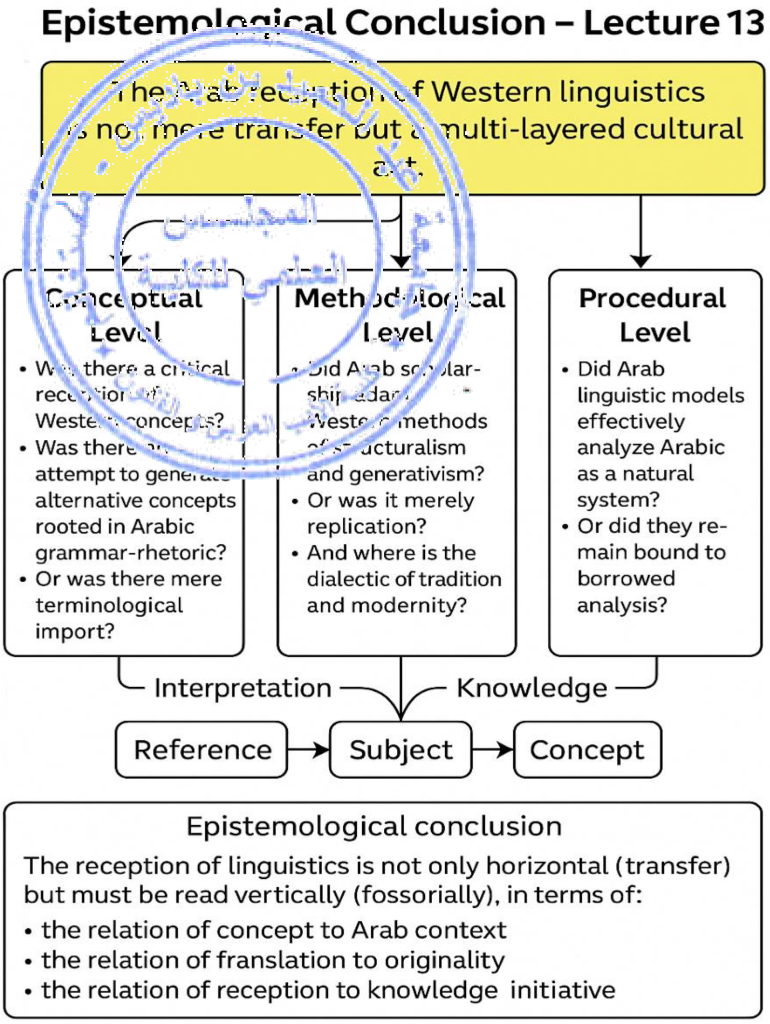

Epistemological Conclusion – Lecture 13
The Arab reception of Western linguistics is not mere transfer but a multi-layered cultural act.
Conceptual Level
• Was there a critical reception of Western concepts?
• Was there an attempt to generate alternative concepts rooted in Arabic grammar-rhetoric?
• Or was there mere terminological import?
Methodological Level
• Did Arab scholarship adapt Western methods of structuralism and generativism?
• Or was it merely replication?
• And where is the dialectic of tradition and modernity?
Procedural Level
• Did Arab linguistic models effectively analyze Arabic as a natural system?
• Or did they remain bound to borrowed analysis?
Interpretation
Knowledge
Reference
Subject
Concept
Epistemological conclusion
The reception of linguistics is not only horizontal (transfer) but must be read vertically (fossorially), in terms of:
• the relation of concept to Arab context
• the relation of franslation to originality
• the relation of reception to knowledge initiative

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية

1.ابن جني. (1998). *الخصائص*. تحقيق محمد علي النجار .القاهرة :دار الهلال

2.الجرجاني، عبد القاهر. (1991). *دلائل الإعجاز*. تحقيق محمود شاكر. جدة: دار المدني .

3.الفيروزآبادي. (1997). *القاموس المحيط*. بيروت :دار الكتب العلمية .

4.الكشو، صالح. (1985). *مدخل إلى اللسانيات*. تونس :الدار العربية للكتاب .

5.الحاج صالح، عبد الرحمن). 2012. (بحوث ودراسات في علم اللسان، الجزائر، دار موفم للنشر .

6.الحاج صالح، عبد الرحمن). (2012). بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. الجزائر :منشورات ENAG.

7.بن نبي، مالك. (1986). *شروط النهضة*. دمشق :دار الفكر .

8.أرسطو. *كتاب المقولات والطبيعيات*. (ترجمات مختلفة).

ثانيا: المراجع الفرنسية

1. Auroux, S. (1989). *La révolution technologique de la grammatisation*. Paris: Albin Michel.
2. Bachelard, G. (1934). *Le nouvel esprit scientifique*. Paris: PUF.
3. Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
4. Bally, C., & Sechehaye, A. (Eds.). (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
5. Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard.
6. Benveniste, É. (1974). *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard.
7. Bréal, M. (1866). *Essai de sémantique*. Paris.
8. Canguilhem, G. (1977). *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris: Vrin.
9. Culioli, A. (1990). *Pour une linguistique de l'énonciation*. Paris: Ophrys.
10. de Saussure, F. (1916). *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot.
11. Foucault, M. (1966). *Les mots et les choses*. Paris: Gallimard.
12. Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
13. Foucault, M. (1971). *L'ordre du discours*. Paris: Gallimard.
14. Guillaume, J. (1945). *Le problème de l'article et sa solution*. Paris: Nizet.
15. Jakobson, R. (1960). *Linguistics and Poetics*. In *Style in Language*. MIT Press.
16. Klaproth, J. H. (1823). *Asia Polyglotta*. Paris: A. Schubart.18. Martinet, A. (1980). *Éléments de linguistique générale*. Paris: Armand Colin.
17. Michaelis, J. D. (1768). *Spicilegium geographiae hebraeorum*. Göttingen: Vandenhoeck.

ثالثا: المراجع الانجليزية

1. Austin, J. L. (1962). *How to Do Things with Words*. Oxford: Clarendon Press.

2. Bloomfield, L. (1933). *Language*. New York: Holt.

3. Chomsky, N. (1957). *Syntactic Structures*. The Hague: Mouton.

4. Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.

5. Chomsky, N. (1980). *Rules and Representations*. New York: Columbia University Press.

6. Chomsky, N. (1986). *Knowledge of Language: Its Nature, Origin, and Use*. New York: Praeger.

7. *Cowan, N. (2008). The magical mystery four: How is working memory capacity limited, and why? Current Directions in Psychological Science, 17(1), 47–51.*

8. Crystal, D. (2003). *The Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge University Press.

9. Devlin, K. (2019). *The Language of Mathematics: Making the Invisible Visible*. W.H. Freeman.

10. Fairclough, N. (1989). *Language and Power*. London: Longman.

11. Hymes, D. (1972). *On Communicative Competence*. In J. B. Pride & J. Holmes (Eds.), *Sociolinguistics* (pp. 269–293). Harmondsworth: Penguin.

12. Hymes, D. (1974). *Foundations in Sociolinguistics: An Ethnographic Approach*. University of Pennsylvania Press.

13. Joseph, J. E. (2002). *From Whitney to Chomsky: Essays in the History of American Linguistics*. Amsterdam: John Benjamins.

14. Jurafsky, D., & Martin, J. H. (2019). *Speech and Language Processing* (3rd ed.). Stanford University.

15. Lyons, J. (1968). *Introduction to Theoretical Linguistics*. Cambridge University Press.

16. Lyons, J. (1977). *Semantics* (Vols. 1–2). Cambridge: Cambridge University Press.

17. Malinowski, B. (1923). *The Problem of Meaning in Primitive Languages*. In *The Meaning of Meaning* (C. K. Ogden & I. A. Richards, Eds.).

18. Montague, R. (1970). *Universal Grammar*. In *Theoria*, 36(3).

19. Sampson, G. (1980). *Schools of Linguistics*. London: Hutchinson.

20. Searle, J. R. (1969). *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language*. Cambridge: Cambridge University Press.

21.Vaswani, A., Shazeer, N., Parmar, N., et al. (2017). *Attention Is All You Need*. In *Advances in Neural Information Processing Systems (NeurIPS)*.

22.van Dijk, T. A. (1993). *Principles of Critical Discourse Analysis. Discourse & Society*, 4(2), 249– 283.

رابعا: المراجع الألمانية

1. Humboldt, W. von. (1836). *Über die Verschiedenheit des menschlichen Sprachbaues....* Berlin:
Druckerei der Königlichen Akademie.

2. Humboldt, W. von. (1963). *Werke IV: Über die Verschiedenheit des menschlichen Sprachbaues*. Stuttgart: Cotta.

3. Trabant, J. (1990). *Wilhelm von Humboldt: Sprachtheorie und Weltanschauung.* Tübingen:
Narr.

4. Trabant, J. (2000). *Traditionen Humboldts*. Berlin: Suhrkamp.

5. Herder, J. G. (1772). *Abhandlung über den Ursprung der Sprache*. Berlin: Voß.

عبد الحميد بن باديس
المجلس العلمي للكلية

الفهرس

المقدمة

المحاضرة :01 مدخل منهجي – المفاهيم والمناهج

اللسانيات بين المفهوم، الموضوع، و المنهج

26-1

المحاضرة الثانية

المقولات الأساسية :الكلية والموضوعية في بناء المعرفة اللسانية العلمية

45-27

المحاضرة :03 المبحث الثالث – القانون العلمي في اللسانيات

83-45

المحاضرة:04

المنهج العلمي في اللسانيات :تحليل إبستمولوجي لتركيب النماذج المعرفية وتفعيلها في إنتاج المعرفة اللسانية

103-84

المحاضرة :5 بين علم اللسان وفلسفة اللغة :نحو هندسة معرفية مزدوجة لفهم الظاهرة اللغوية

107-104

المحاضرة :06 حفريات في مصطلح" اللسانيات(Linguistics) "

146-106

المحاضرة السابعة: الأنماط المعرفية للعلم اللساني ما قبل دي سوسير

195-147

المحاضرة الثامنة – في فكر فيلهلم فون هومبولت(Wilhelm von Humboldt)

215-196

المحاضرة التاسعة – المحور الأول حول التجد[illegible] الفا[illegible]ي [illegible] خلال أعمال إيرنيست [illegible]نان،

219-216

المحاضرة العاشرة [illegible] التجاه الطبيعي [illegible] نشأة المدونة [illegible] العلمية

242-220

المحاضرة الحادية [illegible] [illegible]انيات [illegible] الجديدة

250-243

المحاضرة الثانية عشر :بداية عصر جديد

262-251

المحاضرة الثالثة عشر :ملحظات ختامية حول النظريات اللسانية لدي سوسير

284-263

المحاضرة الرابعة عشر:

من اللغة إلى الكفاءة – تمفصل المفاهيم اللسانية بين النسق والكود و التمثيل

299-285

المحاضرة :15 اللسانيات والتلقي العربي – التأسيس والتجاهات

333 -300

قائمة المصادر والمراجع

335-333

الفهرس

337-334